

"الحب.. شكل من أشكال العتّة الذي يُمكن العلاج منه"



الحب لم يَعد مُناسبًا

ميلاً شينتينوريني

ترجمة: إسلام فوزي



روايات مترجمة



الحُبُّ لم يَعُدْ مُناسِبًا

الحبُّ لم يُعدْ مُناسبًا

تأليف: ميلا فينتوريني

ترجمة: إسلام فوزي

تحرير: هدى فضل المولى

مراجعة لغوية: محمد حامد بكر

الطبعة الأولى: 2017

رقم الإيداع: 2017/1763

الترقيم الدولي: 9789773193195

الغلاف: خالد شريف



© جميع الحقوق محفوظة للناشر

60 شارع القصر العيني - 11451 - القاهرة

ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566

www.alarabipublishing.com.eg

©Mila Venturini, 2014.

Published first in Italian by Nottetempo, 2014.

Mila Venturini - L'amore non conviene

"Questo libro è stato tradotto e pubblicato grazie ad un contributo alla traduzione assegnato dal Ministero degli Affari Esteri Italiano".

"تمت ترجمة هذا الكتاب ونشره بفضل مساهمة مالية تمنحها وزارة الخارجية الإيطالية"

ميلا فينتوريني

الحُبُّ لم يَعُدْ مُنَاسِبًا

رواية من إيطاليا

ترجمة: إسلام فوزي



بطاقة فهرسة

فينتوريني، ميلا

الحبُّ لم يُعدْ مُناسبًا: رواية من الأدب الإيطالي/ تأليف ميلا فينتوريني، ترجمة: إسلام فوزي.

- القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، 2017،

ص: ٤ سم.

1- القصص الإيطالية

أ- فوزي، إسلام (مترجم)

ب- العنوان 853

في ذكرى والدي...

"لوكان العشق - ذلك الذي تُصاحبه قُبَلات لا طعم
لها - تعيسًا، فَمَنْ ذاق طعمه ثم حُرِمَ منه، تعيسٌ
ألف مرة".

إيتالو كالفينو، الفارس الخرافي.

سبتمبر

مادة جديدة



وقف "إرنستو" يتأمل قطع البلاط الرخامية المتراكمة في الفناء. شعر بوجود شبه كبير وغير عادي بينه وبينها. كانت إحدى القطع رمادية اللون، ومصيرها أن تُدهس بالأقدام. بينما بدأت قطع أخرى في التحول إلى مثالٍ صلبٍ لأثاث المدينة. ظلت هذه القطعة الوحيدة في خطر أن تصبح غير مستخدمة ولا فائدة منها.

لم يكن وقوفه متأملًا في البلاط وسط حركة سريعة من الحيوية لا تتوقف ضواؤها صُدفَةً. كان يقف وحيدًا أمام النافذة الطويلة الجُرّارة. انحنى إلى الأمام ليستند بكوعيه على حافة النافذة، ثم عاد ليقف مستقيمًا. ارتكز بثقله على ساقه اليمنى، ثم ساقه اليسرى. دائمًا ما يكون في حيوية وحركة مستمرة. في النهاية، كان القلق يجد مخرجًا في تلك الحركة الاهتزازية العصبية للركبة اليمنى. لم يكن ذلك نتيجة لعدم ارتياحه جسديًا، بل بسبب التوتر الذي يسيطر عليه داخليًا. نوع من الفتور المُظلم المُلّازم له، والذي يُعذب من يصاب به بانتزاعه من عالم الواقع.

منذ عامٍ واحدٍ فقط، كانت الخلايا العصبية لـ"إرنستو" قادرةً على أن تقوم بالعديد من الأنشطة المتعددة بكفاءة مُبهرة. كانت نتيجة آخر اختبار ذكاء قام

به على سبيل التسلية فقط في إحدى المجلات يصل إلى 120. لكن، مضت الأيام، وأصبح مريضاً مُزمنًا. لم يعد هناك فرق كبير بين "إرنستو" والأبله.

عذابه أنه يجدها دائماً أمام عينيه؛ كانت "جوليا" قريبةً منه وفي الوقت نفسه بعيدةً عنه. دائماً ما كانت تفاجئه وهو حزين، وداًماً ما كانت تُسرّع للتخفيف عنه بكل عناية. ثم تعود لتصيبه بالحزن وتجرح قلبه.

ذلك الصباح، جاءت "جوليا" إليه ووقفت أمام النافذة. لم يتمكن من تهدئتها. كانت تهز رأسها الشقراء الجميلة وبها سماعات الأيود في أذنيها. ابتسمت له.

انشغل "إرنستو" برائحة قلمه الرصاص المبري. كان يفكر من حين لآخر في سبب وجوده على الأرض، دائماً ما تكون الإجابة هي أن يكون في السرير مع "جوليا". أهم ما في الموضوع هو نقطة الانطلاق والوصول: تتفاعل الحواس مع أي مؤثر خارجي لها: الابتسامة أو الصوت، اليدين أو النظرة. في تلك الأثناء يقاوم العقل مقاومةً ضعيفة، لذا فسرعة ضربات القلب والإثارة المفاجئة لهما الدور الأكبر. كان غارقاً في أفكاره تلك، لا حول له ولا قوة أمام سهام "جوليا"، عندما أصاب أذنه اليسرى لبانٌ ممضوغٌ أجبره على الانتباه للعالم الخارجي.

قال للشخص الذي ألقى عليه اللبان:

- لا تكن سخيفاً يا "چيبو".

أعادته حركة صديقه إلى الواقع، لكنه سرعان ما عاد لينغمس في تفكيره في "جوليا"، لكن، أعادته ضوضاء الكراسي التي كان يتم تحريكها وصوت خطوات أقدام، إلى الواقع بشكل نهائي. دخل الفصل رجلٌ في الخمسين من عمره تقريباً. كان وسيماً بشكل غير عادي، وطويل القامة. شعره طويلٌ يصل إلى رقبته، لونه مختلط بين الرمادي والأسود والأبيض. يده نحيفتان. لا يرتدي خاتم زواج. يحمل حقيبةً من الجلد

الطبيعي. أمّا عيناه ذواتا اللون الأزرق الصافي، فتشعّان بابتسامة مرحبة. كان يرتدي قميصًا من القطن برقبة طويلة، كحلي اللون. قال:

- صباح الخير يا أولاد.

استطاع بهذه الهيئة الوجودية وبمظهره أن يشد الأنظار إليه بسرعة فريدة. بعد أسابيع من الححص الخالية، قام أحد الأشخاص أخيرًا بالتقدم والظهور من أجل تدريس الفلسفة. تم استقبال الشخص الجديد باهتمام بسبب إعجاب النساء الشديد به، لكن هذا الرجل غير المعروف كان مختلفًا عن كل المتتردين المعتادين على المبنى، حيث أوجد إحساسًا عابرًا بالجابية؛ فالشباب الخمسة عشرة أيضًا ظلوا مبهورين به. قال الرجل:

- أنا "فيدريكو سيربييري" سأحل محل أستاذكم في مادة التاريخ والفلسفة. فاتكم الكثير من الححص، لكن من اليوم لن تكونوا وحدكم.

أخذ يتأمل مقعده ليرى إذا كان مريحًا أم لا، ثم جلس، ثم أخرج من حقيبتة دفتريه ومقلمةً وضعها على مكتبه مع برواز من الجلد الطبيعي. قال:

- هذه صورة ابنتي "أوديليا"، أحملها دائمًا معي. لا أظن أن هذا سيمثل مشكلةً. ارتفعت ضحكة ساخرة من أحد التلاميذ، لكنها لم تؤثر على "إرنستو" الذي كان في قمة تركيزه لدراسة حركات الرجل الذي كان منتبهًا تمامًا وكأنه في أرض المعركة. فتح "ماركو" عينًا على المعلم الجديد وهمس في أذن "ميكيله"، قائلاً:

- من هذا؟

رد عليه "ميكيله":

- واحد غريب. نم أنت!

انتهى "سيربييري" من ملء مكتبه بلوحة ملونة وتليفون محمول، ثم رفع نظره نحو مجموعة الشباب التي كانت أمامه. لاحظ على الفور اثنين من الـ"بيرسينج"، أحدهما على حاجب "چوليا" والآخر على الجانب الأيمن من فتحة أنف "مارتا". كما لاحظ مضغ اللبان غير المنتظم لـ"جيٲو"، ومزاج "إرنستو" السيئ، والنظرة المتشككة وغير المنضبطة قليلاً لـ"چورچو"، وطوق الشعر الذي يضعه "بييترو" على شعره المجعد. لم تفوته حتى أيدي "سارة" و"لورينزو" المتشابكة تحت المكتب. بينما لم يجذب الآخرون انتباهه منذ اللحظة الأولى.

كان "چورچو جريجور" يشغل المقعد الثالث من ناحية اليسار. شعره مجعد، مفتول العضلات، له لحية على وجهه الطويل تعطيه مظهرًا أكثر نضوجًا، ويرتدي قميصًا به خطوط رفيعة من إحدى الماركات الإنجليزية. يبدو عليه أنه يعتني جيدًا بمظهره. كانت يده تلاعب الشعر القليل الموجود تحت ذقنه، بينما نظرتة تدرس "سيربييري". كان مقعد "چورچو" ممتلئًا بالكتب المرصوفة الواحد فوق الآخر، وملازم ورقية مغلقة، ولاب توب كان قد أغلقه بحركة سريعة بمجرد أن ظهر الأستاذ على عتبة الفصل.

نهض "چورچو" واتجه إلى مكتب الأستاذ ووضع أمام عيني الأستاذ البديل شهادةً طبيةً وقال:

- هذه شهادة لـ"ماركو فالينتي"؛ فهو يعاني من مرض النوم القهري، أو التغفيق (ناركوليبسي).

ألقى الأستاذ نظرة سريعة على الشهادة، ثم نظر إلى الفتى النائم في الصف الخامس، ثم أعطى الشهادة لـ"چورچو" مشيرًا بالموافقة قائلاً:

- أشكرك على المعلومة، سأضع ذلك في حسابي.

رد "چورچو" بإشارة تأكيد ثم عاد إلى مكانه.

- إذا يا شباب، سمعتُ أنكم فصل غير سهل، لكن هذا الشيء لا يهمني. أنتم في السنة الثانية الثانوية، القسم الأدبي الكلاسيكي. يجب أن تجتهدوا بأقصى درجة، فالعام القادم سيكون صعباً للغاية، وبعدها تنتظركم الحياة في الخارج.

رفع "بييترو" رأسه وأبعد خصلات الشعر المفلفل التي كانت تنزل على وجهه على الرغم من ارتدائه طوق الشعر. للحظة فقط قبل دخول الأستاذ الجديد، كان يقوم بعرض على خشبة مسرح تحت الإضاءة، ويحرك مقعده كما لو كان جيتاراً كهربائياً. أثناء حلم اليقظة الذي كان يعيشه، ضحى بقلمه الرصاص وقلمه الجاف اللذين استخدمهما كأداتين للعزف. عندما دخل "سيربييري"، عاد "بييترو" إلى الواقع بعد أن أثارت حركات الأستاذ فضوله، ولكن آخر ما قاله الأستاذ خذله. كان ينتظر ابتكاراً وتفوقاً أكثر من حالة «منقول» فقد جهز مكتبه المدرسي لتوه لذلك. ويرى أن الحياة التي تنتظرهم خارج المدرسة هي حياة مظلمة، علاوةً على كونها تهديداً لا فائدة منه. قال:

- أظن أن كل هذا يبدو مملاً.

تنهّد "جورجو" مستسلماً بصوت مسموع، أمّا "إرنستو" فشرّد بذهنه ليتابع رحلة ورقة صغيرة كانت في يد "بييترو"، الذي ناولها لمن استحوذت على عقله.

- ستحصلون على شهادة الثانوية العامة العام المقبل، لذا يجب عليكم الاستعداد بكل قدراتكم الفكرية لأنها ستنفعكم.

ضحكت "چوليا" وهي تقرأ تلك الورقة الصغيرة المليئة بالرسومات والنكات، أمّا "جيبّو" فكان ينتهي من نقل ترجمة اللاتينية من كشكول "إرنستو" بسرعة معهوده.

- إنها سنوات تكوين يا أبنائي، حتى إن لم تكونوا على علم بذلك، العمل الذي تقومون به هنا سينفعكم دائماً.

- من أرسل هذا الرجل؟ "نوستراداموس"؟

لم يهتم أحد بالرد على "ميكيله".

كان "ماركو" رفيقه في المقعد قد استفاق من المشروب المنوم فقط لبضعة دقائق، لكن سرعان ما عاد إلى نعاسه.

- الجديد في الأمر هو أنني لن أعطي دروسًا في التاريخ أو الفلسفة في هذا الفصل. مواد لها كل الاحترام، لكن استخدامها في المجتمع قائم على لغة ميتة.

التصريح غير المتوقع أعاد إلى القاعدة كل السفن الفضائية الصغيرة المتناثرة وانتقل تيار غير مرئي من واحدٍ للآخر ليولد طاقة. تركوا خيالات الجنس والمخدرات وحدقت ستة وخمسون عينًا في "فيدريكو سيربييري".

كان "چورچو جريجور" يتباهى بسلوكه كقائد، وبحسه القوي للحماية تجاه النفوس البسيطة مثل "لويجي ريقولي"، المعروف لدى أصحابه باسم "چيڤو". كان معتادًا منذ أن كان طفلًا على أن يسأل عن سبب كل ما يحدث حوله. وقد نهض واقفًا وتدخل قائلاً:

- عذرًا يا أستاذ، التاريخ والفلسفة جزء من البرنامج الوزاري. أعتقد أن حضرتك على علم بذلك.

قام "سيربييري" بتقييم الفتى بداية من قميصه الجميل المقلم، ولغته الإيطالية التي تخلو من اللهجات ونبرة صوته المهذبة. وقبل أن يجيب، ترك مكانه خلف مكتبه وبدأ يسير بين مقاعد الطلاب.

- ما اسمك؟

- "چورچو جريجور".

- نعم يا "چورچو"، البرنامج يتضمن هاتين المادتين، لكن ليس لدي نية في اتباعه. الآن أحتاج إلى أقصى درجة من التركيز وأتوجه أيضًا إلى العقول الأقل تركيزًا.

توقفت نظرة "سيربييري" عند "جيبو"، الذي كان منشغلاً بالتلوين بالأصفر والأحمر رسمة عضو ذكري ضخم منحوت على مكتبه. قام "چورچو" بنغزه بالكوع، فترك الفتى ما كان يقوم به في المنتصف دون أن يكمله.

عبر الأستاذ الفصل بالعرض ليجبر المستمعين على الاستدارة بجذع الجسد بشكل كامل، ثم هياً نفسه وسط ذلك المشهد، كممثل، وبحركة بارزة سحب خطأ خيالياً في الأفق وقال:

- أخبروني كيف يُمكن للفرد أن يفكر إذا كان دون عقل؟

بدأت العصبية تنتشر بين الأولاد.

مال "جيبو" بجسده ضاحكاً نحو "چورچو" الذي يجلس بجانبه، وقال ساخراً:

- هل تعرف على أستاذة "جالوسّي"؟

تابع "چورچو" بكل ترحاب تعليقات صديقه، الذي يقع تحت حمايته، لكنه قال له فجأة بلهجة حادة غير متوقعة:

- اخرس! دعنا نسمع ما يريد قوله.

- العقل، يا أولاد، في عمركم هذا يجب أن يكون ذاخراً، لامعاً، وحاضراً. سيكون هناك وقت دائماً من أجل التاريخ والفلسفة...

كان الأستاذ الذي يقلل من مادته يُعد خارج البرنامج التقليدي على الأقل.

- هل معرفة أسباب وتطور الدكتاتوريات الكبيرة، وفكر "چوردانو برونو" سيساعدكم على الحياة بشكل أفضل هذه الأيام؟ فكّروا جيداً في الأمر. بالإضافة إلى ذلك، أنتم جيل معرض للانقراض.

هنا تركت اليد اليمنى لـ "جيبو" القلم الرصاص وطارت نحو فتحة أزرار البنطلون، رآه "بييترو" ووجّه لزميله نظرة تفاهم سريعة.

- الانقراض الفكري يا أولاد، على العموم ما زالت الفرصة أمامكم لإنقاذ أنفسكم هنا والآن.

بدا "سيربييري" غير مبالي بهمسات الدهشة التي لاحقت خطواته، بينما هو عائدٌ ليجلس على مكتبه.

- أن يجد المرء نفسه في هذا الحيز يمكن أن يكون له معنى واحد: محاولة عدم استنزاف شجاعة مَنْ هم أكثر جرأةً بانجرافات نرجسية وحماية مَنْ هم أكثر ضعفاً من استسلام كامل للأحداث.

كانت "مارتا" قصيرة ووزنها زائد قليلاً، لها نظرة عذبة تتفق بشكل جميل مع وجهها المستدير. ترتدي زياً طويلاً من القطن يصل إلى قدميها، وحول رقبتها الكثير من العقود الملونة. ولأنها كانت خائفةً على الـ"بيرسينج" الجديد، ظلت تلعب في الحلقة الصغيرة المدسوسة في الفتحة اليمنى للأنف متبعةً بذلك إرشادات "چوليا"؛ يجب تحريكه بشكل دائري معظم الوقت. أزعجها الأستاذ الجديد، لكن "مارتا" تحب المشاركة، لذا تشجعت وتدخلت في المسألة.

- معذرة.. معذرة يا أستاذ، ربما حضرتك لا تعرف أمراً ما، لكننا في المدرسة لدينا بالفعل أخصائي نفسي يتابعنا، أو بشكل أفضل يساعد مَنْ يظن أنه بحاجة إلى ذلك.

عندما انتبه "چييو" إلى التلميحات عن صديقه، شعر بنفسه مدعواً إلى القضية:

- هل حضرتك تريد أن تنتزع العمل من "كاميلو"؟ ذلك المسكين لا يستطيع أن يكمل الشهر بمرتبته.

أصبح "چييو" صديقاً مقرباً للأخصائي النفسي الشاب بالمدرسة، وقد أصبح المريض الأكثر تردداً عليه.

أراد الأستاذ أن يطمئنه فقال:

- لا تخافوا، فأنا لا أنشغل بعلم النفس، وأنا لا أستطيع معالجة بعضكم، لأنني إذا فعلت، فسوف تعاون من ازدياد في حالة الاضطراب المضادة للمجتمع، فهذا ليس واجبي.
- تبع ذلك حالة من الصمت، وعرض "جيبو"، الذي كانت له روح رائعة، فكرته قائلاً:
- فهمت يا أستاذ، حضرتك تود أن تعمل على راحتنا. أنا متفق مع حضرتك يا أستاذ؛ فهنا داخل هذا المكان ندرس كثيرًا للغاية، وأنا شخصيًا منهك.
- ضحك الفصل كله ضحكات خفيفة وفهم الأستاذ "سيربييري" أنه استطاع العثور على ذلك الشخص الموجود في كل الفصول، والقادر على نشر البهجة بين الرفاق كلهم. حتى الأستاذ نفسه شعر باستلطاف تلقائي نحو هذا الولد العملاق، الطويل ذي الجسد الرفيع، برأسه المحلوقة عدا بعض الشعر الذي يشبه عرف الديك، مثل أحد رجال قبائل الهورون. الهنود الحمر الذين كانوا يعيشون في أمريكا الشمالية قبل عمليات الإبادة التي عانوا منها على يد الإنجليز.
- بالعكس، المادة التي سأطرحها عليكم تحتاج إلى الطاقة والتركيز وقوة إرادة ملحوظة.
- هل سيجب علينا تعلُّم القفز بالمظلات؟
- وجه "جيبو" ابتسامة لئيمة بعض الشيء إلى الفصل وأعرب زملاؤه عن مشاركتهم له في العبارة المازحة التي قالها. كان "سيربييري" يدرك نيتهم في محاولة استدراجه فقال:
- أخشى ألا يكون هناك أحد هنا يتمتع بالجسد المناسب، ثم إن مادي التعليمية يمكن أن أطلق عليها مادة دفاعية أكثر منها هجومية.

انتبه المستمعون من جديد، متفاجئين من لغز كلامه. لهذا الرجل الغريب نبرة صوت أبوية، كما أن عينيه الزرقاوين الجميلتين تُظهران شيئاً فشيئاً عمق التجربة والخبرة.

- يا شباب! الأفكار الرائدة تُفزع دائماً، وأعرف أن في نهاية العام سينتظر الجميع، من ناظر المدرسة إلى الآباء، درجة مادة التاريخ والفلسفة في شهادتكم، وسيحصلون عليها، تلك الدرجة عديمة الفائدة. ما أقترحه عليكم الآن هو أن تتركوا خطة الدراسة والوسائل التعليمية القديمة لاستبدالها بآلية للدفاع الشخصي عن النفس.

كان "ميكيله" منذ بداية الحصّة يسند بقدر من الصبر رأس "ماركو" النائمة على كتفه، فنهض فجأة واقفاً على قدميه ليسبب - بالإضافة إلى الاستيقاظ المفاجئ لزميله - إثارة بعض الفرع للأستاذ الجديد.

- معذرة، اسمعني حضرتك. أنا أمارس رياضة الجودو منذ أن كنت طفلاً، وشاركت أيضاً في بعض المسابقات الإقليمية؛ فأنا بالتالي على ما يُرام بالنسبة للرياضة.

- لا، لا، أنا لا أقترح عليكم أبداً أي أنشطة جسدية، هي بالأحرى طريقة للتحكم الداخلي بالذات.

- يا أستاذ، هل يمكنني السؤال عن شيء ما؟

خلعت "جوليا" سماعات الأيود من رقبتها، وبعد أن ألقته على المقعد، قامت واقفة بسرعة، وبحس من التحدي لم تُخفه، أخذت تتقدم نحو مكتب الأستاذ.

- هل من الممكن معرفة ماذا تريد أن توضح حضرتك بالضبط؟

دون أي لحظة من التردد، نهض "إرنستو" أيضاً؛ فقد كان كل ما تفعله "جوليا" يعنيه بشكل مباشر. اقترب من صديقه، وبضغطة خجلة على ذراعها حاول إعادتها إلى الخلف، لكن دون نجاح. وقد لاحظ الأستاذ "سيربييري" محاولته جيداً.

- "چوليا"! توقفي عن ذلك، لقد حصلتِ على ثلاث ملاحظات سلبية.

- لا تقلقي يا "إرني"، أود فقط توضيح الموقف.

توقفت الفتاة عند الصف الأول بالقرب من المقعد الثالث وذراعاها متشابكان ومحدقة في الدخيل الجديد.

- أنا لا أريد اتباع برامج تأمل، ولا تعلم أنظمة تحكم في الذات أو أن أخضع إلى محاولات انتحال. أرجو أن أكون متحدثّة باسم الجميع.

قام الزملاء بإبداء موافقتهم، كالعادة منبهرين من وقاحة "چوليا". وكان التكشير عن أنيابها هو الأمر الغريزي الأول بالنسبة لها وعادة كان الآخرون يتكونها تبدأ بالهجوم. بدا الأستاذ سعيداً بجرأة الفتاة الجميلة النحيفة، ذات الجداول الشقراء. بدت كلوحة مرسومة لـ"بوتشييلي" وبطرقها التي لا تبدو نابعة من عصر النهضة.

- ما اسمك؟

- "چوليا براتيزي".

- "چوليا"! لقد كنتِ واضحة جداً، لكن أنتِ والزميل الذي سبقك بعيدان عن الوصول إلى

لب الموضوع.

نظرت "چوليا" إلى "إرنستو" الذي كان لا يزال ممسكاً بذراعها، وبكل طوع تركته يقودها إلى المقعد. ولكن العناية التي حرص بها الشاب الطويل النحيف على الحالة المزاجية لصديقتها، هي الحركة العاطفية التي أثّرت في "فيدريكو سيربييري".

- وأنت...

كان "إرنستو" قد انحنى لتوه ليلتقط قلماً عندما قام الأستاذ باصطياده من بين المجموعة.

أجاب وقد احمرَّ وجهه قليلاً:

- "إرنستو جرادي".

- جيد يا "إرنستو". هل أنت أيضًا ليس لديك فضول تجاه الأمر الجديد الذي أقترحه عليكم؟ ألم تتكون لديك أي فكرة عن ذلك؟

لم تكن لدى "إرنستو" أي آراء يريد أن يضعها في إجابة عن سؤال الأستاذ. هو على هذا الحال منذ فترة. حتى حينما يتعرض لمواقف غير متوقعة، لا يعطي لها أي رد فعل مميز.

- يا أستاذ، الأمر هو أنني.. خيالي محدود.

رفع "جورجو" عينيه إلى الأعلى في يأس وابتسم "سيربييري" ابتسامَةً كشفت عن صف أسنان ليس به ولو خطأ واحد. أدرك أنه بالنسبة لذلك الطالب جذب الانتباه كان يشبه السير على حافة هاوية. وبالتالي قام الأستاذ بجذب الانتباه العام نحوه.

- كي نعود إلى المادة الجديدة، سيتم عمل تصويت على اقتراحي؛ فإن قامت الأغلبية باختيار دروس التاريخ والفلسفة، سأجد الطريقة لكي يتم استبدالي بشخص آخر يكون عنده برامج أكثر تقليدية.

قامت الفتيات بتلقي تلك الاحتمالية بتهديدات تعبر عن الاعتراض؛ حيث شعرن بأن وجود ذلك الرجل كان سيجعل صوت المنبّه كل صباح أقل بغضًا.

- إن حدث العكس ووجدتُ أن الأغلبية منكم تريد اتباع هذه المادة الجديدة، سأظل أعلمكم، وأجعل منكم رجالاً ونساءً أكثر قوة، وعلى وجه الخصوص، أكثر حرية.

أمل "جورجو" في أن يجد أي رد فعل على وجه "إرنستو"، لكن صديقه كان شاردًا في يدي "جوليا" اللتين كانتا عبارة عن مجموعة من الملصقات الخاصة بـ"جرينبيس" Greenpeace.

- القرار يرجع إليكم. أنا متأكد من أنكم ستكونون على مقدرة من تطبيق قواعد الديمقراطية.

ربما لم تكن مجرد صدفة أن تتجه نظرة الأستاذ إلى "جورجو". كانت العينان الحيويتان للفتى تتابعان الأستاذ باهتمام، حريصاً على ألا تفوته أي تفاصيل. لم يكن "جورجو" يوافق "سيربييري" الرأي حول الفلسفة والتاريخ، لكن ذلك الأستاذ دخل الفصل وهو مصمم على إزالة الأتربة التي تراكمت على البرامج التعليمية للوزارة، وكان هذا كافياً لجعل "جورجو" يهتم بالاقترح.

لذلك نهض واقفاً على قدميه، وبوصفه الخطيب توجه إلى الفصل كاملاً:

- اسمعوا، المدرسة الثانوية الكلاسيكية أصبحت من إحدى الحفريات الضخمة، ودراساتنا أصبحت منفصلة تماماً عن المجتمع وبعيدةً عن التطبيقات الواقعية. استمع "سيربييري" إلى حوار "جورجو" باهتمام. روح المشاركة تلك ستصبح مثمرة يوماً ما. في الماضي، كان ليفضل أن يكون له مساعد مثل "جورجو جريجور"، ليس من أجل تدريس التاريخ والفلسفة، ولكن من أجل المادة الجديدة. ففي ذلك المجال كانت ستكون ملاحظاته البارزة فائدة كبيرة. استمر الفتى في خطبته:

- يجب أن نتحرر من ذلك العفن، والنهضة يمكن أن تبدأ من مدرستنا، التي تُعدُّ واحدةً من أقدم وأشهر مدارس المدينة. سأشرح بشكل أفضل: إن كان الأستاذ "سيربييري" ينوي تجميع مجموعة جديدة حوله، يمكننا أن نطلق عليها مثلاً "جيل بيت"⁽¹⁾، أو شيئاً من هذا القبيل، فأنا معه.

(1) - (جيل بيت (بالإنجليزية Beat Generation): هي مجموعة من الكتاب والجيل الذي تأثر بكتاباتهم في الولايات المتحدة الأمريكية ظهر في عقد خمسينات القرن العشرين بعد الحرب العالمية الثانية.

قام بعض زملاءه بالتصفيق. أمّا "بييترو"، الذي أثارته فكرة حرية تداول أي مواد مزاجية، رفع بحماس يده اليسرى المرسوم عليها وشّم وقال:

- "جيل بيت" فكرة عظيمة!

ابتسم "جورجو" لانطلاقة صديقه، بينما بدا على الأستاذ أنه يخزّن هذه المقترحات ليستخدمها في الوقت المناسب: ذلك الطفل ذكّره بنفسه في مرحلة شبابه، فهو مستعد دائماً لمعرفة المزيد.

سأل "جورجو جريجور" ليبدو دائماً أكثر اهتماماً بالمسألة:

- هل توجد أي أعمال نُشِرت من قبل عن هذه المادة؟

- تقول أعمال نُشِرت؟ بالتأكيد، وقديمة جداً، ونصوص بكل اللغات.

- جيد، ونحن مستعدون للاستماع.

نظر "جريجور" حوله، حيث أحاطت به مجموعة من الطلبة تقول: "نعم". أدرك الأستاذ أن جزءاً من الفصل يعتبره قائدهم. كان لا يزال صغيراً جداً، ولكنه كان أكثر يقظةً من بعض زملاء الأستاذ الذين وصلوا إلى التدريس. ويا ترى عن طريقة أي ضربة حظ!

- "جورجو" يا عزيزي، أشكرك على ثقّتك، وبالنسبة لشباب لامعين مثلك سيكون مفيداً

اكتساب الإرشادات التوجيهية لبرنامجي. الآن نتحدث عنا.

في لحظة من الصمت والسكون، أمسك "سيربييري" بقطعة من الطباشير كما لو كان يمسك بخنجر، معجباً بحالة الانتظار التي سيطرت على الطّلاب. أعطى ظهره للفصل وكتب على السبورة: "الآثار الخطيرة لحالة الحب على الأجيال الحديثة".

عندما استدار من جديد نحو الطلاب الثمانية عشر، استطاع أن يجد الطريقة لاختلاس

نظرات سريعة هنا وهناك ليرى العديد من الوجوه الشاحبة.

- هذا اسم برنامجي الدراسي لهذا العام الدراسي لفصل 3/2.

بدا وكأنه كشف السر الثالث لـ "فاطيمة"⁽²⁾ أمام مجمع من الكرادلة، وغير عابئ بنظرات الأعين المذعورة، ترك قطعة الطباشير تسقط على الأرض.

- في مدارس مختلفة، تم تطبيق برامج تعليمية حول مخاطر إدمان الكحوليات وحول الإدمان بشكل عام، لكن العشق وعواقبه الوخيمة، والحب بين الآخرين كان لا يزال مرضاً مؤلماً ومرهقاً، على الرغم من أن الاتجاه الأدبي الرومانسي يجده عذاباً ممتعاً.

لم يكن الأولاد معتادين على التوتر الذهني، فبدوا كمن التقط في الهواء مزهرية مينج الصينية قبل سقوطها على الأرض. كان الصمت يُعدُّ وقتئذٍ الإجابة الأقل تعبيراً. كان "جيبو" أول من حطم ذلك الصمت المحير وتوجه لقائده قائلاً:

- يا "جو"! ما رأيك؟ هل يجب أن نتصل بالإسعاف؟

لم يستطع الصديق - الذي كان لا يزال تحت أثر الصدمة - الإجابة على الفور. كان قد اقتنع لتوه بأنه قابل مرشدًا حكيمًا، ووجد فجأةً أمامه مريضاً نفسياً. استمرت حالة عدم القدرة على الكلام التي أصابت "جورجو" لعدة دقائق، بينما الأستاذ الجديد، بعد أن أعاد حامل الصور إلى مكانه في الحقيبة

(2)- ظهرت مريم العذراء القديسة في قرية فاطيما (البرتغال) على 6 ظهورات متتالية من 13 أيار إلى 13 تشرين الأول (أكتوبر) 1917 لثلاثة من الرعايا، لوسي دوس سانتوس (11 عامًا)، وقريبها جاسينتا (8 أعوام) وفرانثيسكو (11 عامًا). كشفت لهم العذراء مريم عن ثلاثة أسرار، يتعلّق الأول برؤيا عن الجحيم ويشير الثاني إلى تكريس روسيا لقلب مريم الطاهر. رسالة مريم في فاطيما كانت تتضمن أيضًا سرًا ثالثًا يتعلّق بهوية المسيح الدجال الذي ظهر في فلسطين سنة 1948. كان على باباوات روما أن يعلنوا هذا السر في سنة 1960، كاشفين بذلك هوية المسيح الدجال. لكن، بدءًا من يوحنا الثالث والعشرين، جميعهم خانوا هذا الواجب المقدّس، خوفًا من هذا المسيح الدجال القوي.

مع أغراضه الشخصية، توجّه نحو الباب. وقبل أن يخرج، أهدى ابتسامة تشجيع للفصل، غير عابئ بالنظرات المذعورة.

- فكّروا في الأمر يا أولاد. لقد انتهينا اليوم.

واختفى هكذا في الممر بتحية من يده.

بدأ على الفور الهمس المدوي، و"چورچو"، الذي كان قد استعاد السيطرة، سواء على نفسه أو على الوضع الجديد، صعد بقدميه على مكتب الأستاذ بقفزة مرنة، وقال:

- الصمت بعد إذنكم! استمعوا إليّ لحظةً.

بدأت الأصوات تتلاشى شيئًا فشيئًا.

- هل سمع أحد منكم عن اتفاق بين مدرستنا وبعض المؤسسات التي تطبق برامج إعادة تأهيل اجتماعية؟

هب "جيبو" واقفًا ليعترض قائلاً:

- يا "چو"، أنت تمزح، أليس كذلك؟ هل تظن أن "كاميلو" لم يكن ليخبرني إن دخل

المجانين إلى المدرسة؟

تدخلت "إلاريا":

- في رأيي إن كل هذا ليس إلا مزاحًا، وإن ذلك الرجل ما هو إلا ممثل. ألم تروا كيف

كانت عيناه؟

نظر "ميكيله" إلى "جيبو" قائلاً:

- بالتأكيد، إنها مزحة قام بها ذلك الأحمق "كاميلو"، وربما أنت أيضًا متورط فيها.

- آه يا "ميك"، كيف خطر هذا ببالك؟ أنت تدخن كثيرًا من السجائر التي أثّرت على

مخك.

شعر "جيبو" بالإهانة من اتهامات "ميكيله"، لكن ابتسامه ودية من زميله كانت كافية لإنهاء المسألة عند ذلك الحد.

تحدث "جورجو" بجدية:

- لا، هذه ليست مزحة.

أكدت "جوليا" العبارة كما لو كانت صدى لصوته:

- لا، هذه ليست مزحة.

ثم استكملت:

- كان بين يديه دفتر حقيقي، من الواضح جدًا أنه أستاذ.

جلس "بييرلويجي فلاميني" في الصف الخامس بجانب النافذة يُعطي ظهره لزاوية الفصل وساقاه مفرودتان أمامه. كان ينظر من حين لآخر في ساعته التي يبلغ ثمنها أربعمئة يورو، وللحظات قليلة كان يرفع نظرتَه الغامضة عن تليفونه الـ "Samsung S4" الذي يبلغ ثمنه سبعمئة يورو، ليوجّه نظره إلى زملائه الذين كانوا يتناقشون. وعندما كانت تتحدث إحدى الفتيات، كان يرتسم على وجهه تعبيرٌ بعدم الاكتراث.

بعمره الذي وصل إلى تسعة عشر عامًا والسنوات الدراسية الكثيرة التي رسب فيها، لم يكن لـ "بييرلويجي" أصدقاء في ذلك الفصل، ولكن بعض المتواطئين، مثل "إلاريا"، التي ظلت فتاته لفترة قصيرة من الوقت. قابل وصول الأستاذ الجديد بلا مبالاة كاملة، واكتفى بمراقبة تحركات "جورجو" من حين لآخر. ذلك الكريه "جورجو جريجور"، حيث اتهمه في العام الأول من الثانوية بالعنصرية أمام الجميع، من الطلبة والأساتذة، فقط لأنه وصديق له، قاموا بضرب أحد زملاء المدرسة وكان هندیًا، حيث قابله خارج أحد المحلات. وعلاوة

على ذلك، كان "چورچو" مؤمناً بأنه صاحب العبارات التي تمده "بريبك"⁽³⁾، والتي ظهرت على أسوار المدرسة.

كان كل ذلك حقيقياً، وكان "بييرلويجي" يضع في الاعتبار دائماً إمكانية إرسال "چورچو" إلى المستشفى وبه أحد الكسور. لكن خصمه كان خطيراً، وكان أبوه قاضياً، لذا فهو مستعد دائماً بمجموعة دفاع مستعدة باستمرار للتدخل. وبالتالي انحصرت هجمات "بييرلويجي" في معارضة "چورچو جريجور" بكل الطرق الممكنة. وهكذا فيما يخص وصول الشخصية غريبة الأطوار، قبل أن يتخذ موقفاً، كان "بييرلويجي" يفضل معرفة موقف "چورچو" حتى يستطيع معارضته.

قال "لورينزو" حاسماً رأيته ومنطلقاً نحو الباب:

- حتى ولو كان أستاذاً، لكنه غير طبيعي، سأذهب إلى ناظر المدرسة.

أوقفه "چورچو" قائلاً:

- انتظر لحظة، من فضلك يا "لورينزو"، فلنتناقش في هذا الأمر مع الجميع.

وكالعادة بمهارته في جعل الآخرين يشعرون بأنهم مسؤولون، نجح "چورچو" بسهولة في الإقناع. عاد زميله ليجلس مكانه، لكن الفوضى بدأت من جديد، وانهمرت الاقتراحات كالسهام. كاد الخوف يتمكن من الجميع، لكن عندما اخترق الأجواء صوت خطوات كعب أستاذة الكيمياء التي يعرفها الجميع، قرروا بسرعة عقد اجتماع عاجل للفصل. ذلك الشخص غير العقلاني طرق باب فصل 3/2. وكان يجب اتخاذ قرار بكيفية استقباله.

(3) - إريك بريبيك (Erich Priebke) رجل عسكري ومجرم حرب ألماني وعميل البوليس السري الألماني (Gestapo)، ونقيب وحدات شوتزشتافل أثناء الحرب العالمية الثانية.

داخل إحدى الشقق المضيئة، في إحدى المناطق السكنية بالمدينة، انتشرت رائحة حامضة أفسدت الهواء بكراهيتها، وفي البلكون ماتت زهور اللقلقية. وقطُ يموء أمام وعاء فارغ، وامرأة في السابعة والأربعين من عمرها، استيقظت، مثل كل صباح، مستسلمة لآخر يوم في حياتها.

فتحت "تشيشيليا باساني" عينيها فجأة بعد ليلة من الأحلام المخيفة، وبما أنها لا تجد "كارلو" في السرير، كانت تتذكر بألم كيف أصبح المستقبل بلا ملامح بسبب غيابه. مالت على حافة السرير كي تشاهد العديد من قطع المناديل الصغيرة المكمومة على الأرض. أصبحت أشياء ذات ضرورة أولية الآن. امتدت يدها نحو التليفون لكي تُخبر "بيننا"، البوابة، بضرورة توفير أربع علب على الأقل. كانت تصل إليها عبوات الـ"كلينكس" غالبًا في الفترة الأولى بعد الظهر، وفي اليوم التالي، وفي الساعة نفسها، تكون هذه اللقطة قد انتهت.

كانت عينا "تشيشيليا" تبدو وكأن بهما خزينًا لا ينتهي من الدموع، حيث انتشرت دموعها في كل مكان: فوق الوسادة، وفي فمها، وفوق مجلة السودوكو، وسيلة التسلية التي لا فائدة منها، وحتى طعم المياه في الكوب الموجود بجوار السرير كان أكثر ملوحة. كانت الدموع تخرج تقريبًا بمفردها، حتى إنها أحيانًا لم تكن تنتبه إلى سقوطها.

الجلد عند وجنتيها يؤلمها، ووجهها منتفخ ومقرح من كثرة فركه بالمناديل الورقية. لكن، عندما قررت منح نفسها غسلة مُنعشة للوجه، أرعبتها بشدة فكرة مواجهة مرآة في أحد الأجزاء المتوارية بالمنزل، وهكذا تراجعت عن قرارها.

كانت تعود على الفور إلى السرير، لتدخل من جديد في حالة من الهذيان متداخلة مع لحظات اليقظة التي لم تكن أقل عذابًا من النوم. كذلك تبدأ لحظات المعاناة المعتادة من القلق في بداية اليوم. كانت تنجح في تقليلها

باستخدام الجرعات المعتادة من المهدئات، ولكن في مواجهة الجرح الداخلي لم تكن الأدوية قادرةً على فعل أي شيء.

وكانها ضحية لعملية بتر عنيفة، على الرغم من أن كل جزء من جسدها في مكانه الصحيح، شعرت "تشيتشيليا" كما لو أنها مثل نصف تفاحة، وللدقة، مثل ذلك النصف الفاسد، الجزء التالف الذي تتم إزالته بحد السكين لكي يُلقى في القمامة.

نجحت في الوقوف على قدميها، والتوجُّه إلى المطبخ وهي تقاوم إحضار المقص وإنهاء الأمر. على الرغم من امتناعها عن الطعام، وذهنها المرتبك، فكَّرت أنه بالنسبة للأشخاص الذين ليس لديهم أبناء، يصبح الانتحار أسهل بالنسبة لهم. إنها الساعة الثانية إلا الربع في أحد أيام الإجازة، وهي لديها ابن مراهق يجب سد جوعه. كان من الضروري أن تفتح الغاز حتى تطهو فقط طبقاً من المكرونة. ومع الأخذ في الاعتبار أن جهاز قياس درجة الإحباط الخاصة بها أشار إلى درجات حرارة مرتفعة، وبما أنها وضعت مولوداً منذ سبعة عشر عاماً، كان ذلك يمثل عقبة مزعجة أمام مشروعاتها مما أدى إلى تحطيم نفسها.

كانت على وشك أن تضع الوعاء على النار، عندما شعرت برائحة مقرفة تنبع من تحت حوض المطبخ. عندئذٍ أخرجت كيساً. فجأةً توقفت عن التنفس، وسيطر القلق عليها. فأمامها صورة "كارلو"، وهو يبتسم ويرتدي زي التزلج على الجليد، بارزة بين رؤوس مقطوعة من البروكلي وأشلاء الدجاج الفاسدة. وسط عقدة من بقايا الطعام ومناديل مستهلكة كانت تظهر مخلفات حياتها: صور ممزقة، وخطابات حب مكومة، وأساور محطمة، وحتى قميص ممزق بعنف.

جزء كبير من هذه الأشياء يعكس ما حدث لها الليلة السابقة.

هكذا عبَّرت "تشيتشيليا" عمَّا بداخلها في لحظات نشاطها النادرة. كما لو كانت ضحيةً لحالةٍ من الهياج. كانت تمسك بالمقص، وبدقة رسام الصور

المزخرفة، تقصُّ السنوات العشر التي عاشتها مع الرجل إلى شرائط. ذلك الرجل التي كانت ترغب ساعة في معانقته بحنانٍ وساعة في رؤيته يتدلى مشنوقاً بجبل. ربطت "تشيتشيليا" يدي الكيس، وبينما تبكي بينها وبين نفسها، ذهبت لتضعه بجوار باب الدخول، ثم دخلت من جديد إلى المطبخ بعد أن وضعت جانباً المشروع المهرق للمكرونة، عادت لعمل حساءٍ بسيطٍ من الجزر.

عندما أحسَّت بصوت المفاتيح في فتحة الباب، جففت عينيها بكُمَي رائها. - "إرني"، أنا في المطبخ.

- حسناً، أنا قادم.. يا إلهي، ما هذه الرائحة النتنة؟!

استقبلت رائحة مقلب القمامة "إرنستو". أمسك بالكيس ذي الرائحة الكريهة، ووضعه خارج الباب وترك المشتروات على الكرسي في مدخل الشقة. بدأ القط في الاحتكاك بقدميه لطلب الإغاثة، قام الفتى بمداعبته، لكن لم يكن هذا كافياً ليملاً معدته.

- كيف تسير الأمور معك أنت؟ أظن بشكل سيئ، اذهب إلى المطبخ، اذهب.

اختفى القط في المطبخ، ودخل "إرنستو" إلى غرفته. ترك حقيبته على الأرض ووجد نفسه رغماً عنه أمام فتى شاحبٍ ونحيلٍ. كان مظهره الأرستقراطي هبةً من الطبيعة، لكنه كان يذكره بأولئك الشباب النبلاء في العصر القديم الذين يسهل تعرضهم للأمراض الناتجة عن زواج المحارم. عيناه داكنتان، وكذلك شعره؛ ما ورثه من أصوله التي تعود إلى "صقلية". كان أنفه مستقيماً، وفمه سميكاً، وجسده الذي كان يبلغ طوله مائة وثمانين سنتيمتراً كان قد شهد أفضل أيامه من قبل. في الأعوام التي لعب فيها كرة القدم بانتظام كان جسده مفتولاً يتسم بالمرونة، شاهداً على الصحة. كان ذلك هو "إرنستو" منذ زمن مضى، أما الآن فإنه ينظر في المرأة فقط نظرة فاترة على جسد نحيل أهلكه وجع قلبه من أجل الحب. يوشك على التبدد في يوم من الأيام دون أن يترك أثراً له.

سأل نفسه مرارًا إذا ما كانت حالته قد تدهورت هكذا لأن "جوليا" لم تكن تحبه، أم أن "جوليا" لا تحبه لأن حالته تدهورت هكذا.

بحثًا عن إجابة أكيدة، أخذ يفتش في درج مكتبه ووجد صورة الفصل عندما كان في السنة الأخيرة قبل المدرسة الثانوية. وبحثًا عن شيء من الحياة السابقة تأكد بمواساة لنفسه كيف كان في تلك الأوقات جميلًا ويافعًا. كانت بوارد السوء واضحة؛ حيث إن نظره لم يكن متجهًا إلى الكاميرا، ولكن تجاه الزميلة التي كانت تجلس في الجانب الأيمن من الصف الأول: "جوليا براتيزي"؛ أمّا هي فكانت تنظر أمامها.

ثم انتقل بنظره إلى "المشاكس (الستوكر)". كان قد أعطى "جورجو" هذا الاسم. كان "إرنستو" يعلم بأنه ساعد على تكوين شخصية استحواذية، لكن نيته لم تكن خطيرة، كان يريد فقط قُبَلات، ومُلاطفات، وعلاقاتٍ كاملة، وحب "جوليا".

كان الحائط مغطى بمجموعة "كولاج" صور مقصوصة ملصقة: "بييترو" على الجيتار، ووالده في شبابه، و"جيبو" و"جورجو" فوق الموتوسكيل، والمرة الأولى التي وجد الشجاعة كي يتحدث أثناء اجتماعه بالآخرين، حيث قام "جورجو" بتصويره. لكن معظم اللقطات كانت تُظهر "جوليا" منحنيةً بطرقٍ عدة؛ وهي تأكل ساندويتش، وهي ممددة على الأرض، وهي تطلع "مارتا" على إحدى أسنانها التي كانت تؤلمها، وأخرى وهي تربط إحدى فردي حذائها.

على المكتب، بين الكتب والدفاتر، كان يوجد الجواب العاطفي الذي كتبه لها الليلة السابقة. وببيدين مرتعشتين من النشوة، أو ربما من الإرهاق الشديد، أمسك به وقرأه من جديد. كان على وشك تمزيقه عندما - في لحظة من الصفاء الذهني - اكتشف صعوبة الابتعاد عنها فوضع الجواب مرة أخرى في الدرج.

ذهب ليأخذ المشتريات عند مدخل المنزل قبل أن يذهب إلى والدته في المطبخ. وجدها في حالة من التركيز الشديد لصف الجزر في أحد الأطباق، فوضع "إرنستو" كيس المشتريات فوق دولاب أدوات المطبخ ونظر حوله.

- المكان في حالة فوضى هائلة.

رفعت "تشيتشيليا" رأسها وأرسلت إليه قُبلةً خاطفةً.

- حبيبي، هل أحضرت لي الشهادة الطبية؟

- بالتأكيد. ألم تنتهي إلى أن القمامة كانت تخرج منها رائحة كريهة لا تُحتمل؟

- ذلك بسبب الدجاج الذي فسد. عندما تأتي "بيننا" ستأخذها لتلقيها.

تنهّد "إرنستو" في نفاذ صبر.

- لقد وضعتها بالخارج، هل وجود "بيننا" ضروري؟

كانت "تشيتشيليا" تفهم تعبيرات انتقاد ابنها لها، لكنها لم تكن على استعدادٍ لقبول الانتقادات.

- لا تبدأ في هذا يا "إرني"، وإلا سأعود إلى سريري. وإلى وصفة الطبيب بدواء الـLexotan.

كان "إرنستو" يشعر بمزيج من الألم والضيق.

- لقد أحضرتها لك.. اسمعي، لماذا لا تجربين أي علاج آخر بدلاً من المهدئات؟

- العلاج الوحيد البديل الذي يخطر ببالي الآن هو الانتحار.

ضحكت "تشيتشيليا" ضحكة مريرة، فلم يكن هناك داعٍ للتفاؤل. كان "إرنستو" يرى

والدته تتلاشى كل يوم بشكل أكبر بسبب المعاناة، فذهب ليقبّل وجنتها، فوجدها تنبعث منها رائحة الأدوية.

- أحضرت الخبز، وشرائح لحم الخنزير، وعبوتين من الجبنة الموتزاريلاً وبعض الكابوتشي،

هل تودين أكل شيء؟

فهم أن والدته لم تكن لتمس أي طعام، حتى في ذلك اليوم.

- يجب أن تفهمي أنه لا يمكنك الاستمرار في عدم الأكل.

- "إرني"، الطبيب قال أيضاً إنه يجب عليّ ألا أرهق نفسي، هل تتذكر ذلك؟

عاد القط ليفرك وليحتك بالكعب الأيمن لـ "إرنستو". كان يموء بإصرار يائس، فأخذ الشاب

المُشفق عليه علبة الحليب وملأ له الوعاء، ثم فتح باب الثلاجة الذي لم يكن به سوى بَصَلَة

واحدة ذابلة.

- يمكنكِ على الأقل محاولة الحركة، فقليل من الهواء قد يكون مفيداً لكِ.

وضعت "تشيتشيليا" بعض سيقان الكرفس بجانب الجزر.

- لا تضغط عليّ يا "إرنستو"، إن كنت قد طلبتُ إجازة فهذا يعني أنني لست على ما يرام.

هل تفهم ذلك؟ لستُ على ما يُرام!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

كان من الأفضل أن يكف عن ذلك، فأعطى لها ظهره وبدأ في وضع الأشياء في الثلاجة.

- اتفقنا، سأتوقف عن ذلك.

حاول "إرنستو" أن يخرج والدته من حالتها تلك، بعد أن هجرها منذ أسبوعين "كارلو" أو

"كوشيتونِه"⁽⁴⁾، كما يطلق عليه أصدقاؤه، دون إبداء أي أسباب، لكن محاولته حطمها شيئان:

الأول، فقدانه الطاقة، كأن تطلب من غريق أن يعيد قارباً إلى الشاطئ، أمّا الثاني، فكانت تلك

الحالة العصبية لـ "تشيتشيليا" التي فاجأت "إرنستو".

(4)- لفظ بالإيطالية يعني فخذ الساق وتقال لمن يمتلك فخذين ضخمين أو للشخص السمين وهنا للاستهزاء بالشخص.

ترملت والدته عندما كان عمر "إرنستو" ستة أعوام، فلم يتذكر الكثير عن ذلك الحداد، لكنه - في ضوء الاكتئاب الذي أصابها في تلك الفترة - لم يكن يستطيع تخيل رد فعلها لموت الرجل الذي عشقته، والأكثر من ذلك أنه والد ابنها. كان "إرنستو" يبحث عن الصفحة المفقودة لجرح "تشيتشيليا" العاطفي. أراد الوصول على الأقل إلى سبب مقنع لمحاولة والدته الانتحار بعد أسبوعين من العزلة، والاستلقاء على السرير لتستهلك خزين الكلينيكس. احتجاجة الداخلي وإحساسه المزعج بالذنب وغضبه، كل هذا لم ينجح في تبرير الألم الكبير الذي يشعر به تجاه ذلك الفرد المنبوذ الذي يُدعى "كوشيتونيه".

أخذ طبقين ليضعهما على المائدة وساعد والدته في ذلك الجو الكئيب المتعب الذي أصبح غذاءهما معًا.

قالت "تشيتشيليا" كما لو كانت تريد أن تثير جوعه:

- وضعت لك البيض نصف المسلوق.

لكن حتى "إرنستو" لم يكن مهتمًا بأن يأكل، فأجاب بنصف ابتسامة توحى بالعرفان، بينما يراقب بحزن ذلك الجسد النحيف للغاية الذي محا أي أثر للمرأة الجذابة التي اعتادت أمه أن تكونها.

- لا أظن أنه سيكون لديّ الوقت لكي آكل، فـ"جيبو" على وشك المجيء.

- ولكنك وصلت للتو.

- أتيت فقط لكي أحضر لك المشتريات. لدينا اجتماع استثنائي.

أخذت "تشيتشيليا" كيسًا من خس السلطة من الثلاجة وأفرغته في أحد الأطباق.

- لكن ألا تراني خارج السرير؟

بدا صوت "تشيتشيليا" كنغمة رتيبة لطفلةٍ تود إثارة غيظه.

- كنت أعرف أنكِ شيئًا فشيئًا ستبدئين في التفاعل.
- ظل "إرنستو" شاردًا أثناء أكله البيض نصف المسلوق.
- جلست والدته بجانبه، بينما يأكل الكابوتشي على مضضٍ، ولم تقل أي شيء لمدة ثلاث دقائق. لكن، وبينما تضع أمامه البيض، بدأت "تشيتشيليا" شكواها البسيطة، عارضةً مسألة لم تُحل أبدًا.
- هل تعلم ما أكثر شيء يعذبني في هذه القصة؟
- شعر "إرنستو" بأن المناخ العام ينذر بحدوث الأسوأ، فحاول تشتيتها.
- هل قلت لكِ عن تخفيضات محل الأثاث الموجود خلفنا؟
- كانت القطرات الأولى للمطر قد بدأت في التساقط بلا رحمة.
- لماذا حدث هذا لي؟ ماذا فعلت لأجعله يهرب هكذا بعد عشرة أعوام؟
- كان ذلك السؤال ذاته قد طُرِح على "إرنستو" باستمرار في الأيام الأخيرة. في المرة الأولى في المساء التالي لهروب "كارلو"، عندما وجد الفتى والدته تبكي على السرير. ثم سألتَه إيَّاه عشرات المرات على فترات منتظمة، بين ليالٍ من الأرق ولحظات من الجمود. وعلى الرغم من قلة خبرته، فإن "إرنستو" فهم أن الإجابة لم تكن لتخفف جروح والدته ولو قليلًا. لكنها كانت تعود دائمًا إلى المحاولة من جديد والدوران في دائرة مفرغة.
- أسأل نفسي كيف يستطيع "كارلو" العيش كل يوم بعيدًا عني. كيف يستطيع؟
- ابتلع "إرنستو" الكابوتشي والبيض بسرعة ماكينة شطف المياه.
- أمي، حاولي ألا تفكري في ذلك الآن. لماذا لا تتصلين بإحدى صديقاتك وتحاولين الخروج؟
- كانت محاولاته تنجح فقط في زيادة توترها.

- كيف وليس عندي القوة حتى لكي أصل إلى باب المنزل؟!
- قطع وصول "جيو" ورثه الجرس عليهما الحوار مثل التعزيزات الأمنية.
- يجب علي الانصراف الآن. ماذا عن "ليثيا"، ألا تريدان رؤيتها؟
- أنا لست في حالة تسمح لي برؤية أحد، يا "إرنستو"، لكن لا تقلق بشأنني.
- ودعته "تشيتشيليا" بابتسامةٍ كثيفةٍ، ثم استدارت وهي ترتعش من البرد، على الرغم من أن الصيف لم ينتهِ بعد. اتجهت إلى غرفتها، وابنها يتحدث خلفها:
- بمجرد انتهاء الاجتماع سأذهب لإحضار أسطوانة DVD لكي نشاهدها هذا المساء، هل تفضلين شيئاً بعينه؟
- لم تسمعه، لكن عندما وصل "إرنستو" إلى الباب نادته مرة أخرى:
- انتظر، سمعتُ أن أستاذ التاريخ الجديد جيّد، فما رأيك فيه؟
- ألقت عليه السؤال وهي لا تزال في غرفتها التي تبعد عشرة أمتار.
- عرفته اليوم فقط، ولم أكوّن فكرتي عنه بعد.
- اضطر "إرنستو" إلى رفع صوته.
- فسألته "تشيتشيليا":
- ولكن هل تحدث معكم عن شيءٍ ما؟!
- كان رنين الجرس للمرة الثانية كالإنذار الأحمر له ليسرع بالنزول.
- لا أسمعك يا أمي، سأحاول العودة مبكرًا، هل تحتاجين إلى شيء؟
- نعم، من فضلك اذهب لإحضار دواء Lexotan لي قبل أن تعود.
- لكن الصيدلية هنا تحت المنزل!

- "إرنستو"، اصنع لي هذا المعروف، نعم أم لا؟

شعر "إرنستو" وكأنه مثل كيس الملاكمة. كان يفتقد شخصية والدته القديمة كثيرًا، شخصيتها الإيجابية التي لم تكن تطرح أبدًا أسئلة غير مناسبة. لماذا لم تستطع التخلص من تلك المعاناة؟

الوصفة الطبية كانت فوق الأثاث في مدخل المنزل، وضعها في جيبه وفتح الباب.

- "إرنستو"، انتظر لحظة.

عادت "تشيتشيليا" أمامه من جديد. اقتربت وأخذت رأسه بين يديها وقبلتها. لحظة الحنان تلك استدعت الدموع على الفور. جفف "إرنستو" دموعها بحنان. عادت "تشيتشيليا" إلى غرفتها، وسمعها وهي تنادي على "المناديل".

نزل أول مجموعة من السلام جريًا، ثم تذكر أنه نسي شيئًا.

عاد أمام باب البيت وأخذ الكيس ذا الرائحة الكريهة ثم نزل السلام مجددًا. ظن "إرنستو" أنه ربما يكون هذا هو الفارق الوحيد بينه وبين والدته، أي النجاح في إلقاء القمامة. بعد سباق يستحق الجائزة الكبرى لمدينة "مونزا"، توقف "جيبو" و"إرنستو"، الذي استرخى أخيرًا، أمام جراج "بييترو".

دخل الاثنان عبر مجموعة سلام ضيقة إلى مكان واسع تحت الأرض. كان مخبأهم، سرداب الموتى الحديث، الحارس الدائم للأجواء التأملية والاجتماعات الصعبة، وفي تلك الليلة، كانت حماسة المجتمعين ونشاطهم تكاد تصل إلى حماسة جلسات البورصة.

كان رفاق الفصل يتناقشون بحماس وأصواتهم العالية تتداخل في دوي يصم الآذان.

وُضِعَت الأدوات الموسيقية لفرقة "ريد" Red جانِبًا. الفرقة الموسيقية التي يقودها "بييترو". على الرغم من وجود الكراسي، كانوا جميعًا واقفين بسبب

التوتر. في إحدى الزوايا جلس "بييترو" يضبط أوتار الجيتار، و"چورچو" يحاول تهدئة الجدل بين "مارتا"، التي ترى أن "فيدريكو سيربييري" مريضٌ عقلي فيإمكانهم مساعدته، و"لورينزو" الذي أجابها بأنه في هذه الحالات يجب أن يتدخل مسؤولو هيئة الصحة المحلية، وليس المدارس الثانوية الكلاسيكية.

جدال مشابه لهذا كان يدور بين "چوليا"، الجالسة على ركبتيها على الكنبه الوحيدة، و"بييرلويجي فلاميني". عادةً لا يشارك في تلك الاجتماعات، حيث اعتبر جراج "بييترو" جحرًا كرهه الرائحة مليئًا بالفُراد. ثم، كما لو كان كل هذا غير كافٍ، بل كان عليه أيضًا مواجهة أكثر زميلة يكرهها. العام السابق، تلك "البقرة" (كما كان يدعوها) التي تسمى "چوليا"، على رأس مجموعة من الفتيات، واجهته، وسخرت منه، وأجبرته على أن يتنازل عن إحدى وسائل تسليته المفضلة، وهي أن يجعل إحدى فتيات المدرسة تحضر له الإفطار في الفصل، تلك الفتيات الأكثر ضعفًا أمام سلوكياته الغليظة.

منذ ذلك اليوم وهناك حرب مفتوحة بين الاثنين.

لكن "بييرلويجي" لم يكن يريد الابتعاد ليترك الساحة لـ"چورچو" ورفاقه. وبالتالي ترك "چوليا" تدعم فائدة حضور ساعات التاريخ والفلسفة في ثبات كعادتها، وقاوم رغبته في أن يحطم خوذته فوق رأسها.

كان الجو معبأً برائحة الماريجوانا، ممزوجة برائحة عفن ورائحة زهور الباتشولي.

استقبل "چورچو" الاثنين المتأخرين بقسوة مايسترو الحفلات في السفارة الإنجليزية قائلاً:

- ألا تملكان ساعة؟

اعتذر "چييو" قائلاً:

- مهلاً، اعذرنى. كنت مع واحدة.

لم يفهم "جورجو" مخططات "جيبو" العاطفية، الذي كانت لقاءاته المختلصة دائماً وفي اللحظات الخطأ، والتي تنتهي بمطاردة عنيفة من خطيب الفتاة.

لكنه تغاضى عن الأمر كأن شيئاً لم يكن. حدّد "إرنستو" مكان "جوليا"، ثم اتجه إليها في هدوء، واستند على الذراع اليمنى للكنبة.

- إذاً فلنبداً، هل لدى أحد منكم أخبار عن الغائبين؟

قام "جورجو" بضرب الطبول لينتبه الجميع، ثم تحدثت "مارتا"، التي عُينت متحدّثاً باسم الزملاء الغائبين:

- "ساندرو" والآخرون غير مهتمين، فلو حتى "دراكولا" قام بالتدريس لهم بنفسه، فهم مع هذا لن ينجحوا هذا العام.

كان من الصعب بالنسبة لـ "جورجو" قبول وجود أشخاص غير مُبالين هكذا أمام ما يمرون به، لكنه قرر بدء الاجتماع على مضض.

- المسألة بسيطة، إمّا أن نبليغ الناظر بأن هذا الأستاذ مختل، أو...

قاطعته "إلاريا":

- فلنبقّه هكذا وسنموت من الضحك!

تعالّت الضحكات غير المنتظمة من جزء كبير من الحضور.

حاول "إرنستو"، بصعوبة، التركيز في المشكلة بدلاً من التركيز في فم "جوليا". صحيح أن أحد المجانين انضم إلى هيئة التدريس، لكنه، وعلى الرغم من الجدل الدائر حوله، لا يقدر على شغل باله بأي شيء آخر سوى جسد "جوليا". أمّا هي فلاحظت النظرات العاشقة التي ينظر بها إليها أفضل صديق لها، لكن أمامها الكوكب الذي يتحتم عليها إنقاذه، لذا فهي لا تستطيع الانشغال بمشكلات فردٍ واحدٍ. وهكذا فضلت ألا تجذب الانتباه حول شيء غير واضح، واستمرت في تجاهل ذلك العشق واستقبلته بابتسامة مضلّة.

- "إرني"، هل يُمكن معرفة أين كنت؟
- مررت على المنزل، كنت أَمَلُّ أن تأكل والدتي أي شيء.
- وكيف حالها؟
- ليست على ما يُرام، لكنَّ هناك تقدماً، لقد وجدتُها في المطبخ، على الأقل اقتربت من
الثلاجة.
- قام "چورچو" بضربةٍ ثانيةٍ بالعصيان على الطبول.
- قمت بالبحث واكتشفت أن "فيدريكو سيريبيري" درّس في جامعة ميلانو، ونشر كثيراً
من الدراسات في الفلسفة.
- ملأه الأمل متجاهلاً التعبيرات الفارغة لمن هم في العمر ذاته. لم يكن أحدٌ قادراً على أن
يسعد بالاحتمالات التربوية لمدرس جامعي، وعلى الرغم من ذلك كانت ثقة "چورچو" في
البشرية غير محدودة، وهكذا استسلم بتفاؤلٍ للاقتناع:
- اسمعوني، أنا أظن أنه جنون حقيقي منا أن نتنازل عن التاريخ والفلسفة، هل تتذكرون
أن العام المقبل لدينا امتحان الثانوية؟
- ومَن يهتم لذلك. الآن يبدو لي أنه حسن حظ كبير أن يتم حذفهما من المنهج المقرر.
- نهض "بييرلويجي" واقفاً ثم تقدم بضع خطوات نحو "چورچو".
- انتهى "بييترو" من لف سيجارة.
- هيا، فلنصوت بسرعة، لأن بعد ذلك يجب عليّ اصطحاب أخي إلى طبيب الأسنان.
- قال "جييو" ضاحكاً:
- هيا، فلنصوت من أجل ذلك المختل.
- أوه، أنت، رفقاً بتلك الأحكام.

- كلنا لدينا بعض الاختلال برؤوسنا، ألا تظن ذلك؟

كان كل من "جيبو" و"جوليا" يحب الخير للآخر، لكنهما كانا كالأبكم الذي يريد التحدث إلى أصم، وحتى إن كانا يحاولان دائماً أن يجدا طريقة للتفاهم، حتى ولو بالإشارات. انفجر "جيبو" في الضحك ونقل العدوى أيضاً إلى "جوليا".

- آه، يا "جولي"، قد تكونين على حق، لكنهم لا يدفعون لي كي أصبح مختلاً.

أما "بييترو" فكان يفكر في توحيد الأفكار، وبذل الجهد من أجل السلام الكوني وإجهاض المسافات الاجتماعية بين الأفراد، وخاصة إن كان أولئك الأفراد أصدقاءه، إضافة إلى أنه كان مقتنعاً بأن تمرير السجارة الملفوفة على أي حال يجعل أي اختلاف يتبخر.

- "جوليا" تود فقط أن تقول إننا ما زلنا لا نعرف شيئاً عن ذلك الشخص؛ فلنتجنب

الأحكام المسبقة البرجوازية المعتادة.

مرر "بييترو" له السجارة، فأخذها "جيبو" ورفع كتفيه غير مقتنع تقريباً. الأستاذ الجديد لم يكن عقله بحالة جيدة، ولم يكن هناك داعٍ للوقوف كثيراً عند ذلك الأمر، ولكنه لم يتنازل عن قول رأيه:

- الحقيقة هي أنه لم يعد هناك من يريد القيام بتلك المهنة؛ فهم لا يربحون منها ما يستحق الذكر، لذا فهم يذهبون إلى مراكز الصحة العقلية للبحث عن شخص تكون لديه الرغبة في التدريس!

كان الجميع يضحكون، ولكن "جورجو" أراد استغلال الوقت، وقبل أن يعم الارتباك التام، استأنف مرافحته عن القضية.

- اسمعوا، أنا أفهم الأشخاص الذين فقدوا عقولهم. أشعر بالتعاطف معهم، لكننا لا

نستطيع الاستغناء عن هاتين المادتين، واضح؟

قليلون من كانوا يشاركونه قلقه ولم تكن بينهم "إلاريا".

- آه، لقد أصبح "سيربييري" هذا تحولًا ملحوظًا، ثم إنه وسيم وجذاب للغاية، وفي نهاية الأمر ليس ذنبنا إن لم يكن لدى الأستاذ رغبة في التدريس، إنها مشكلة المدرسة.
- تدخلت "جوليا" وقالت ساخطةً:
- هل أجروا لكِ عمليةً جراحيةً في فصوص المخ؟
- فأجبتها "إلاريا":
- انظري كيف تتحدثين، في وقت قصير للغاية ستبدئين في النباح.
- أحسنت، إذًا، ماذا ستقولين لهم في امتحان الثانوية إن ضاع منا عام من مادة التاريخ والفلسفة؟
- ارتفعت الأصوات في المكان واستمرت الضوضاء، وكان "جورجو" من فترة لأخرى يضرب الطبول ليخمد تلك المشادات الكلامية.
- "جوليا" معها كل الحق، ولكن هل تريدون العودة إلى أرض الواقع؟
- ارتفع ضجيج من الاحتجاجات إثر كلماته الأخيرة. نظر "بييترو" إلى الساعة التي كانت في يد "مارتا" وعاد بالقرب من "جورجو":
- دعهم وشأنهم، فهم تائهون، ولكن علينا أن نتحرك. فلقد طلب هذا الرجل تصويًا ديمقراطيًا، فلنصوت ولينته الأمر.
- شعر "جورجو" بحاجة يائسةً إلى حلفاء، فأخذ يحرك رأسه علامة الموافقة والتفهم.
- "إرنستو"، ما رأيك في هذه القصة الغريبة؟
- كتم "إرنستو" تنهيدةً غاضبةً كادت تفلت منه، فصديقه هو ضميره الذي كان يستدعيه من تحت الأرض حيث دفنه.
- هل لرأيي حقًا أهمية؟

كان "إرنستو" يدافع عن نفسه. هاجمه "چورچو" قائلاً:

- بالنسبة لي نعم، قل لي.

- اسأل شخصاً آخر، فأنا لست مستعداً.

كان "إرنستو" يدافع عن نفسه مجدداً.

- وإلى ماذا تحتاج كي تتفاعل، إلى صراعٍ نووي؟

كان "چورچو" مصمماً. مرَّ عام وهما على ذلك الوضع.

- أنت تعلم أن لديّ مشكلات في المنزل، ألا يمكنني أن أتحنى جانباً من حين لآخر؟

- من حينٍ لآخر. أي كمّ من الوقت، أربع وعشرون ساعة في الأربع والعشرين ساعة؟

قاطعت صرخة "إلاريا" الجدل بينهما:

- "ريكي" ينتظرنني منذ نصف ساعة في البار! فهل يمكننا أن نسرع في هذا التصويت؟

استنفذ "چورچو" الموضوعات والقوة لتحريك صديقه، وأشار إلى "مارتا" كي تعلن النتيجة.

كانت سعيدة لاختياره لها للقيام بهذه المهمة. أخذت ورقةً وقلماً حتى تنقل نتيجة

الاستشارة. وبدأ الشباب من جديد في مواجهة غير منظمة.

بقفزة مفاجئة انتزع "بييرلويجي فلاميني" من يدي "چورچو" العصا وضرب الطبول ضربة

عنيفة شريرة.

- إن رفض أحد المجانين القيام بعمله، فهذه ليست مشكلتنا، أواضح هذا للجميع؟

ثم ألقى العصا تحت أقدام "چورچو". وبسرعة فسد الاجتماع، وتم الانتقال من مرحلة

الصراخ إلى مرحلة السباب في وقت قصير للغاية. فصعد "چورچو" فوق إحدى الموائد، بينما

تبعه "بييرلويجي" متجهماً وأمسك غاضباً برقبة قميصه ماركة "لاكوست".

- إذاً فلنصوت، ولكن أولاً علينا أن نتفق. نتيجة التصويت يجب أن تُقبل من الجميع،

ولن يقوم أحد بفعلةٍ مُشينةٍ بأن يذهب مثلاً ليليلخ الناظر، حسناً؟

كانت نبرة "چورچو" متزنّةً دائماً.

فوبخه "بييرلويجي" قائلاً:

- ومن أنت لكي تقول لنا هذا؟

- أنا لا أحد، فبالفعل نحن على وشك أن نصوت كلنا معاً، هل تعرف ذلك الشيء الذي

يقومون به في الديمقراطية؟

- اسمع يا أبله، سواء قمت بالتصويت أو لا، فأنا أفعل ما يحلو لي.

هكذا استفزه "بييرلويجي"، وحينئذٍ شعر "جيو" أن من واجبه الترجمة إلى لغة تجعل

"بييرلويجي" يستطيع فهم كلمات حاميه وصديقه، وفي الوقت ذاته قواعد الديمقراطية.

- سأشرح أنا لك ذلك يا "بييرلويجي". ذلك الملعون الذي لن يقبل بنتيجة التصويت

ويقوم بالتجسس لحساب الناظر لن يصل إلى بيته سليماً.

فهم "بييرلويجي" ما قصده "جيو" أفضل من الكلام الأصلي فلم يضيف أي شيء آخر.

وفيما يخص الغائبين فسيصل لآذانهم تهديد "جيو" خلال وقتٍ قصيرٍ أيضاً.

كانوا كلهم منهكين من المواجهة، عندما حدد "جيو" بدء التصويت برفع اليد.

- إذاً من يرد الإبقاء على هذا الأستاذ المختل واقتراحه غير المنطقي، فليرفع يده.

ارتفعت إلى الأعلى عشر أيادٍ مقتنعة، وبعد بضعة ثوانٍ انضمت إليهم ثلاث أيادٍ أخرى.

قام "جورجو" بعدهم مرة أخرى غير مصدق لما يحدث، ثم استكمل:

- من يرد أن يخبر هذا الأستاذ أننا نريد دراسة التاريخ والفلسفة، سواء معه أو دونه،

فليرفع يده.

لم تكن هناك مشكلات أمام "جورجو" ليقوم بعدد أصوات "إرنستو"، و"جوليا"، و"بييترو"،

و"مارتا"، و"ميكله"، الذي انضم إليهم بعد نظرةٍ مُخيفةٍ وجهها إليه "جيو"، الذي حاول أيضاً

أن يرفع يد "ماركو" النائب على الكنبه الوحيدة، ولكن تم إلغاء ذلك الصوت على الفور.

الأغلبية، أي ثلاثة عشر مقابل سبعة، أرادت تجربة المادة الجديدة، بينما بدأت ثقة "جورجو جريجور" في الإنسانية تنهار.

الفتى الذي كان مخلصاً لمبدأ الواقع حاول مرةً أخرى أن يُعيد التصويت للمرة الثانية التي أكدت نتيجة المرة السابقة، وحينها قام شيطان بتحويل الروح القانونية لـ "جورجو".
- هل يُمكن أن تكونوا حمقى هكذا؟ نحن في المدرسة الثانوية، هل تفهمون هذا؟
لم يدعُ "بيرلويجي" الفرصة تفوته:

- أنه هذا الأمر يا "جريجور"، لقد قمنا بالتصويت. تقول عني الكثير، ولكنك فاشي!
- حاول أن تكرر هذا مرةً أخرى!

لم يكن "جورجو" ليرفع يده على أحد أبداً أولاً، ولكن "بيرلويجي" ألقى عليه كرسيًا أصاب بدلاً منه "ميكيله" ومن هنا بدأ عراك صغير مثل ما يحدث في الملاهي الليلية بين الخصمين اللذين أبعدهما الزملاء عن بعضهما. قام "جيبو" بصد ضربة كانت موجهة إلى "جورجو"، وتلقت "مارتا" دفعة قوية من "إلاريا". أمّا "بييترو" فكان يرتب بهدوء غريب آلاته الموسيقية بمساعدة اثنين من أعضاء الفرقة. كانت البنات تصرخ، و"جوليا" تصرخ في الجميع حتى يتوقفوا عن المشاجرة.

نجحوا في التوقف فقط عندما انتبهوا إلى أن أخا "بييترو"، ذا الثمانية أعوام، كان مستعداً للذهاب إلى طبيب الأسنان، وقد نزل من شقتهم بالدور الأعلى، وهو يبكي بائساً.



أكتوبر

عواقب الحب



انتهى سبتمبر فجأةً مع الصيف، لتحل مكانه رياح باردة، ودرجات حرارة أقل من المعتاد. كانت توقعات الطقس للشهر التالي، المعتدلة عادةً، متقلبةً. في تلك الأيام الأولى من أكتوبر تقريباً في كل صباح كانت هناك احتمالية حدوث عاصفة، ولكن العواصف المشحونة كانت تهدد بآثارها المقلقة مناطق أخرى من المدينة. على أي حال، ذلك التهديد كان كافياً ليقلق الملتحقين بمدرسة "مورجانت" وطلاب فصل 3/2 بشكل خاص الذين كانوا يعتبرون أنفسهم ضحيةً لظاهرةٍ خارقةٍ للطبيعة. وإلا فلماذا من وسط سبعة وأربعين فصلاً كان من حظهم ذلك الأستاذ غير المألوف؟

في أحد أيام الإثنين، استيقظ "فيدريكو سيربييري" كالعادة في تمام السادسة، واتجه إلى غرفة "أوديليا"، حيث كان "فلاك" نائماً على السرير. كانت الصغيرة قد قامت ببعض الإجراءات لعلاج كلبها اللابرادور.

قبل أن يتناول قهوته، حضّر الأستاذ وعاءً كبيراً من الأرز المنفوش ومقرمشات الدجاج. ذلك الحيوان يستغرق خمس دقائق تقريباً لينتهي من تلك الوجبة التي اعتاد أكلها لأسبابٍ غير مفهومةٍ على فترتين. وبالتالي هيئاً الأستاذ نفسه لتناول إفطاره والاستحمام سريعاً في تلك الفترة القصيرة. وبمجرد انتهاء

الكلب من تناول الطعام، كان حارسه يصطحبه إلى الخارج من أجل الجولة المعتادة حول العمارة.

ظلت غرفة "أوديليا" كما تركتها وهي طفلة قبل أن تذهب إلى والدتها في مدينة "ميلانو"، وقد أصبح "فلاك" مالكا بلا منافس.

لاطف "سيربييري" بديل ابنته، وأشبعه بالمجاملات الزائدة، ثم أخذ حقيقته المثقلة بالأوراق واستعد لمواجهة يومه. وصل إلى محطة الأتوبيس وجلس على المقعد تحت مظلة المحطة ثم فتح الجريدة ليغرق في أحداث العالم، فكان يقرأ ويقيّم حال الإنسانية بين الحروب والأمراض وحوادث القتل والمصائب وكيف كان الشباب كالعصفير الصغيرة التي لا حول لها ولا قوة متروكين ليغرقوا في بحر من الإحباط. كان يود أن ينقذهم جميعًا، مهما تكلف ذلك من مليارات، لكنه ذكّر نفسه بالمهمة الوحيدة التي يمكنه القيام حقًا بها: تخفيف الأوجاع المعنوية. كان ذلك المشروع بالنسبة له طموحًا، ففكر بالتالي أن تلك هي المهمة الرئيسة لكي يركّز على ما هو أكثر تهديدًا من غيره.

عندما نزل من الأتوبيس بالقرب من البار المعتاد، كان "خالد" بانتظاره في الزاوية بعلبته الخشبية، ومجرد أن رآه من بعيد، جرى نحوه مسرعًا ويده ممدودة إليه.

- أهلاً يا صديقي.

- صباح الخير يا "خالد".

- أنت دائماً منضبط في موعدك، كيف تحافظ على انضباطك هكذا؟

- وأنت أيضاً دائماً منضبط في موعدك.

- ولكن أنا عندي ما يجب عليّ عمله.

- وهذا من أحد الأسباب التي لا تجعلني أدعك تنتظر.

قام الأستاذ بتحية الشاب السنغالي بضربة لطيفة على كتفه. ثم اتجه بنظره إلى اللعبة الخشبية المعلقة في رقبته، حيث تبعثرت بها عشرات الجوارب البيضاء بلا نظام. تلقى "خالد" تلك اللعبة كهدية من الأستاذ، ومن حينها يتجول في الحي مثل بائعة السجائر بـ"كرازي هورس" (Crazy Horse)، متعرضاً لسخرية أبناء الحي.

- اليوم أنا على عجلة من أمري قليلاً، أموري كلها مرتبكة.
لم يتمكن "سيربييري" من أن يمنع نفسه من ترتيب بضاعة "خالد"، وبدأ على الفور في القيام بذلك، حيث قام بتقسيم الجوارب إلى صفوف منتظمة، وفقاً لمقاساتها.
بعد انتهائه من الفصل بين الجوارب ذات المقاس 38 و40، سأل الأستاذ:

- هكذا كل شيء على ما يرام، أليس كذلك يا صديقي؟
كان الفتى يقبل دائماً بكل لطف التصرفات غير المفهومة لـ"سيربييري"، فبعيشه في الشوارع تعرّف على أشخاص غريبة، وأيضاً أشخاص عنيفة. على أي حال فضل ذلك الرجل عليه كبير؛ فممنذ أن تعارفا ظل يقدم له الإفطار مرتين أسبوعياً.

كان "خالد" على وشك الزواج في قريته في السنغال، عندما دفعته الظروف إلى السواحل الإيطالية. فهم الأستاذ منه أنه لم يكن هارباً من الحرب أو المجاعة، وإنما من الحب. فضّل الشاب أن يدفع بنفسه إلى بلد غريب وغير مضياف لمجرد الهروب من مصير أكثر ظلاماً كان ملاقيه حتماً إذا حدث وتزوَّج.

في كل مرة كان "سيربييري" يراقب فيها "خالد" وهو يأكل، كان يفكر في أن الجوع أقل خطورة من المصير الذي ينتظر ذلك المسكين في وطنه. بعدما دفع حساب الفتى، افترق الاثنان وذهب الأستاذ تجاه المدرسة. اليوم موعده مع طلبة فصل 3/2، الذين ينتظر منهم رداً حول اقتراحه الذي قدمه لهم الأسبوع السابق، آخر أسبوع في شهر سبتمبر. وضع في اعتباره إمكانية أن التصويت لن يكون في صالحه، فإذا حدث هذا، كان سيضطر إلى ترك مكانه لأحد زملائه،

حتى يخرج من حياتهم بالسرعة التي دخل بها إليها، لكن على الرغم من ذلك الاحتمال، فإنه أمل في الاستمرار معهم.

كان الأستاذ يحمل حقيبة ثقيلة، بداخلها مجموعة أوراق لطلاب السنة الثالثة، ذلك الفصل الذي كان يعطي فيه دروسًا عن استقامة العقيدة، ونصًا كتبه هو بيده. "المرأة في الثورة الفرنسية"، ولكن معظم المادة كان مخصصًا لفصل 3/2.

بعد أن سار لمدة عشر دقائق، ظهر مبنى مدرسة "مورجانتيه" المتسع العملاق أمامه. تتكون المدرسة من مبنى قديم مُحاط بفناء واسع يستوعب صالة ألعاب ومعمل كيمياء وحديقة نباتية هي فخر طلبة السنة الثالثة الذين زرعوها واعتنوا بها. توجد بوابة حديدية مزودة بجهاز إنتركم تُحدد الأشخاص المسموح لهم الدخول إلى الفناء، ومن ثم إلى المبنى. وفي الخارج على الرصيف الواسع أمام البوابة، في ذلك اليوم بالتحديد، ظهرت طاولة "جرينبيس" Greenpeace. وقف حولها ثلاثة فتيان يجتهدون في توزيع منشورات بها عشرات الأسباب من أجل الاشتراك في حملة عالمية لمواجهة السلاح النووي.

كانت "جوليا براتيزي" ترتدي معطف "البونشو" الملون بألوان قوس قزح، وبيدها مكبر صوت تشجّع به زملاءها على المشاركة في تلك الحملة. كان صوتها يهز الفتيان الناعسين وغير المهتمين في تلك الساعة الصباحية منددًا بالأذى الناتج عن الاختبارات الذرية في جزر مفقودة في المحيط الهادي.

صرخت قائلة:

- بسبب الاحتباس الحراري فقدنا بالفعل 30% من الدببة القطبية في العام!

شعر "فيدريكو سيربييري" بالدهشة والسرور بتلك الطاقة، فقد كان يتمنى أن يعيش عمره وهو في السادسة عشرة بتلك الطريقة، وليس فقط في رفقة الكتب. كان يتابع معجبًا بأفعال الفتاة، عندما شتت انتباهه صوت محرك

أحد الموتوسيكلات من الجانب الأيمن، كان "بييرلويجي فلاميني" هو سائقه ويحمل معه راكبًا يبدو مثيرًا للقلق. اقترب متسابق الموتوسيكلات من الطاولة الخاصة بحماية البيئة. تحدث "بييرلويجي" بصوتٍ خافتٍ مع صديقه، ثم رفع مقدمة موتوسيكله، وأعدَّ نفسه لإفساد ما يحدث. كان صوت محرك الموتوسيكل يدويًا ويخرج منه عادمٌ أسود، لكن يبدو أنه لم يكن يهتم لذلك. جُلَّ اهتمامه كان ينصبُّ على إثبات قوة وسيلة التنقل خاصته. وأضاف إلى ذلك العرض ما يعادل خمسين "ديسيل" من التلوث السمعي.

لم تكن النظرات المنزعجة للزملاء لتوقف أفعال "بييرلويجي فلاميني"، ولم تكن لدى أحد الجراءة على إيقاف مبادراته غير السلمية والجنونية. لا أحد عدا "چوليا براتيزي"، فتاة تتميز بشخصية قوية تستطيع أخذ حقها بيدها.

- هلاً تكف عن إخراج كل هذا الدخان؟

كان صوت "چوليا" الذي ضخمه مكبر الصوت قد وصل إلى تل "مونته ماريو"، ومن هناك وصل أيضًا إلى القطب وكندا وغابة الدب الكبير.

لم يستغرق رده وقتًا، وقال:

- ماذا تريدين؟

- إنك تلوث رائحة الهواء!

أوقف "بييرلويجي" الموتوسيكل وظل صامتًا لبضع دقائق، لكن بمجرد أن استدارت عدوته "چوليا"، مر أمام الطاولة وألقى رزمة من المنشورات على الأرض.

استدارت "چوليا" فجأةً لتنتفض كما لو كان قد شكَّها دبوس:

- أيُّها الوغد، لقد فعلتها عن عمد!

- هل أنت غبية؟ لقد اصطدمت بها دون قصد!

دفعته "جوليا" بقوة، وكان "بييرلويجي" على وشك صفعها عندما تدخل "سيربييري" ليفرق بينهما.

- مهلاً يا شباب، هذّئوا من روعكما.

وجد "بييرلويجي"، الذي كان يقترب من "جوليا" ويده مفتوحة مستعدة للضرب، نفسه أمام الأستاذ الذي وقف حاجزاً أمامه لحماية الفتاة.

- إنها مجنونة؛ فلتصحبها بعيداً.

وجّه إلى "جوليا" نظرة سيئة وابتعد متجهاً نحو الفناء. حاولت ملاحقته، لكنها لم تنجح في الإفلات من يد الأستاذ.

- أنت لن تكون موجوداً دائماً لكي توقفني، هل تعرف ذلك؟

- العنف سلاح الضعفاء، ثم إنه من الأفضل أن تحتفظي بطاقتك للدفاع عن الحيتان.

ابتسمت "جوليا" ابتسامة بها شيء من الريبة ثم رأت بشيء من الدهشة أن "سيربييري" كان يقترب من الطاولة.

- هل يُمكن أن يعطيني أحدٌ نموذجاً؟ فأنا أود أن أشارك في حملات "جرينبيس" Greenpeace منذ فترة.

قبل أن ينتهي من عبارته، كان قد أمسك بيده بنموذج التحاق، وقرأه بانتباه وملأه ثم ترك تربعاً سخياً في الصندوق. كانت "جوليا" تتابع تحركاته بريبة.

- لا تظن أنك ستشتريني هكذا؛ فلقد أعطيت صوتي ضد اقتراحك.

- خيراً فعلت يا عزيزتي، فيجب أن يفكر كل شخص برأسه دائماً.

ثم وضع الأستاذ قلمه الحبر في جيب سترته.

- سوف نتقابل في الفصل يا "جوليا".

ثم ابتسم بلباقة إلى حماة البيئة الشباب وانطلق هادئًا نحو يومه المليء بعلامات الاستفهام. استمرت "جوليا" في مراقبته لعدة دقائق، ثم انتبهت فجأة إلى تلك الظاهرة الغريبة التي كشفت عن العظمة المختبئة خلف ملامح الأستاذ الجديد. لم تكن لتتخيل على الإطلاق أنها قد تجد أحًا روحياً في شخص يبلغ الخمسين من عمره من الفئة التي كانت تكرهها أكثر من غيرها، لكن يبدو أن هذا ما يحدث معها الآن.

- أستاذ!

توقف "سيربييري" لانتظارها، وعندما دخلا الفصل معًا، لَوَّح الأستاذ أمام التلاميذ بنموذج "جرينبيس" Greenpeace.

- الدفاع عن هذا الكوكب شيء يتعلق بنا جميعًا. وأنصحكم بمساعدة الأنسة "براتيبي" في مشروعها هذا.

رفعت "جوليا" كتفيها غير مبالية بالهمسات الساخرة لزملائها.

انفجر "بييرلويجي" في ضحكة خبيثة، قائلاً:

- إذا قلت حضرتك هذا، فلنا أن نشق بذلك.

لم يبدِ الأستاذ اهتمامًا لمحاولة الاستفزاز تلك، ووضع حقيبته على الأرض، ثم وضع صورة "أوديليا" على مكتبه، وهو سلوك أثار أيضًا الدهشة، ثم أخذ وسادة مصنوعة من ريش الإوز.

- مَنْ منكم يُمكنه أن يصنع لي معروفًا بوضعها تحت رأس زميلكم النائم؟

عبرت "مارتا" عن رغبتها في التعاون؛ لتلبي بعناية طلب الأستاذ، وهكذا وقفت لترفع بلطف رأس "ماركو" كي تريحها على الوسادة.

- هل تعرف يا أستاذ أنني كل يوم أفكر في أن أحضر له وسادة، لكنني لم أفعل ذلك أبداً؟
- كانت "مارتا" قد احمرَّ وجهها وهي تختلس النظرات إلى زملائها خائفة من تعليقاتهم.
- يجب أن تفتخري بحساسيتك، وأشكرك من جانب "ماركو".
- عادت "مارتا" إلى مكانها، وبعض من الاعتزاز بالنفس أضاء وجهها المستدير. ثم تذكرت شيئاً، فذهبت مجدداً إلى مقعد "ماركو"، وأخذت دفتر دروسه وعادت لتجلس.
- هيا، أيها الكاتب الفلورنسي.
- هكذا سخرت منها "إلاريا" الجالسة خلفها. وبشيء من الضيق نظرت "مارتا" إلى الأستاذ.
- يفعلون ذلك لأنني عندما ينام "ماركو" أكتب له ما يجب عليه فعله من واجبات.
- كان "سيربييري" يدرسها؛ ففي يوم ما ستمكن "مارتا" من الانتفاع من إثارها للآخرين، حتى وإن لم يكن ذلك واضحاً لها الآن. وجّه الأستاذ إليها ابتسامة جديدة توحى بالموافقة، ثم جلس خلف المكتب وشبك يديه منتظراً.
- هل اتخذتم قراراً يا شباب؟
- نظر الجميع إلى المتحدث الرسمي باسمهم؛ فقام "جورجو" بمشقة واقفاً.
- بسبب ضربة شمس في غير موسمها، الأغلبية هنا...
- نظر حوله آملاً في أن يعارضه أحد.
- كنت أقول، الأغلبية اختارت أن تقبل بهذا البرنامج الدراسي الذي اقترحتَه حضرتك، أو المادة.. كيف يمكننا أن نسميها...

- شعر "سيربييري" باحترام عميق تجاه استسلام ذلك الفتى الذي جدًّا، أمّا "چورچو" فشعر بأنه كالجواد الأصيل المحبوس داخل سور من السياج.
- للأسف يا "چورچو"؛ إنها مساوئ الديمقراطية، أراهن أنك تعرف شعار "فولتير".
- نظر "جيبو"، نظرة مليئة بالإعجاب إلى صديقه، وسأله:
- يا "چو" هل تعرفه؟
- أنا أحارب فكرتك المختلفة عن فكري، لكنني كما قال "فولتير": "قد أختلف معك في الرأي، ولكنني على استعداد أن أموت دفاعًا عن رأيك".
- هكذا أجاب "چورچو"، بينما كان "جيبو" يشده إليه بذراعيه الطويلتين، تأكيدًا على ذلك.
- أنت تعرف كل شيء حقًا، هل تشرح لي ذلك؟
- بالتأكيد، ولكن فيما بعد.
- جلس "چورچو" مستسلمًا، بينما دار الأستاذ بعينه البرّاقطين في الطلاب.
- شكرًا على ثقتكم؛ سأكرّس نفسي من أجل المادة الجديدة فقط في هذا الفصل؛ لأن عمركم هو العمر الأكثر عرضة للخطر، وشباب السنة الثالثة مقبلون على امتحانات الثانوية.
- علّق "بييترو" موجهًا حديثه إلى "چورچو":
- أرايت الحظ؟
- فرد هو عليه قائلًا:
- جميل حقًا أن نكون الشعب المختار.

كان فضول الطلاب حليفاً ممتازاً للأستاذ. فعندما أخرج البروجيكتور من حقيبته، صمت مؤيدوه ومعارضوه لمتابعة حركاته. أطفئ النور، وتوجهات من الأستاذ قام "ميكيله" و"لورينزو" بضبط شاشة صغيرة محمولة ووضعها خلف مكتب الأستاذ.

- لاحظوا الشرائح المعروضة.

أمام أعين الأولاد، بدأت سلسلة من الصور القديمة المعدلة تظهر باللون البني الباهت بتدفق. في الصورة الأولى، كان هناك شاب نحيف كالهيكل العظمي يرقد ممدداً على سرير. عكس مظهره الهزيل وعكته العميقة. بدا كما لو أن أحد أجداد "فيدريكو سيربييري"، راح ضحية لحب أليم في شبابه. كما أخبرهم الأستاذ، بشكل خاص، عما يدور في عقله. في الشريحة الثانية المعروضة، رأوا جثة امرأة غرقت، منتحرة بسبب حبّ تعيس. أمّا الصورة الثالثة، فكانت الأكثر إزعاجاً، كانت لشاب مشنوق، قتله غريم له في الحب.

أوصى الأستاذ بعدم التقليل من شأن الآثار المدمرة للغيرة.

توالى الشرائح لتصبح أكثر قسوة مع مرورها. بدأ أحد الطلاب يضحك بصوت خافت.

علق "جيتو" بصوت خافت:

- دائماً ما تعجبني أفلام الرعب.

في النهاية، بعد آخر صورة دامية، أغلق الأستاذ البروجيكتور.

- لا تزال هذه المآسي تحدث حتى اليوم، لكن الحب مستمر في ترك سلسلة طويلة من المعاناة خلفه. تبقى الطرق الأكثر انتشاراً للانتحار الذي له علاقة بالحب هي فقدان الشهية وقطع الشرايين، وبشكل أقل نسيباً تناول السم. من

الإحصائيات البسيطة التي يسهل استخدامها، يمكننا القول إن المخدرات لها ضحايا أقل.

هنا حمد "إرنستو" الله على اختياره ماكينة الحلاقة الكهربائية للحلاقة قبل عامين. قبل أن ينتهي الوقت، قام الأستاذ بتوزيع نسخ من مسرحية "روميو وجولييت" لويليام شيكسبير.

- لمن قرأه بالفعل فإن قراءة ثانية أكثر انتباهاً سوف تكشف دون شك عن معاني جديدة لهذه المأساة العظيمة.

رأى "جورجو" في عيني رفيق مقعده شيئاً من الاهتمام، وتذكّر أنه كان قد قص على "جيتو" قصة العاشقين المنتمين إلى مدينة "فيرونا" أثناء مراجعة بعض الطلاب لمادة الأدب العام السابق. لدرجة أن ذلك الأخير تطوع وأخذ يتحدث وكأنه ناقد أدبي، فبدأ الأستاذ سعيداً جداً لاستماعه إليه. وفق التحليل النقدي لـ "جيتو"، فإن العاشقين أصبحا ضحية للوقت الذي لعب بحياتيهما. تسبب سوء الفهم مع السم وسوء الحظ في الباقي، وبالتالي فإن المأساة كانت تدور حول مشكلة ذات تنظيم سيئ للغاية.

كان الجميع يضحك، وحتى "سربيري" بدا مستمتعاً بهذه القراءة العابرة وغير الشعرية للمأساة، ثم أكد أن الحب، الحب فقط، الذي نشأ بين العاشقين هو سبب مأساتهم. بدا "جيتو" منتبهاً لتلك الافتراضية.

- هل يوجد بينكم من هو ماهر في استخدام الكمبيوتر؟
نظر الأستاذ حوله بحثاً عن متطوعين. ووجد الفصل كله ينظر نحو "جيتو"، الذي تظاهر بالتقاط شيء غير موجود تحت مقعده.

- "لويجي" ماهر للغاية في استخدام الكمبيوتر.

هكذا أفشت "إلاريا" سره بحسن نية، فكانت تعرف جيدًا أن "لويجي ريشولي" لم يكن ليمد يده أبدًا على فتاة.

همس لها زميلها من بين أسنانه، قائلاً:

- اسمعي، ألا تستطيعين الاعتناء بشؤونك، ها؟

لم تكن لدى "جيبو" الرغبة في وضع مهاراته في خدمة أستاذ، وخاصة أنه كان مجنونًا بعض الشيء، ولكن "فيدريكو سيربييري" كان يمتلك سلاحًا قويًا، ألا وهو اللطف والاحترام.

- "لويجي"، يا عزيزي.. هل يمكنني الحصول على مساعدتك؟ أود القيام بتحصيل جزء من

حصصنا على بعض صفحات الإنترنت، فهل تستطيع القيام بذلك؟

- نعم، أستطيع ذلك.

- رائع! شكرًا، أشرك من كل قلبي، لا أعرف ماذا كنت لأفعل من دونك.

لم يكن "جيبو" معتادًا على تلقي كلمات الشكر والتقدير، ولا حتى على أن يتم إسناد أي عمل مفيد له؛ وهكذا، عن طريق هذه الكلمات القليلة والبسيطة، أحس بشعور بالرضا عن تجربة كلا الأمرين المريضين في صباح أحد أيام أكتوبر. لاحظ مسرورًا تعبيرات الدهشة على وجوه زملائه، الذين أسرعوا للخروج من الفصل مع صوت رنين الجرس. اقترب منه "چورچو"، بينما يضع الكتب في حقيبة ظهره.

- إِدَّا، يوم الإثنين الساعة الرابعة يناسبك؟

- آه يا "چو"، الآن لا أعرف حقًا إلى من سأعطي باقي وقتي، هل رأيت ماذا طلب مني

هذا المخبول؟

- يا فتى، إنها صفحة على الإنترنت تنشئها بينما نتحدث في التلفزيون، وتشاهد أحد أفلام

البورنو، وتتشاجر مع والدك. هيا يا رجل، لا تختلق الحكايات.

تذمّر الآخر:

- لا بأس، فلنقل يوم الإثنين.

انتبه "چورچو" إلى أن الجميع اختفوا، فأمسك بحقيبة ظهره ونزل مسرعاً نحو السلام، وعبر الفناء جرياً. تمكّن من اللحاق بـ"جوليا" و"إرنستو" وقد انقطعت أنفاسه، بعدما كان قد وصلا إلى البوابة الحديدية.

- ها.. أنا لن أستسلم. سأبدأ برنامج التاريخ يوم الإثنين الساعة الرابعة عندي، هل ستنضمان إلينا؟ سيأتي "جيتو" أيضاً.

انتظر "إرنستو" ليعرف قرار "جوليا" حتى يفعل مثلها. استغرقت زميلته بضع ثوانٍ كي تقيّم ذلك الاقتراح.

- أنا أيضاً لا أرغب في ترك التاريخ، يوم الإثنين لا بأس به.

- كذلك بالنسبة لي.

هكذا رد "إرنستو" دون قلق.

- لم يكن لديّ أي شك يا "إرني".

كان "چورچو" قلقاً من أجله. فكلاهما كانا ابناً وحيداً، وتربيا ونضجا معاً، وفي صيف الثالثة عشرة من عمرهما، تم إرسالهما إلى مدرسة داخلية في "كامبريدج"، وهناك ابتكرا طريقة سرية للتواصل فيما بينهما قائمة على الألغاز اللغوية. وأثناء العودة من تلك الرحلة، قامت "ليشيا"، والدّة "چورچو"، بإرسالهما للمشاركة في مسابقة خاصة بالألغاز، وفاز الاثنان بالجائزة مناصفة مع أحد معلمين المدارس الابتدائية. كانت الجائزة عبارة عن جهاز تسخين التوست. كان ذلك المعلم سعيداً بترك الجائزة لهما، تلك الجائزة التي تراكمت عليها الأتربة بسبب عدم الاستخدام، وظلت فوق مكتبة "إرنستو" لسنوات. كان من الطبيعي أن يلتحقا بالمدرسة نفسها، وأن يكونا في الفصل نفسه.

قبل أن يصبح "إرنستو" مريضًا بالحب، كانت فكرة يوم الإثنين محاولة لإحياء ذكرى أيام صداقتهم ليتمكنا من الانتهاء من السنوات المملة للمرحلة التمهيدية للمدرسة الثانوية الكلاسيكية. كانا يقومان بقضاء تلك السنوات في الإبداع، والألعاب، والألغاز، وكان الفصل يتبعهما بشكل لا يُصدق. كانا يمثلان ثنائيًا رائعًا مُبدعًا ومبهجًا، "جورجو" و"إرنستو". وهكذا، عندما انتبه "جورجو" إلى أن عقل صديقه بدأ رحلة توهانه بشكل خطير في تلك المتهالة التي تُدعى "جوليا براتيزي"، أُمِل في أن يكون على الأقل حُبًا متبادلًا. لكن انتظاره بدا بلا نهاية، وبعد مرور عام، ولأن "جورجو" فتى عملي، بدأ يطلب من "إرنستو" أن يعود إلى رشده، ومنذ فترة بدأ في اختيار طريقة الاستفزاز الساخر معه، لكن جاءت النتائج مخيبةً للآمال على أي حال.

ذلك الصباح كان يدرس تصرفات "إرنستو" سائلًا نفسه إن كانت تلك الشخصية الهزيلة ستعود يومًا ما إلى ما كانت عليه أم لا.

سأل "إرنستو":

- هل نقول لـ "بييترو" كذلك؟

- أي شخص يرغب في دراسة التاريخ. ولكن لن تكون هناك سجائر ملفوفة يوم الإثنين.

اتفقنا؟

رفعت "جوليا" أحد حاجبيها بشيء من الشك، لكنها لم تعترض لاعترافها لـ "جورجو" بنوع من السلطة. ثم وصل إليهما "جيو" بخطواته غير المنتظمة.

- هل كنت بارعًا فيما يخص "روميو وجولييت"؟

استقبله الأصدقاء بالضحكات ونكش "جورجو" له شعره الذي كان على هيئة عرف الديك، مثل رجال شعب الهورون.

- مع الوضع في الاعتبار أنك لم تقرأه أبدًا، فأنت تصرفت بشكل عظيم.

أجاب "جيبو":

- ولكنني جعلته يفرح، ذلك المسكين.

علقت "جوليا" مستمتعة:

- لحسن الحظ لم تكن هناك تليفونات محمولة ليتمكن المرء من التواصل مع الآخر في

لحظتها، وإلا لما كتب شكسبير هذه المسرحية.

أضاف "إرنستو" قائلًا:

- والآن، "سيربييري" العقل، وأنت.. الذراع.

- دعنا من ذلك الآن، وركّز في المصيبة التي أصبحت فيها بسبب تلك الحمقاء "إلاريا".

لكن، حتى وإن لم يُظهر هذا، كان واضحًا أن "جيبو" يشعر بالامتنان. وبينما يتحدثون، في

طريقهم إلى باب الخروج، جاءهم "بييترو" وهو يجري.

توقف "جورجو" لينتظره، ثم قال:

- ألم تخرج بالفعل؟

- توقفت للتحدث مع "سيربييري"، فأنا أود أن أهديه العرض الأولي لفرقة الـ"ريد"

(Red).

فهم "بييترو" أن عليه أن يشرح لفرقة الصغيرة، تلك الفرقة التي تمنّت أن يهجر الأستاذ

الجديد أرض الملعب، فقال:

- قد يكون ذلك الشخص غريبًا، لكن من وجهة نظري هو شخص يفهم في الموسيقى، لا

أعرف. إنه مجرد إحساس.

فقال له "جيبو":

- "بييترو".. آخر مرة اتبعت فيها إحساسك، سرق البعض منك كل السماعات. فاترك إحساسك جانبًا.

هنا ضحك الجميع ومعهم "بييترو".

- يا فتى، كانوا من أمريكا الجنوبية، وبدوا أشخاصًا طيبين.

- ياه، تخيل إن كانوا شخصيات سيئة. يبدو أنني لا أستطيع أن أتركك بمفردك للحظة.

مد "جيبو" يده ليضعها على دوائر الشعر المفلقل لـ "بييترو"، بينما المجموعة تتجه نحو باب الخروج. راقب "چورچو" أصدقاءه وهم يسرون أمامه. شعر في نفسه بقوة تقاوم الأشياء غير العقلانية. كانوا قلة، لكنهم يكفون. مَنْ يعرف، ربما يستيقظ "إرنستو" من ثباته الطويل. إضافة إلى ذلك، كان مقتنعًا بأن الجزء السليم من عقل الأستاذ الجديد، ذلك الجزء السليم، سيكون فخورًا به.

بعد مرور عدة أيام، كان الأستاذ "سيربييري" يعبر فناء المدرسة متجهًا نحو بوابة الخروج، مفكرًا في نتائج الدروس الأولى عن أضرار الحب في فصل 3/2. كان الوقت مبكرًا كي يبتهج، لكن عندما ذكر ثنائية "الحب/الدمار"، بدأ الموضوع يلفت انتباه بعضهم بالفعل، وهذا ما منحه الأمل.

كان قد وصل تقريبًا إلى البوابة الحديدية عندما أوقفت مسيرته امرأة ذات جسد ممتلئ وفاتن، وشعر أحمر ناري، ترتدي قميصًا منقطًا أزرق.

- لم نتعرف بعد. أنا "أديله بالميري"، أدرس مادة اللغة اللاتينية في الفصول الثالثة للفرق الثالث.

مدت إليه يدها ذات الأظافر الطويلة للغاية، والمطلية باللون البنفسجي.

- الشرف لي، أنا "فيدريكو سيربييري".
- بادلها التحية، راسمًا ابتسامة ودية على شفثيه. ظلت الأستاذة تمسك يديه لوقت ليس بالقليل.
- عرفت أنك وقعت بين ذراعي الموت.
- اضطر الأستاذ على الفور إلى قبول عادات هذه الفئة، ألا وهي التعامل بالضمير "أنت" بدلًا من "حضرتك" بين مَنْ لا يعرفون بعضهم البعض على الإطلاق.
- معذرةً، ماذا؟
- قامت الزميلة بالرد على دهشة الوافد الجديد بضحكة رنانة، وقالت:
- بعضنا يطلق ذلك الاسم على فصل 3/2.
- كانت تلك المرأة تثير قلقه، وعلى الرغم من ذلك، كونه نشأ تحت إرشادات التربية الجيدة، استمر في توجيه النظرات المرحبة.
- أيتها الزميلة العزيزة، لقد بدوا لي أولادًا مجتهدين وجيدين جدًا.
- فردت عليه الأستاذة "بالميري" مرة أخرى بضحكة رنانة، هذه المرة شابتها لمحة سخرية.
- وكيف لا، فهناك عناصر ذات مستوى رائع، ففي العام الماضي قام "ريڤولي" بتزوير إمضاء والده لأشهر، ثم ضرب "فلاميني" ضربًا مبرحًا كما تدور حوله شبهات كبيرة للسرقة في صالة الألعاب الرياضية.
- قد يكون "ريڤولي"...
- الكل يطلقون عليه "جيبو".
- بالتأكيد إنه "لويجي"، أنا أعرف جيدًا مَنْ هو.

كان دائماً مقتنعاً بالروح السلمية لشعب الهورون وبسلالته، والذي ينتمي إليهم "لويجي ريفولي"، لكن الزميلة لم تكن بالتأكيد تفهمه.

- لم يتوقف الأمر عند ذلك، ففي العام الماضي، بدأت "براتيبي" و"بييترو سولفيتسي" في زراعة الماريجوانا في حديقة المدرسة. ظنًا أن الأمر سيكون سهلاً دون أن يتم اكتشافهما، وكانت "براتيبي" ترويها كل يوم بحجة الحفاظ على البيئة.

استمع "سيربييري" إلى هذه السلسلة من الثثرة ونفوره يزداد ناحية تلك المعلمة.

- تم إيقافهما لمدة شهر، ولولا "چورچو جريجور"، لضاع العام كله.

- لماذا؟ ماذا فعل "جريجور"؟

- هدد الناظر بالإبلاغ عنه بسبب إلحاق الضرر، بإثبات أن أحد الزميلين، لا أذكر مَنْ، أُصيب بقطعة حديدية قديمة صدئة، موجودة في الفناء. وهكذا، لكي يتجنب الناظر المزيد من المصائب، ترك الأمر يمر مرور الكرام. لكنني أود أن أقول لك القصة كاملة.

ها هو ذا، فُكّر الأستاذ، فريق التدريس في مدرسة ثانوية رفيعة المستوى. زمرة من الجواسيس أصحاب الألسنة الطويلة، والتلاميذ مضطرون للمعاناة من إساءاتهم. كانت "بالميري" مستمرة في الحديث، ويدها السميكتان تتحركان أمام أنف "سيربييري" يصحبهما ثثرة ملحة.

- ... أحدهم رأى "ريفولي" في المساء السابق للحادثة، وهو يتجول في المدرسة ومعه قطعة حديدية يكسوها الصدأ. هل فهمت يا عزيزي؟ إنها عصابة.

اقتربت "بالميري" من أذن زميلها لتؤذي أنفه برائحة عطرها منتهي الصلاحية.

- إن الشيطان يسكن في جسد "جريجور" ذلك، فلا يترك لنا الفرصة لكي نوقعه في الشرك

حتى لو مرة واحدة.

كان "سيربييري" معجبًا بروح "جورجو"، تلك الروح الكريمة التي تشبه روح "مَكيا فيلي". كيف يمكن للأولاد أن يقتربوا من "شيشرون" مرورًا بتلك الصورة الخبيثة المؤذية؟ المدرسة الإيطالية كانت في أزمة أيضًا لأن بعض الأساتذة المعلمين كانوا يحملون اضطراباتهم العصبية معهم إلى الفصل، وكان ذلك واضحًا. تحرك "سيربييري" عدة خطوات آملًا في قطع تلك المحادثة البغيضة، لكن زميلته لم تستسلم مقتنعة بأن لديها مهمة يجب أن تقضيها.

- يجب أن تعرف مع مَنْ تتعامل. بالتأكيد، لدينا الشاعر، ولكن مؤخرًا أراه متقهقرًا هو أيضًا.

- آه، هناك أيضًا شاعر؟

- "إرنستو جراي"، فهو موهبة أدبية. نشر مجموعة من القصص القصيرة في إحدى المجلات الأدبية، ويكتب شعرًا، وقصائد حب، إنها جيدة تستحق الانتباه، مع وضع سنه في الاعتبار. في السنة الأولى في المرحلة بعد الإعدادية فاز بمسابقة إقليمية.

رأت "بالميري" أخيرًا أنه على الأقل كان لخبر من أخبارها نتيجة طيبة، ولكنهما كانا قد وصلا تقريبًا إلى الشارع، ورهينتها كان قد أوشك على الهرب.

- لكن هذا العام أراه خارج نطاق الخدمة.. هل تريد أن أوصلك؟

لم يهتم "سيربييري" بإخفاء تعبيره القلق.

- لا.. لا تزعجي نفسك، شكرًا، فأنا أحب السير.

ثم حيًا كل منهما الآخر وألقت الأستاذة على زميلها نظرة تفهم أخيرة قبل أن تضع المفتاح في إحدى السيارات الصغيرة، حمراء اللون.

- "سيربييري"، يا عزيزي.. أنت لم ترَ شيئًا بعد، أقولها لك.. حظٌ سعيدٌ.

- إلى اللقاء.

سار نحو محطة الأتوبيس وهو يفكر في المعلومة المفيدة الوحيدة التي يمكن استخلاصها من سلسلة الإدانات غير المناسبة تلك. هو يفهم ما يمر به ذلك الطالب، ف وراء تلك النظرة التائهة يوجد أكثر من مجرد شاب خجول ومحبط. كان واضحًا للغاية أن المآزق قد أضعفته، وتعوق تفكيره، وتشتت موهبته.

ذلك الطالب لم يكن يستطيع الاعتماد فقط على حب الدراسة، ولا حتى الاجتهاد في المعارك من أجل الحيتان في بحر اليابان أو في الاهتمام بالآخر، ولم يكن يجد النجاة في الموسيقى ولا حتى في روح ثائرة للتمرد. كان وحيدًا متروكًا لألمه.

من الواضح أنه يتمتع بحب الأصدقاء، لكن هذا الحب ليس كافيًا له. فوهم الحب ألقاه في سجن بلا نوافذ عزله عن العالم، ولم يكن في استطاعة زملائه سوى تمرير الطعام إليه من بين القضبان، ولكن بالتأكيد دون أن يتمكنوا من تحريره. وبينما كانت تُفتح أبواب الأتوبيس رقم 22 كان "فيدريكو سيريبيري" يشعر بما يشعر به البحارة بعد شهور في البحر المفتوح، تظهر أمامهم أخيرًا قطعة أرض يمكنهم وضع رايتهم عليها. كان يعتبر الشاعر ملعونًا.

لطبعه الكريم، اعتاد "إرنستو" منذ فترة مساعدة أصدقائه المتعثرين دراسيًا. فبداية من العام الأول من العامين التمهيديين للمدرسة الثانوية الكلاسيكية، حمّل نفسه عبء التبصر بساعات من وقته لمساعدتهم في المواد الأكثر صعوبة. وهكذا، وفي عصر ذلك اليوم كان بيته مفتوحًا. بمجرد أن انتهى من الاستحمام فتح باب البيت على أخره وهو يرتدي ملابس المنزل.

- تعالوا إلى الصالون، هناك سنكون على راحتنا.

ضرب "جيبو" كف زميله بكفه.

- أهلاً يا "إرني".

كان الفتى العملاق قد دخل ومعه زجاجات البيرة، بينما حمل "بييترو" و"مارتا" الكتب.

وضع "بييترو" الكتب التي يحملها معه على الأرض متأففاً، وهو يقول:

- تغير "إرني" تغيراً سخيلاً. ما هذه السلبية؟ لم يعد هناك أي تفاهم..

فأضافت "مارتا":

- آه، أنا لم أجهد نفسي في هذا إطلاقاً.

ثم خلعت معطفها الصغير، فحوّل قميصها أحاسيس "إرنستو" وعقله إلى اتجاه آخر.

خلعت "مارتا" حذاءها أيضاً، ثم وضعت الكتب على الطاولة، وفتح الأستاذ "إرنستو" مذكرة الملاحظات. اختفى "جيبو" في المطبخ، ثم عاد بعد قليل بأربعة أكواب.

- "إرني" إن استمرت هكذا، لن أنجح في مادة اللغة اليونانية.

قالت "مارتا" ذلك وهي حزينة، فوضع "إرنستو" يده على كتفها برفق، في محاولة منه لطمأنتها، لكنه كان بالفعل يفقد عقله وهو يفكر في "جوليا".

- لا تقلقي، يمكنك تعويض تلك المواد الثلاث، فنحن ما زلنا في بداية العام.

ذهب "بييترو" لفتح النافذة وأشعل سيجارة، وقال:

- علينا أن نحاول، وإلا لماذا نظل محبوسين عصر كل يوم جمعة؟

فتح "جيبو" البيرة وصبّها في الأكواب، وقال:

- هيا، فعلينا على الأقل أن نحاول. لا يمكنني أن أسقط في أكثر من مادتين هذا العام.

لم ينتبهوا إلى "إرنستو" الذي بدأ في التحديق بعيداً عن "إبيقور" الفيلسوف اليوناني. كانت

"مارتا" ترتدي قميص "جوليا"، عذبتة رائحة القميص التي تشبه رائحة القلم المبري.

قال "إرنستو" وكأنه يحدث نفسه تقريبًا:

- ابدأي أنتِ يا "مارتا" في الترجمة.

فتحت زميلتهم الكتاب في صفحة الترجمة:

- المتعة... من أجلنا... على العكس يكون... لا امتلاك... لون، في... عزيز... كورال.

كانت "مارتا" تواجه صعوبة بالغة، لكن "إرنستو" التائه في خيالاته بدا وكأنه ليست لديه أدنى نية في إيقاف التدمير الذي يحدث لفقرة "إبيقور". عندئذ تبادل "جيبو" و"بييترو" النظرات، وأغلقا تقريبًا في الوقت نفسه دفاتر وكتب اللغة اليونانية.

- هيّا يا رجل، بهذه الطريقة سنسقط في مادة اللغة اليونانية بالتأكد.

على الفور احمر "إرنستو" من الخجل، والإحراج.

- اعذروني، لقد سرحت لحظة.

- لحظة! بل قل عامًا.

شرب "جيبو" من البيرة ثم تجشأ بقوة وهو يربت على كتف "إرنستو" معبرًا عن تفهمه لحالته.

- يجب أن نتحدث معها. فأنت تائهٌ للغاية. سيكون من الأفضل لك دخول عالم المخدرات.

مرت عدة ثوانٍ من الصمت، أوضح "إرنستو" فيها إن كان لدى أحد شيء يقوله، فتلك هي اللحظة المناسبة لذلك. أخذ "بييترو" نفسًا عميقًا من سيجارته ثم حبس الدخان في صدره لبضع ثوانٍ. قال وهو يخرج الدخان من فمه:

- لكن، هيا، لا يمكنك الاستمرار بكل هذه السلبية، فهكذا تنقل طاقة سيئة، أنت محبط للغاية.

لم تحب "مارتا" رؤية أي شخص يعاني، أيًا كان هذا الشخص، ولأنها أفضل صديقة لـ"جوليا"، ففكرت في تقديم مساعدتها لتخفيف آلام "إرنستو".

- "إرني"، إن "جوليا" لا تتحدث أبدًا عن الأولاد أو الجنس أو الحب.. هذا يعني أنه لا يعنيه أي شيء من هذا، وأقسم لك بأن الأمر هكذا.

فكر "إرنستو" أن "مارتا" بالتأكيد على دراية جيدة بتزاوج الفقمت، لكنها لن تستطيع التحدث بتلقائية وحيادية عن علاقته بـ"جوليا"، لذا فكلامها لم يعطِ الأثر المرغوب له.

قال "جيبو":

- ولكن غريبات، من الممكن مع الوقت.. ربما يصبح لدى "جوليا" الرغبة..

كان يحرك يده اليمنى المقبوضة أمامًا وخلفًا.

- أحسنت، هل من رأيك أن يقفز عليهن؟

- لااااا.. ولكن، على الأقل يحاول أن يمد يده، ربما نعم.

كان "بييترو" يرسم بيده اليمنى الحرة زخارف زهرية على غلاف دفتر اللغة اللاتينية.

- هيا يا "إرني"، استمتع بحياتك! وحتى إن كان هناك خطر أن تفشل، عليك أن تحرر

عقلك، ويقول ذلك أيضًا أحد معلمي الزن البوذيين: "إن كنت تحب، فأحب صراحةً".

هنا تدخل "جيبو" قائلاً:

- لا، ليس على "إرني" تحرير عقله... وإنما شيء آخر.

هنا رمت "مارتا" بنظرة ساخطة، بينما فكر "إرنستو" في كورال المأساة

اليونانية التي كان سيصبح هو بطلها، حيث تدخل "ميديا" الصالون مرتدية

زيًا داكنا وشعرها ملفوف لأعلى، ووجهها نحيف، والهالات تحت عينيها. تسبب مظهر والدته في شعورهم بالخجل، وانفضت المجموعة الكورالية على الفور.

دخلت والدته "إرنستو"، وقالت:

- معذرةً يا أولاد، أريد أن أحضر كتابًا فقط.

اختارت "تشيتشيليا" أحد الكتب من المكتبة، وقبل أن تخرج فرقت شعر "مارتا"، وداعبتها بيد حنونة على خدها، ثم اختفت كشبح وبقي الأولاد على راحتهم.

- يجب أن يأتي أحد لمباركة هذا المنزل يا "إرني"، ولكن هل والدتك على هذه الحالة من أجل "كوشيتونه" (أبو فخذ كبير)؟

كان صمت صديقهم دليلًا على معرفتهم إجابة هذا السؤال. فجأةً خطر "فيدريكو سيربييري" على بال "جيبو" الذي نظر إلى الساعة.

- لقد تأخر الوقت.

نهض "جيبو" واقفًا، و"إرنستو" يراقبه قلقًا.

- إلى أين؟

- الساعة الخامسة الآن، هل نسيت أن "چورچو" سيذهب إلى هناك؟

أدخل "بييترو" الكتب بسرعة في حقيبة ظهره وتوجه إلى "مارتا":

- أنا ذاهب إلى الجراج للتدريب، هل ستأتين؟

- ولكننا لم نبدأ حتى، وماذا سنفعل في الترجمة؟

كان "إرنستو" يشعر أنه مسؤول عن التفكك السريع للصحة.

- سأحضرها أنا إليكم مصورةً غدًا في الساعة الأولى، وعد.

راقبهم بانفعال وثلاثهم يغادرون المكان في تلاحقٍ سريعٍ، ثم لحق بـ"جيبو" وأوقفه عندما وصل بالفعل إلى الباب.

- هل "چورچو" متأكد حقًا؟ فمن الممكن أن يحدث شيء غير صحيح.
- أنت تعرفه، فمن باستطاعته إيقافه. إن لم يصل إلى نهاية هذه القصة فلن يسترح. ولكن لا تنفعل، سأذهب أنا معه.
- لا، سأتي أنا أيضًا.

عاد "إرنستو" من جديد إلى عالم الواقع، حيث يجب عدم ترك الآخر. ارتدى بلوفر بسرعة، وارتدى عليه أول جاكيت قابله، ثم خرج من المنزل ليتبع صديقه.

سار "جيبو" و"إرنستو" في شارع طويل مليء بالأشجار. كان "لويجي ريشولي"، صاحب الذقن المرفوعة دائمًا، يفحص أرقام المنازل، ومن حينٍ لآخر يسرع الخطى ليبعد عن رفيقه بعدة أمتار، فقد كان قلقًا يريد الوصول سريعًا. كانا قد مشيا جزءًا كبيرًا من الطريق عندما توقف "جيبو" أمام باب كبير داكن اللون.

- ها هو، إنه المنزل رقم 24.
اقترب من جهاز الإنترنت وأخذ يبحث عن الاسم، بينما "إرنستو" يحرك سوستة الجاكيت دون توقف.. إلى الأسفل وإلى الأعلى. أخذت ركبته تهتز بسبب القلق.

- ماذا بك يا "إرني"، هل أصبَّتَ بمرض الحزام الناري الآن؟
- أنا فقط عصبي قليلًا.
انفجر "جيبو" في الضحك:

- انظر، ليس علينا أن نخطفه، أليس كذلك؟ هيا فلنتحرك من هنا. سوف ننتظر "چورچو" هناك في الخلف.

قاما باختيار زاوية من الطريق على مسافة آمنة من الباب الكبير، وهناك تواريا خلف إحدى سيارات النقل الصغيرة.
سأل "إرنستو":

- ولكن كيف اكتشف "چورچو" مكان سكن "سيربييري"؟
أخرج "چيڤو" من جيب بنطاله علبة سجائر مكرمشة جدًا وأشعل منها واحدة.
- أفشى له هذا الأمر أحد طلاب السنة الثالثة، حيث كان يأخذ عنده دروسًا خصوصية العام الماضي.

لم يكن "إرنستو" مقتنعًا بتلك المبادرة، وكان "چورچو" غامضًا للغاية، عندما طلب منهم الحضور تحت بيت الأستاذ.

- ولماذا اليوم بالتحديد في هذه الساعة؟
تأفّف "چيڤو"، فبالنسبة له ملاحقة أحدهم كانت أكثر الأمور براءة في الدنيا، لذا فهو لم يحتمل مخاوف زميله.

- اسمع، "روئي" هذا، الذي يدرس في فصل 2/3، ذلك القصير قال لـ "چورچو" إن عصر كل خميس كان "سيربييري" يختفي دائمًا فجأة، وفي اليوم التالي يبدو غريب الأطوار للغاية.
- واضح، لقد تحققنا بالفعل أن رأسه ليس على ما يرام.

- بالتأكيد، لكن، "چورچو" معه حق، يجب أن نتعامل معه كظاهرة. ثم، لماذا يكره الحب هكذا، هل سألنا أنفسنا هذا السؤال؟

كان "إرنستو" مستمرًا في السير دون توقف حول صديقه.
وما الذي سيتغير إذا عرفنا إجابة هذا السؤال؟

- سيتغير الكثير. إذا كان يعارض الحب بهذه القوة، فلا بد أن يكون قد عانى من الحب.
ألا ترى أن هذا ممكن، ها؟ على أي حال، أنا أيضًا أشعر بالفضول وأريد أن أعرف السبب.
- أنت تقضي الكثير من الوقت مع "كاميلو" وهذا غير جيّد لك.

كان قلق "إرنستو" يختبر صبر "جيبّو".

- لقد أصبّنتني بالصداع يا "إرني". نحن هنا بالفعل، لذا توقف عن إلقاء الأسئلة وهدئي
من روعك. اتفقنا؟

كان "إرنستو" صامتًا ومنزعجًا. تظاهر بفحص كيفية عمل السوستة. ندم صديقه على
طريقته الصعبة في التعامل معه. فكونه صديقًا لـ "إرنستو"، يعرف مدى حساسيته. فكانت
تكفيه نبرة حادة بعض الشيء كي تجعل الدنيا مظلمة أمامه، ولكن بالنسبة لـ "جيبّو" لم يكن
من السهل دائمًا تمالك نفسه. لكنه كان ينتبه دائمًا عندما يحزن "إرنستو" من ذلك، وحينها
كان يحاول دائمًا، ودائمًا بطريقة مندفعة، معالجة الأمر.
- اسمع يا "إرني".

هنا أخذ الزميل يتحدث بصوت عذب مثل صوت مربية الأطفال حتى وصل إلى درجة
الهمس:

- نحن لسنا هنا لأن "بييترو" أحس بوجود خطب ما. وعندما يقترح "چورچو" فعل شيء
ما، فإن هناك دائمًا سببًا، وأنت تعرف ذلك.

نعم، في كل مبادراته كان "چورچو" يتبع المنطق، لكنه فضوليّ للغاية، وهي
صفة يمكن أن تسبب المصائب بكل سهولة. و"إرنستو" يود أن يعيش بعيدًا عن
أي مفاجآت، إلا إذا فاجأته "چوليا" وأعلنت حبّها له. نظر "إرنستو" إلى صديقه
بتسامح، متابعًا إياه وهو يدخن. شعر بالندم على اتباع أصدقائه في تلك المغامرة

الغريبة، ولكنه بعد بضع ثوانٍ من النقد الذاتي، رأى "چورچو" من بعيد؛ حيث كان مختبئًا خلف إحدى السيارات المركونة ويلوح بذراعيه لهما.

قال "إرنستو":

- ها هو هناك.

عبر الاثنان الشارع بخطوات سريعة.

وبمجرد أن وصلا إليه قال له "چيڤو":

- يا "چو"، تكاد تصبح أخطر من جاسوس روسي.

رد "چورچو" على "چيڤو" الذي كان منفعلاً من ذلك التجاوز وهما يضحكان معاً:

- معك حق، فما نفعله ليس أخلاقياً، أعرف ذلك.

الوحيد الذي لم يستطع الاستمتاع في ذلك الموقف كان "إرنستو". توجّه "إرنستو" بتلك

الكلمات إلى "چورچو" الذي استقبل ذلك التوبيخ:

- من الجيد أن تقول ذلك بنفسك.

- ألا تتفق معي يا "إرني" أن استخدام أحد الفصول لممارسة هواجسي الخاصة يُعدّ أمراً

غير شريف؟

- لكن، ما الذي تظن أنك ستكتشفه بملاحقتك ذلك المسكين؟

- لا شيء بالتحديد. أنا فقط أود أن أعرفه بصورة أفضل، ربما نتمكن من فهم السبب وراء

وقوعه في هذا الهذيان.

- هيا يا "إرني"، نحن هنا بالفعل، أقسم لك بأننا لن نجعل أحداً يكشفنا.

كان "چيڤو" يحاول التخفيف من وطأة الموقف، لكن ما إن فتح "إرنستو"

فمه ليبدأ شكواه، حتى خرج "فيدريكو سيبربييري" من الباب مرتدياً معطفاً

شتويًا رمادي اللون وفي يده شمسية سوداء. ودون أن ينظر حوله، واثقًا من وجهته، اتجه نحو اليمين وتحرك الثلاثة على الفور خلفه.

قال "چورچو":

- هيا بنا نذهب، لكن ليس علينا أن نكون خلفه تمامًا.

فرد "جيبو":

- اعلم.. أنا خبير، فقد قضيت عمرًا في مراقبة البنات.

كان "فيدريكو سيربييري" يسير بخطوات سريعة للغاية، فشعروا بالتعب من ملاحظته، كما فقدوا أثره من حين لآخر، فكانوا يضطرون إلى الجري سريعًا إلى الأمام.

قال "جيبو" بعد آخر عملية إسراع للحاق بالفريسة:

- انظروا إلى المسافة التي يجريها، سأبقى أنا هنا.

انقطعت أنفاسه. لم يعرف أحد منهم أن "فيدريكو سيربييري" مشاءٌ ممتاز، لكنهم لم يدركوا ذلك إلا بعد نصف ساعة من المسيرة.

- آه يا "چو"، إن وصل ذلك الرجل إلى مدينة "رييتي" سيرًا على الأقدام، فلن أستطيع المتابعة.

كان "جيبو" يحاول التقاط أنفاسه فاتحًا فمه بشكل كبير، واضعًا يده على طحاله وكذلك "إرنستو"، الذي كانت لياقته البدنية منخفضة، كما شحَبَ وجهه.

نبههم "إرنستو" قائلاً:

- يجب أن أتوقف وإلا سأفقد الوعي.

كان "چورچو" أكثرهم لياقة، لكن نظرًا لحال فريقه، أدرك أن "فيدريكو سيربييري" سيهرب منه في أقرب وقت.

قال "چورچو" عندما انتبهوا إلى أن الأستاذ توقف أمام مدخل أحد المستشفيات الكبرى:

- لا بأس، فقط خمس دقائق أخرى ثم نتركه.

- آه، ها هو، جيد، عالجوني هنا.

وهكذا جلس "جيبو" على حافة الرصيف، وقد أنهكه اللهاث. فعل "إرنستو" مثله على الفور، ولكن بعد ثوانٍ قليلة، وأثناء تألم الاثنين المنهكين، رأوا الأستاذ يدخل من البوابة.

قام "چورچو" بتحفيهما:

- هذا هو المجهود الأخير يا شباب، يجب ألا نفقده الآن بالتحديد.

نهض "إرنستو" مستعيداً طاقته فجأة:

- لا، انتظر لحظة. اسمعني يا "چورچو". إنه داخل مستشفى. ربما يكون مصاباً بمرض خطير وله الحق، وأكرر، الحق في ألا يخبر أحداً بهذا!

قال "جيبو" مازحاً:

- مهلاً، هل تعرف إلى أي قسم هو ذاهب؟ أنت مدهش.

- كم أنت قلق يا "إرني"! ربما هو ذاهب لزيارة شخص ما يُعالج بالداخل.

حدّق "چورچو" في عينيه واثقاً من نفسه. وأكمل:

- أعرف جيداً متى عليّ التوقف، وعلى العموم هيا ندخل.

وبالتالي بدأ في التحرك بخطوات حاسمة متبعاً خطى الأستاذ. أخذ "جيبو" نفساً عميقاً ثم هب واقفاً وهو يشير بيده إلى "إرنستو"، الذي كان ما يزال متردداً. استسلم في نهاية الأمر وتبعهما. استأنف ثلاثتهم الملاحقة.

كان الدكتور "كونسورتي" رجلاً ضئيل الحجم قليلاً، له وجه مستدير، جبهته عريضة، وبشرته وردية، ويزحف الصلع ببطء على رأسه. له لحية صغيرة رمادية اللون على ذقنه فقط، تركها تنمو ظناً منه أنها ستجعل شكله أفضل. في ظهيرة ذلك اليوم كان الطبيب يبتسم مسروراً إلى آخر مرضاه في ذلك اليوم، كان علاجه قد أعطى نتائج ممتازة خلال هذا العام. السيد المتميز كان قد جاء لأول مرة إلى مكتب ذلك الطبيب قبل شهور عديدة في حالة من الاضطراب، لكن بفضل التعاون المتبادل، أعاده الطبيب إلى الحياة بشكل طبيعي. قاما معاً بتحجيم مشاعر وأحاسيس سلبية وإيقافها، وتمكنا من تحطيم كل الهواجس، وتغلباً على هوس الوصول إلى الكمال. وشبح الزوجة السابقة لم يعد يعذبه، كما أن تلك الفكرة الراسخة عن أن الحب باعتباره مرضاً اجتماعياً قد بدأت تترك مكانها، ويحل محلها الاستسلام. في النهاية استعاد المريض الثقة في الواقع حوله. فقصص الحب تنتهي وتبدأ من جديد باستمرار، ولكن ما يحدث نادراً هو أن تقرر زوجتك بأن تطهو بطة بالبرتقال.

كان المريض متعاوناً إلى حد كبير، لدرجة أن الطبيب ظن أنه قد حان الوقت لتقليل أقراص الباروكستين أو الجلسات.

- ما رأيك في مقترحي؟

وضع "فيدريكو سيربييري" يديه المتشابكتين أمامه، الأيدي ذاتها التي رتبت بشكل دقيق للغاية مكتب طبيبه النفسي قبل عام. لكن الآن كانت إحدى يديه تسند الأخرى، ولم يكن باستطاعة الدكتور "كونسورتي" عدم ملاحظته.

- أشعر بأنني على ما يُرام يا دكتور. بالتأكيد أفتقد ابنتي، ولكن هذا لا يجعلني شخصاً مضطرباً.

- بالتأكيد لا. بل على العكس، الهدوء الذي تحافظ عليه في علاقتك مع والدته "أوديليا" يطمئني كثيرًا. وفيما يتعلق بالجامعة، فسوف ترى أنهم ينتظرونك فاتحين لك أذرعهم.

ارتفعت حالة المريض المعنوية بشكل كبير لم يلحظه أحد.

- أعترف لك بأنني لا أفقد الجامعة مطلقًا. أعطتني كثيرًا من الإرضاء، ولا أنكر ذلك، ولكن التبادل البشري بين المعلمين والتلاميذ قد وصل إلى أسوأ حالاته. هناك الشباب يمثلون مجرد عدد، ولكن في المدرسة أنجح في تأسيس علاقات شخصية بنّاءة للغاية.

- وأنا سعيد بذلك من أجلك، وبالطبع من أجلهم.

هنا نظر الدكتور إلى الساعة.

- حسنًا، إذًا لقد قررنا: سنقلص عدد الجلسات. سوف نتقابل كل أول يوم أربعاء من الشهر، شهر نتقابل وشهر لا. اتفقنا؟

بدا على وجه "سيربييري" سعادة توحى بالعرفان، مثل طفل أخذ لتوّه قطعة حلوى لأنه تصرف بشكل حسن.

- طبعًا اتفقنا وأكثر من اتفقنا. شكرًا.

اصطحب الدكتور المريض نحو باب الخروج.

- ليست هناك فائدة من قولي إننا إن كانت هناك أي مشكلات، يمكننا العودة في قرارنا.

- لن يكون هناك أي مشكلات يا دكتور. إلى اللقاء.

بمجرد أن انغلق الباب خلف "سيربييري"، عاد الدكتور "كونسرتي" إلى التفكير في البطّة، وبشيء صغير جدًّا من الحظ، كان ليجد صلصة البرتقال

اللازمة لها. ثم خطر بباله ذكرى "دورينا" الزوجة الفظيعة السابقة لـ "سيربييري". كان الأستاذ قد أحبها ووهبها نفسه بالكامل، لكنها فضّلت عليه معيّدًا شابًا، وأكثر من ذلك، انتقلت للعيش في مدينة "ميلانو" وأخذت معها الطفلة.

كانت حالة الاضطراب العصبي لـ "فيدريكو سيربييري" قد بدأت مع ذلك الانفصال. قام "كونسورتي" بتجميع كل الورق المبعثر على مكتبه، وارتدى معطفه الثقيل وخرج إلى الممر. وبينما يسير في الممر الطويل للمستشفى، المهجور في تلك الساعة، أخذ الدكتور يحلم بأن اثنين على الأقل من ضيوفه سيتنازلان عن الزيارة من أجل العشاء، وهو ما يعني بقاء جزء من طعامه الذي يحبه جدًّا من أجل اليوم التالي. بمجرد أن استدار للزاوية، بين المصعد والسلام، لاحظ ثلاثة أولاد ينتظرون، ومن النظرات المختلطة أدرك أنه هو الشخص الذين كانوا في انتظاره.

همس "إرنستو" قائلاً:

- ها هو، يجب أن يكون طبيب "سيربييري"، ذلك الذي خرج من الغرفة التي كان فيها الأستاذ. لكن يا له من أمرٍ محزنٍ.

فرد "جيبّو" بصوتٍ خافتٍ:

- طيب، لماذا؟ فنحن في عيادة نفسية.. ويبدو لي أمرًا طبيعيًّا، فهذا هو المكان الصحيح له.

فهمس "إرنستو":

- نعم، ومن يدرى مدى خطورة الحالة.. أنا في حالة من الحيرة والذهول.

مزح "جورجو" بهدوء:

- دعني أتحدث أنا ولا تنفعل، وإلا سأجعلهم يعطونك مهدئاً.

في منتصف الممر، قام الطبيب النفسي بتهدئة حركة سيره متردداً، لم تكن بالتأكيد المرة الأولى التي يتم فيها الاعتداء على طبيب داخل ذلك المستشفى، ولكن للأسف مثله مثل "دون أبونديو"⁽⁵⁾ أمام الحرس، أدرك أنه لم يكن أمامه أي مخرج، فمن هناك كان يجب أن يمر، وبالتالي استجمع شجاعته وواصل مسيرته. وبينما كان يقترب بخطوات بطيئة قلقلة، استطاع أن يدرس تلك المجموعة. أعمار هؤلاء الشباب تتراوح بين السادسة عشرة والثامنة عشرة. ذلك الفتى المستند على الحائط طويل القامة، له عُرف من الشعر في منتصف رأسه المحلوق، يمزج علكة ويلعب بميدالية مفاتيح سوداء. لا يبدو مسلحاً. أمّا الواقف على يمينه يدعو أكثر للطمأنينة، شعره مفلفل، ويبدو الاهتمام في طريقة لبسه، ونظرتة تبعث على الثقة، لا يبدو مخيفاً كالأول. أمّا الثالث فكان طويلاً. لون عينيه وشعره أسود. شاب جميل، لكن مظهره أقل نضارة. أنواع غير متشابهة من البشر. أقنع "كونسورتي" نفسه في أمتار قليلة أن ذلك الفتى ذا الشعر المفلفل، وذلك الفتى النحيف كانا من الأقارب المصاحبين للمريض.

عندما وصل إلى مسافة قريبة منهم، قرر الدكتور بأن يبدأ هو المفاجأة باللعب قبلهم.

(5)- دون أبونديو Don Abbondio هو واحد من شخصيات رواية "الخطيبان" (*I Promessi Sposi*) المشهورة للكاتب أليساندرو مانزوني. وكان "دون أبونديو" هو المكلف بإجراء مراسم زواج بطلي الرواية "رينزو" و"لوتشيا"، ولكن أثناء تمشيته المعتادة قابل حارسين من رجال "دون رودريجو"، وقد قال له فيما بينهم بألا يقيم ذلك الزواج بنوع من التهديد. و"دون أبونديو" رجل يتسم بالجبن والكسل والخجل، يستسلم أمام الصعوبات والعقبات التي يقابلها. وللوهلة الأولى يحاول القس "دون أبونديو" تبرير موقفه، ليعبد عن نفسه مسؤولية ذلك الأمر، حيث إنه لن يجني من وراء ذلك الزواج أي مكسب، ولكنه سرعان ما يرضخ لرغبة الحارسين.

- يا شباب، مجموعات العلاج من الإدمان اليوم انتهت، وعلى العموم يتم عقدها في الغرفة رقم خمسة، في الطابق الأول.

ظل الثلاثة مندهشين للحظة، ثم على الفور وقع "جيبو" على ركبتيه حيث لم يتمالك نفسه من الضحك.

- قلت لكم دائماً إن وجوهكم وجوه مدمنين!

كان "كونسورتي" مندهشاً من رد الفعل ذلك، ضحك "إرنستو" كذلك، بينما بدأ "چورچو" يفكر بالفعل في كيفية إيجاد خدعة لمواجهة هذا العائق، أي كيفية إقناع طبيب بالإفصاح عن سر من أسرار المهنة. ثم بابتسامة نقية قدّم نفسه بطريقة مهذبة للطبيب النفسي: - مساء الخير يا دكتور، نحن طلاب في مدرسة "مورجانتة"، "فيديريكو سيربييري" هو أحد أساتذتنا.

كان "كونسورتي" غاضباً لأن أحد المرضى تم تعقبه حتى هناك، ولكنه كان مسروراً لإمكانية خروجه حياً من المستشفى، وعندئذٍ قام بمصافحة الثلاثة.

كان ينظر إليهم بحدة، قائلاً:

- أستاذكم لن يكون سعيداً إن رآكم هنا، ولكنكم هنا الآن، ماذا أستطيع أن أفعل لكم يا شباب؟

تحدث "چورچو":

- نحن قلقون من أجله، فنحن متعلقون به كثيراً.

لم يكن "كونسورتي" يتخيل أن العلاقات الشخصية البتّة لـ "سيربييري" قد أصبح لها تأثير كبير لتصل إلى هذا.

ثم تشجع "إرنستو" وقرر التدخل ليقول:

- الأستاذ ليس بحالة جيدة بأي شكل من الأشكال وفكرنا أن طبيبه هو الوحيد القادر على مساعدتنا.

كانت تلك الكلمات كافية لـ"كونسورتي" كي يشعر بالشك في أنه تسرّع في الابتهاج من أجل تطور حالة مريضه. وفي إطار وظيفته كطبيب كان من المناسب أن يحوّل الموقف لصالحه، وبالتالي أدار مصير المحادثة ليحول نفسه من شخص يتم التحقيق معه إلى محقق: - أفهم ذلك لكن، ما الذي تعنيه بليس بحالة جيدة؟ فهل مثلاً له سلوك غير تقليدي؟ رد "جيبو" معلقاً:

- غير تقليدي فقط....

- عليكم أن تكونوا أكثر دقة يا أولاد: فهذا الرجل عانى كثيراً.

كان "جيبو" على وشك أن يحكي القصة من البداية، لكن "إرنستو" أوقفه بقبضة حاسمة على ذراعه.

- أعتقد أنك بالتأكيد تحب أن تعرف كل شيء عن مرضاك، ولكن في المقابل يجب أن تقول لنا شيئاً عن قصة الأستاذ.

هنا لم يستطع "كونسورتي" أن يكتم الضحك:

- وكيف لكم أن تفكروا أنني سأحكي لكم قصة أحد المرضى؟ ربما لأجدها بعد ذلك على إحدى وسائل التواصل الاجتماعي؟

كانت قلعة قواعد أخلاقيات المهنة تبدو منيعة وحصينة، وكان الرباعي قد وصل أمام باب المصعد.

- هيا، قل لنا شيئاً، تحدث بشكل عام دون الخوض في تفاصيل.

كان "جيبو" يصر وبدأ "جورجو" يخشى أن يطبّق صديقه الطرق الإقناعية الخطيرة، التي كان مشهوراً بها في المدرسة. وكان من الأفضل منعه وهكذا قرر استخدام طريقة التظاهر بمغادرة المكان.

- بالتأكيد، على أي حال كنا نتوقع ذلك. شكرًا على أي حال، يا دكتور، واعدتنا إن كنا قد أزعجنا حضرتك.

دخلت المجموعة المصعد، وكان "جيبو" و"إرنستو" يشاهدان المتحدث الرسمي لهما بدهشة كبيرة، فالقائد قد استسلم بسرعة كبيرة ولم تكن هذه من سماته.

ضغط "جورجو" على زر الطابق الأرضي ثم وجّه نظرة مأساوية إلى الطبيب النفسي.
- لكن يجب علي أن أنبّه حضرتك يا دكتور، عندما نصبح على دراية بما يقوم به مريض حضرتك، ربما سيكون الوقت قد تأخر للغاية وأخشى أن يحمّل كثيرون سيادتكم المسؤولية.
تلك الإيحاءات جعلت الطبيب يضطرب، فمن المؤكد أنه كان يتحتم عليه أن يكون مسؤولاً عن تصرفات شخص مريض باضطراب عصبي، بالطبع، وبالتالي استنتج بينه وبين نفسه أن خرقاً صغيراً للقواعد مسموح به، مع التحدث بشكل عام والبعد عن التفاصيل كما اقترح ذلك المخيف الذي يشبه أبناء الموهوك^٦.

- اتفقنا، لن أدخل فيما يتعلق بعلم الأمراض، لكن يمكنني أن أخبرك بشيء ما عن تجربته الإنسانية. فبعد انفصاله عن زوجته، حصل الأستاذ على حضانة ابنه "أوديليا"، طفلة رائعة في الخامسة من عمرها. لكن بمجرد أن تعرّض

(6) - قبيلة من الأمريكيين القدماء.

لبعض المشكلات الصحية التافهة، قامت زوجته، امرأة مصابة بوسواس المرض، بأخذ الطفلة معها إلى مدينة "ميلانو" دون حتى أن تستشير.

هنا قطع الطبيب حديثه لحظة ليدرس آثار كلماته على الأولاد الثلاثة.

- وقد سبب هذا الانفصال لأستاذكم معاناة هائلة، يمكنني القول تقريبًا صدمة، فكانت "أوديليا" تعشقه وتلك المرأة فصلت بينهما بالقوة. يكفي وضع كل شيء في يد محام، ولكن الأستاذ لا يريد أن يقاضي والدته ابنته. الآن تقضي الطفلة وقتها في مدينة "ميلانو" بمفردها.

كان "جيبو" قد توقف عن المضغ ليقول:

- يا لها من شنيعة تلك الزوجة.

سيطر على "إرنستو" اضطراب ملحوظ، وهو ما لاحظته "جورچو" بشيء من الراحة، فالصديق الذي كان يبدو دائمًا تحت تأثير مخدر قوي صار يشعر بشيء ما.

- دعونا الآن نعد إلى موضوعنا نحن. إن كان لدى الأستاذ سلوك غير عادي، فعليكم أن تقولوا لي كل شيء، من أجله ولمصلحته.

تبادل الفتية نظرات ذات معنى، ثم تحدّث "جورچو" الذي كان يقيّم جيدًا عواقب كل فعل يقوم به:

- إذاً ضع في اعتبارك هذا الأمر: بمجرد أن يدخل الأستاذ إلى الفصل، يضع بعناية صورة ابنته على مكتبه مع الأقلام والدفت.

فهم "إرنستو" على الفور أن تقرير "جورچو" لن يكون تفصيليًا بشكل كبير، وهو ما خفف شعوره بالاضطراب والانفعال.

فسأل "جورچو" الطبيب:

- ألا يبدو سلوًا غريبًا لحضرتك؟

تحول توتر الدكتور "كونسورتي" لابتسامة:

- إن كان الأمر كله يقف عند ذلك الحد فليس هناك شيء يدعو إلى القلق. فالصورة تعد شيئاً رابطاً، فأستاذكم قد عوّض "أوديليا" بصورتها. وهو تعويض يتكرر بكثرة، فهل تعلمون

كم من الناس البالغة ينامون وهم يحتضنون دمياتهم؟!

ظل "جيبو" ينظر إلى أحد صديقيه للحظة والأخرى ينظر إلى الدكتور، منتظراً بقية قصة الأستاذ "سيربييري"، لكن بعد قليل أدرك أن تلك لبقية لن تأتي.

وصل المصعد إلى الطابق الأرضي. وكان "كونسورتي" أول من خرج، ثم نظر مجدداً إلى ساعته، وهو يقول للثلاثي:

- يجب عليّ أن أترككم يا أولاد، لكن صدقوني، أنتم محظوظون، فـ"سيربييري" رجل ذو قيمة وثقافة كبيرة. في حقيقة الأمر، ما السيئ في أن ينظر إلى صورة ابنته؟ عليكم بالهدوء. صافح الثلاثة مجدداً.

- بالطبع.. نحن لم نلتق على الإطلاق، أليس هذا صحيحاً؟
غمز بإحدى عينيه إلى "جورجو"، الذي تأكد من أنه قائدهم. ثم غادر مسروراً مطمئناً منطلقاً إلى بطته. التزم الأولاد الصمت حتى اختفى عن أنظارهم.

كان "جيبو" أول من تحدث:

- لماذا لم تقص عليه الحقيقة كلها يا "جو"؟ يجب على الأستاذ أن يُعالج.

بدأ "جورجو" و"إرنستو" في السير بخطوات سريعة، أيضاً دون تحدث.

ثم رد "جورجو" على "جيبو" دون أن ينظر إليه:

- هذا الشخص يبدو لي أكثر غرابة من الأستاذ، ولا يوحي بأي نوع من الثقة.

تدخل "إرنستو" مضيئاً:

- أتفق معك.

أصبح "جيبو" الآن المضطرب الوحيد بينهم.

- ولكن الآن، ماذا سنفعل مع هذا المجنون؟

رد "إرنستو" وهو يوجه لـ "جورجو" نظرة تفاهم:

- لا شيء.

- كيف لا شيء؟

ختم "جورجو" ذلك الحديث هادئاً:

- حتى الآن قمنا فقط بمعرفة المزيد عن الظاهرة.

ثم عبر الفتية الثلاثة الطريق واختفى المستشفى وراء ظهورهم.

كان "فيدريكو سيربييري" جالساً على مكتبه يُنهي تصحيح واجبات طلاب الفرقة 3/3 عن "إيمانويل كانت". يوجد طالبان وسط أولئك يتمتعان بميول إلى الفكر الفلسفي، لكن بالتأكيد لم يكن "جورجو جريجور" ليتعلم منهما.

وضع الواجبات جانباً ثم انتقل إلى إعداد الدرس للسنة الثانية. كان الوقت قد حان لتقديم مشكلة إدمان الحب. سيكتشف الأولاد كيف أن الحب طريق تكسوه المعاناة، ولدعم أطروحته، اختار "أشتات حوار عاشق" لـ "رولان بارت" و"بيت الدمية" لـ "هنريك إبسن"، ودعم النظرية بمشاهدة فيلم "قصة أديل هوجو"، الابنة الشابة لـ "فيكتور هوجو" وانحدارها نحو الجحيم، فقد كانت رمزاً للتخطيط الذاتي للحب.

رئ المنبه على مكتبه معلناً الساعة السابعة إلا خمس دقائق.

كان الأستاذ يعلم أن "دورينا" لم تكن أبدًا في المنزل في تلك الساعة، وابنته تأخذ على محمل الجد مواعدهما على التلفون، كان يتخيل "أوديليا" بجانب عدة التلفون بالفعل ولم يكن مخطئًا في ذلك؛ فعندما اتصل برقم زوجته السابقة، جاءه صوت الطفلة بعد الرنة الأولى.

- آلو. باي؟

- أهلاً يا حبيبتي، كيف حالك؟

- بين السينين.

توتر الأستاذ على الفور، وسألها:

- لست على ما يرام؟

بعد لحظة من الصمت، استأنفت الطفلة حديثها بصوتٍ خافتٍ:

- هناك فتاة جديدة لا تعجبني على الإطلاق.

- لكن، "الدينا" أين ذهبت؟

- لقد طردتها ماما منذ ثلاثة أيام.

منع "سيربييري" نفسه من إخراج تعليق يدل على عدم الموافقة. لم يكن هناك أبدًا أي سبب حقيقي لطرد الفتيات، ولكن بمجرد أن تبدأ الطفلة في التعلق بهن، حتى تقوم أمها بطردهن ببعض الحجج الواهية. تذكر أن إحدى الفتيات اللطيفات كانت من مدينة "بريشا"، طُردت لأنها كانت تذكر "دورينا" بإحدى عشيقات والدها.

- وما اسم تلك الأنسة الجديدة؟

- "ماريكا" وهي الآن في المطبخ.

- ولماذا لا تعجبك "ماريكا" هذه؟

أصبح صوت الطفلة هامسًا:

- لها رائحة غريبة، ثم إنها لا تريد أن تلعب معي أبدًا.

- بالنسبة للمشكلة الأولى يمكنني مساعدتك.

- حقًا؟

- غدًا في الصباح سأرسل إليك هديةً من أجل الأنسة "ماريكا"، عبوة عطر.

- ولكنها لا تستحق الهدية.

- إنه من أجلك، من أجل مواساتك. سوف تسلّمينه إلى الأنسة "ماريكا" وستقولين لها إنه

من طرف والدكِ.

- وبهذا سوف تتعطر؟

- بالتأكيد، وبراءحةٍ طيبةٍ سيكون وجودها أكثر احتمالاً لك.

كانت الطفلة تضحك:

- باي، متى يمكنني المجيء هناك عندك؟ فأنا أفتقدكما كثيرًا.

بدأ صوت "سيربييري" يرتجف:

- قريبًا، هل تعرفين أن "فلاك" كبر كثيرًا؟

ربما بسبب الوحدة المتكررة، كانت "أوديليا" قد اعتادت الحديث إلى الحيوانات وكان

والدها يرضي هوسها هذا، لذلك نادى الكلب اللابرادور وبعد محاولة مرهقة ليجعله ساكنًا

وضع سماعة التليفون على الأذن اليمنى للكلب.

- يا "فلاك" كن جيدًا مع أبي، لأنه يحبك، هل فهمت؟

تملص الكلب ليتحرر من القبضة.

- اطمئني، لقد فهم جيدًا. لقد قمتَ بتربيته بشكل جيد للغاية.

تركت الطفلة بعض الثواني تمر من الصمت المليء بالمعاناة.

- لماذا لا يمكنني المجيء عندكما؟

- "أوديليا"... أنا أرغب في ذلك كثيرًا، يا صغيرتي.

- إذًا؟

- ماما تحتاج إلى بعض الوقت كي تعتاد أن تتركك، ولكن سوف ترين أننا سنقنعها.

- لكنني لا أرى ماما أبدًا! بابا من فضلك، لا أريد أن أبقى دائمًا وحدي.

كان صوت الطفلة قد أصبح أنينًا، وكانت تلك الطلبات المستمرة للجوء عنده شوغًا في

قلب والدها، الذي كان في كل مرة يخشى أن يموت من نزيف الدم أو من الألم.

- يا صغيرة بابا، تحملي، فالأشياء ستكون على ما يرام، أعدك بذلك.

كانت "أوديليا" تتأفف قليلًا ثم تستسلم بعد ذلك.

- حسنًا، أصدقك.

لم تكن مقتنعة تمامًا لكن قبل أن تغلق المحادثة كانت تستعيد دائمًا المزاج الجيد.

- يا بابي، هل ستقول لي فوازير؟

كانت بنبرة صوتها بهجة من جديد.

- بالتأكيد، دعيني أفكر، آه ها هي.. هنا نضع إيطاليا أو؟

- أعرفها. نفنى.

ضحك الوالد:

- نموت، يا "أوديليا"، ولكن المعنى واحد.

- يا بابي، تناديني "ماريكا"، يجب أن أذهب للعشاء الآن.

- حسنًا يا حبيبتي، أرسلني لي قُبلةً.

قُبِلَت الطفلة سماعة التليفون عدة مرات بصوتٍ عالٍ، ثم بعد أن أنهى الأستاذ المكالمة، ظل بضع دقائق يحدّق في الجدار؛ فعدم قدرته على حماية ابنته من الوحدة كانت تمزقه. شعر بَعْصَةٍ في حلقه تضغط عليه لينفجر في البكاء، لكنه نجح في التغلب عليها وفي استعادة الصفاء الذهني. وصل إلى غرفة المكتب وعاد إلى العمل، اطلع على بعض الصفحات لـ"رولان بارت" ثم وضعه بعيدًا. كان يجب تبديل برنامج المحاضرة بموضوع أكثر حتمية. كان يجب تعليم الأولاد ضرورة التوقعات الخاطئة والأحلام المحطمة، الطلبات التي لا تلبى والمشروعات الخادعة. وبكلمات أخرى كان هناك ما يجب تعليمه لهم عن الزواج وعن الوهم الكبير.

في اليوم التالي دخل "فيدريكو سيربييري" تقريبًا وهو يجري إلى فصل 3/2، يدفعه استعجال مُلَح. كان الطلاب ما زالوا يضعون في حقائبهم كتب اللغة اللاتينية، عندما قام الأستاذ بتحييتهم في عجلة من أمره دون أن ينظر إليهم، وبعد أن وضع الدفتر جذب انتباه المستمعين إليه بضربه على المكتب.

- اليوم استدعاني ناظر المدرسة لأمرٍ طارئ، لكن عندي عشر دقائق أخصصها لكم وأريد استغلالها جيدًا.

وقف "سيربييري" أمام السبورة وبحركات عصبية محا الدرس السابق. تابع الفصل حركات المُعَلِّم بشيء من التوتر. كانت حركات "سيربييري" سريعة وخاطفة مثل حركات الإنسان الآلي. لاحظ الطلاب الأكثر انتباهًا اضطراب الحالة المزاجية له، فلم يكن لديه أي شيء من ذلك الهدوء المطمئن الذي كان يتمتع به في الحصص الدراسية السابقة.

مال "جيّو" على "جورجو":

- "جو" ماذا نفعل إن حدثت لذلك الرجل نكسة؟

كان "چورچو" هادئًا:

- سوف نجد شيئًا نفعله، لكن سترى أنه سينجح في تخطي ذلك بمفرده.

مرر "سيربييري" يده في شعره غير المسرَّح وجمع تركيزه ليخفي الارتباك الذي سيطر عليه وليضفي جَوًّا أكثر طمأنينةً.

- قبل أن ندخل في عصب مادتنا، أود أن أخصص كلمتين لموضوع يمكن أن يبدو لمن هم في سنكم دون أهمية.

تحدث الأستاذ الآن بشكل أبطأ وقد بدأ يستعيد السيطرة على نفسه، بينما التلاميذ، بما فيهم "جيبو"، يتأقلمون بالفعل مع ذلك الاختلاف الجديد لشخصيته.

- مع ذلك، وضعت في اعتباري أن بعضكم، من أجل المستقبل، يمكنه أن يبدأ مشاريع تؤدي إلى تحطيم النفس، لذا فأنا لا أستطيع الصمت.

ثم اتجه "سيربييري" نحو السبورة وكتب:

"الوهم الكبير: الزواج".

"كل زواج يحمل بداخله الجرثومة التي تؤدي إلى نهايته".

تصاعدت همهمات معترضة في الفصل.

- لكن يا أستاذ، مَنْ يفكر هنا في الزواج؟

كان "جيبو" يستعرض ثقته بنفسه. والأستاذ مسرورًا بهذا التعليق، وجَّه إليه نظرة ودية.

- كنت أتوقع تشككم، فيما أقوله يا "لويجي" يا عزيزي، ومع ذلك ليس لديَّ شكوك في أن

نصفكم، قبل عشرين عامًا، أو ربما أقل من ذلك، سينتهي به الأمر إلى الزواج.

فتح كثير من الطلاب الكشكول المخصص للملاحظات على الدروس الجديدة التي وضعها "فيدريكو سيريبيري". اقترب الأستاذ من مقعد "جيو"، وأخذ بين يديه الكشكول ناصع البياض، وقرأ العنوان المكتوب على غلافه، (الحب لم يعد مناسباً لنا).

- عنوان جميل يا "جيو"، يعجبني، إنه قاطع، ولكنني أفضل حذف الضمير (لنا)، كي نجعل المبدأ أكثر عالمية. طبعاً إن كنت متفقاً معي، بكل تأكيد.

كان "جيو" سعيداً للغاية لإرضائه، حيث قام بتعديل العنوان ليصبح (الحب لم يعد مناسباً).

ثم عاد الأستاذ إلى مكتبه وتوجّه بالحديث إلى الفصل كاملاً.

- نعود إلى الزواج. فليكنكم معرفة أن الزوجين يظنان أنهما ينتهيان إلى مصير مدفوع بوهم كبير وهو السعادة. الوهم بطبيعته خادع، فليس من المصادفة أن بين كل أربع حالات زواج، توجد حالة واحدة مصيرها الفشل. أولئك الذين يصمدون تدعمهم دوافع ضعيفة الحماس حقاً. سأكون ممتناً لكم إن كتبتم في كشاكلكم الدوافع الحقيقية التي يتم من أجلها اتخاذ تلك الخطوة المتهورة. يتزوج المرء من أجل: "اقتناعات اجتماعية/ مفاهيم دينية/ مصالح مادية". الزواج ليس إلا واحداً من المصايد الخادعة للحب، وأخطرها. وما هو إلا حب يُمارس في النظام الاجتماعي ليهديكم مبادئ فارغة مثل (للأبد).

رفعت "سارة" يدها بحماس للدفاع عن نفسها:

- لكن، معذرةً يا أستاذ، فحضرتك تعلم، إن كنت سعيداً مع شخص، فأنت تؤمن في لحظة معينة بأن تلك السعادة ستستمر للأبد. هذا أمر طبيعي.

تدخل "لورينزو" مضيفاً:

- نعم، يحدث ذلك مع كل أولئك الذين يعيشون معاً.

ثم وجّه نظرة اتفاق إلى فتاته.

ابتسم "سيربييري" بطيبة إلى الخطيبين الوحيديين في الفصل.

- يا أعزائي، الآن لا يمكنكم معرفة ذلك، لكن كلمة (للأبد) غير موجودة، إنه مفهوم
يسيئون استخدامه عندما يجد المرء نفسه مع شريك حياته أمام منصة الزواج.

رفعت "مارتا" يدها:

- يا أستاذ، لحسن الحظ عندنا مسموح بالطلاق.

- بالتأكيد يا "مارتا" يا عزيزتي، لكنه إجراء بغض وليس من الأشياء المحببة بطبيعة الحال،
تم تفعيله لتحديد الثمن الأخلاقي لحريتكم، بالعلاوة على أنه إجراء اقتصادي. شيء مأساوي
يشبه درب الصليب، يمكن الاستغناء عنه بكل سرور. فالزواج، بشكل سريع للغاية، هو الأمل
في السعادة الذي يذوب بعد أن يربط بينكم، عن طريق القانون، شخص غريب، فتكونون
دائمًا عرضةً لمبادراته، وفي تواصل وثيق مع شخصيات منبوذة، يُطلق عليهم والدا الزوج
والأقارب. كل هذا من الممكن أن يصبح بسرعة كبيرة كابوسًا.

تدخلت "جوليا" في الدرس:

- معذرةً يا أستاذ، فحضرتك تضيع وقتك، فالزواج هو اتفاق برجوازي عفا عليه الزمن،
كلنا هنا متفقون مع ذلك.

ثم توجهت الفتاة نحو زملائها، لتقول:

- دون خوف، فليرفع يده من ليس متفقًا مع ذلك.

لم يرفع أي زميل يده، فهناك من كان يخشى أن يسخر منه الآخرون، وهناك من كان نائمًا،
وهناك من كان لا يعنيه الأمر تجاه وجهة نظر ليست وشيكةً.

توجّهت "جوليا" نحو "سيربييري"، قائلة:

- هل رأيت ذلك يا أستاذ؟ لا أحد يأخذ حتى موقفًا، فلا يستمعون إلى حضرتك. يمكنني القول إن الزواج ليس مشكلةً.

كان "سيربييري" ينظر إليها قلًا، وقال:

- شكرًا يا "جوليا"، أقدر تفاؤلك، ولكنني لا أستطيع مشاركتك الرأي. فعندما تصبحون في العمر المناسب للزواج، الضغوط الاجتماعية حولكم ستكون قوية لدرجة أنه لن ينجح الجميع في الصمود. على كل حال، أرجو أن تكون تلك الكلمات القليلة قد أسهمت في أن تفتح لكم أعينكم، أما الآن فعلي الذهاب.

كان "فيدريكو سيربييري" يعود بذاكرته إلى زواجه، بينما يعيد وضع أشيائه في حقيبته. كلمة "نعم" التي قالها والتي كانت مليئةً بالحب، جلبت وراءها كميةً كبيرةً من الألم، مما جعل الأمر غير ممكن بالنسبة له أن ينطق كلمة التأكيد تلك دون أن يخشى عواقب وخيمة على صحته. فعلى الفور بعد أن تفوه بكلمة "نعم" بحركة ضعيفة لشفتيه من أجل الانفصال، كان قد سقط على الأرض فاقدًا الوعي، وعندما خرجت من فمه كلمة "نعم" أخرى تحمّل ألم رحيل طفلته إلى مدينة "ميلانو"، كانت قد أصابته حالة من الذعر. وفي النهاية، كلمة "نعم" التي انتزعتها منه زوجته عندما طلبت أن تأخذ معها جهاز الجرامافون الأثري الخاص به، كلفه ذلك أزمة صحية خطيرة في الجهاز التنفسي. كان يعلم أن كل ذلك يعود أصله إلى كلمة "نعم" الغادرة الأولى التي كانت أمام القانون، ذلك القربان الزائف للسعادة.

رغمًا في ذلك اليوم المشؤوم، سيتذكر أحد الأولاد تحذيراته قبل أن يضع في إصبعه خاتم الزواج الذي يُشبه قميص تقييد المرضى العقليين.

استعد الطلاب للذهاب إلى صالة الألعاب الرياضية. لكن "إرنستو" ظل يحدّق بوجه مُشتعلٍ في الأستاذ. لم يكن واثقًا فيما يريد فعله. في النهاية، تغلب على حيرته واقترب.

- والداي كان من الممكن أن يظلا معًا الحياة كلها.

ردّ عليه دون أن يرفع عينيه:

- نظرًا لاستخدام صيغة "كان من الممكن"، أستنتج من ذلك أن شيئًا ما لم يتم على النحو

الصحيح، يا "إرنستو" يا عزيزي.

كانت يدها تنتقلان بسرعة من المذكرات إلى الكشاكيل.

- لأن والدي توفي. فقط لذلك السبب.

ظل "سيربييري" واقفًا مأخوذًا من النبذة الحاسمة، التي لم يكن يتوقعها من ذلك الطالب،

لكن لم يكن لديه وقت لإضافة حتى ولو كلمة؛ فـ"إرنستو" كان قد ابتعد عن مكتب الأستاذ.

في تلك اللحظة نفسها، في شقته المضيئة والأنيقة، التي بدت على الرغم من أناقتها كالبازار، كانت "تشيتشيليا" تبحث دون كللٍ عن السترة الصوفية. كانت قد أفرغت أربعة أدراج وألقفتها بإهمال بالفعل، وكذلك أفرغت الدولاب، ثم بدأت البحث في غرفة "إرنستو". تدهور ذوق ابنها في الملابس بشكل غريب، ولكن بالنسبة لـ"تشيتشيليا" كان يبدو أكثر عقلانية أن تركز اهتمامها مع "كيم"، تلك المرأة التي تقوم بالتنظيف، امرأة ضيقة الأفق، ففطنتها المحدودة واضحة، والدليل على ذلك وضعها دائمًا لجوارب كرة القدم بجوار حوامل الصدر الخاصة بها، فكان من الأهم التنبؤ بأخطائها.

وهي في الطريقة تذكرت أن السترة الصوفية، مثل هدايا كثيرة من "كارلو"، انتهى بها الأمر

في الصندوق الأصفر المخصص لتجميع الملابس المراد الاستغناء عنها، لذا قررت تركه واعتباره

من الملابس البالية، وقررت ارتداء طقم (twinset) من الكشمير.

بفضل إصرار "ليفيا"، والددة "جورجو"، اقتنعت "تشيتشيليا" بأن عليها تخطي عتبة سجنها، والذهاب لأحد المحال التجارية الضخمة المزدهمة بالناس، فكان ذلك يبدو برنامجًا مثيّرًا. ارتدت ملابسها دون أن تنظر في المرأة لترى كيف تبدو. وسرحت شعرها الأسود الجميل. تركت ورقة بالقرب من التليفون، حيث كانت تعلم أن عدم وجودها في المنزل سيمثل هدية جميلة لـ "إرنستو". كما أعدت لنفسها، كي تتفادى تلك الذاكرة التي أضعفها الـ (Lexotan)، قائمة بالطعام الذي يفضلها ابنها.

رأتها "بيننا" وهي تخرج من المصعد ومن الدهشة بقيت ثابتة وفي يدها قماشة بالية تتساقط منها قطرات المياه في الهواء.

- سيدتي، لكن حضرتك.. ستخرجين؟

ابتسمت لها "تشيتشيليا" وقالت:

- نعم، يا "بيننا"، التقطي لي صورة، فحتى أنا لا أصدق نفسي.

- لكن، هل ستعودين؟

فكرت "تشيتشيليا" في أنه لو كان منزلها تحت تصرف "كيم" والعمارة تحت تصرف "بيننا"، لكان لسائني العمارة كلهم فرص ضئيلة للغاية للبقاء على قيد الحياة. فكان من الممكن أن يفجروا أنفسهم.

استقبلتها "ليفيا" بباب السيارة مفتوحًا. عانقتها بقوة، ثم ألقت عليها نظرة بعينين فاحصتين. كانت "تشيتشيليا" هزيلة، وكان تجويفا عينيها زرقاوين، وبشرتها شاحبة. ذكرت لها شخصية من شخصيات سلسلة حكايات مصاصي الدماء التي كان الأبناء يتابعونها عندما كانوا أطفالًا.

قالت "تشيتشيليا" مازحة:

- أعرف أنني أبعدو كمصاصة دماء في الخمسين من عمرها.

- لا تحتملين الضوء، أليس كذلك؟

أغلقت "تشيتشيليا" جفניה، ونزعت "ليفا" النظارة ووضعتها على أنف "تشيتشيليا".

- شكرًا.

قالت "ليفا" ضاحكة:

- أحذرك بأن دمي يلطش.

ثم أدارت محرك السيارة وانطلقتا متحمستين ملء ثلاجة "تشيتشيليا".

في المحل التجاري الضخم، الساعة الخامسة يوم السبت، كانت المعركة قد بدأت لتوها.

تشجعت "تشيتشيليا"، مندفعَةً بين عربات التسوق في طريق تصادمي، كانت هناك

صفوف طويلة أمام الكاشير، ونداء مُلحٌ للإعلانات الدعائية والبائعات اللاتي كن يرتدين ملابسًا

مثل ملابس الممرضات، كن يلوّحن بجبن الموتزاريلا التي كان عليها عرض.

كانت "ليفا" قد وضعت لتوها في عربة المشتريات المشتركة بينهما عبوتين من الطماطم

المنزوعة قشرتها عندما، دون أي سبب واضح، التفتت "تشيتشيليا" خلفها.

ظلت "تشيتشيليا" مصعوفةً من المشهد أمامها، لكنها حاولت أن تشرّد بذهنها هاربة نحو

قسم المجمدات، حيث بدا لها أنها تتعرّف على رفيقها السابق في شخص ما يستخدم سماعات

أذن ماثلةً لتلك التي أهدتها لـ "كارلو" في عيد الميلاذ المجيد السابق. التفت الرجل، الذي

وقف ممسكًا بسمكةٍ في يده، نحوها وابتسم.

"تشيتشيليا"، التي بدأت تشعر بأعراض اضطراب ذعر خفيف، ذهبت إلى صديقتها:
 - "ليفيا"، هذا المكان خطير، فهنا كثير من الذكريات. اعتدت المجيء إلى هنا مع "كارلو".
 - الحقيقة هي أنكِ اعتدت المجيء معي أنا، لا تفكّري في الأمر. هيا، أنا ذاهبة لقسم
 الجزارة.

ابتعدت "ليفيا" ومعها قائمتها في يدها، بينما توجّهت "تشيتشيليا" نحو قسم البسكويت
 والمُرَبَّى. أمسكت بعلبتين من بسكويت (Gentilini)، ولكن على الفور أدركت أنه لا فائدة
 من شراء الماركة المفضلة لدى "كارلو"، فهو لم يعد موجودًا لتقتسم البسكويت معه. تحوّل
 الرف بسرعة إلى حائط المبكى الخاص بها. كانت "تشيتشيليا" منزعجةً بسبب سلسلة من
 الذكريات المتتالية: "كارلو" الذي كان يرتدي البيجاما ويأكل بسكويتًا من ماركة (Gentilini)،
 الذي كان يطلب منها أن تشتريه، ويضع ذلك في قائمة المشتريات، وهو أيضًا الذي كان، بعد
 انتهائه من الإفطار، يُقبّلها بعشقيّ، وفعلاً قُبَلاته في الصباح كان لها طعم بسكويت
 الـ(Gentilini).

- أخذتُ دجاجة لكِ أنتِ أيضًا، فـ"إرنستو" يحب الدجاج، أليس كذلك؟
 مرت "ليفيا" بجوارها دون أن تتوقّف وألقت، كما يفعلون في كرة السلة، بدجاجتين
 ريفيتين، وأجابت "تشيتشيليا" شاردةً، بينما تهاجمها تلك الأجواء التي ما زالت تذكرها
 بـ"كارلو".

في كل زاوية يوجد اثنان مُحَبَّان. كان هناك فتى وفتاة يتبادلان القُبَلات أمام الآيس كريم،
 وسيدة جميلة في يد زوجها، كانت تهمس بشيء في أذنه بشكل عذب، وهي تنظر برغبة إلى
 شريحة من سمكة تونة.

- "ليفيا"، سأذهب إلى الكاشير.

- لكنكِ لم تشترِ شيئًا! أنا أحتاج إلى الأرز.

وقلها يتقطع إربًا، ساقَت "تشيتشيليا" عربة المشتريات نحو بوابة الخروج بعد تلك الجولة الطويلة الجحيمية، لكن كانت هناك ضربة جديدة في انتظارها أمام جدار المشروبات الكحولية. وقف رجل في الأربعين من عمره تقريبًا يختار من النبيذ، وهو يرتدي المعطف (Burberry) ذاته لـ "كارلو" فبدأت عينا "تشيتشيليا" تدمعان. كان الخروج من المنزل تهورًا خطيرًا، لم تكن قد طورت الأجسام المضادة بالشكل الكافي. وبما أن "ليفا" فهمت الموقف، لكن مقررة أن تتجنب فكرة أن يموت "إرنستو" من الجوع، أنهت عملية الشراء بدلًا من "تشيتشيليا". ثم أخذتها من ذراعها بعد أن قامت بدفع عربة التسوق بسرعة عاجلة، أدخلتها السيارة مع كل المشتريات.

بمجرد أن جلست أمام عجلة القيادة، بدأت "ليفا" في الخطوة الثانية، وهي أن تحوّل انتباه "تشيتشيليا" إلى موضوع الأبناء.

- هل تعلمين أن "چورچو" يعطي زملاءه حصصًا لمراجعة مادة التاريخ يوم الإثنين؟ ألم يحكِ لكِ "إرنستو" ذلك؟

- لا. لم أكن أعرف ذلك، إن "چورچو" مجتهد حقًا، أنا سعيدة بذلك.

- لقد تنصتُ من الباب لعدة دقائق، وأقسم لكِ بأنها كانت تبدو كمحاضرةٍ جامعيةٍ. تعلمين أن "چورچو" كتوم، ولكن عندي إحساس بأن هذا تأثير ذلك الأستاذ الجديد. هل سمعتِ عنه؟

انفجرت "تشيتشيليا" مُصدرةً شهقةً.

- "تشيتشي" لا تفعلني هذا، فالأولاد يذكرون بجدية، تخيلي أنني قمت بالقضاء على نباتات الماريجوانا التي كانوا قد زرعوها عندي في الشرفة وسط نبات اللبلاب ولم يقوموا حتى بالاعتراض على ذلك.

لم تكن "تشيتشيليا" تستطيع الاستماع إلى تلك الكلمات المطمئنة:

- "إرنستو" يشعر بشيء يعذبه، أنا أشعر بذلك، ولكنني لا أستطيع البقاء بجانبه. لقد حوّلته إلى ممرض!

اقتربت "ليفيا" من حافة الطريق. تركت "تشيتشيليا" نفسها بين ذراعي صديقتها، وظلا هكذا، مضمومتين إلى بعضهما، لدقائق غير منتهية، على الأقل بسبب الازدحام الذي كان حولهما.

- "إرنستو" سيتغلب على تلك الحالة، سيتغلب عليها، لأنه في عمر جميل، ولديه عقل جميل، يجب فقط أن يستعيد حيويته، وأنتِ بالذات، لماذا لا تعودين إلى العمل؟ فهذا سوف يكون في صالحكِ أنا متأكدة من ذلك.

- لا أستطيع يا "ليفيا"، فليس عندي الطاقة كي أبدأ من جديد، قد يبدو ذلك غريباً لك، وخاصة أنا التي أقول ذلك، ولكن الأمر هكذا.

لم ترد "ليفيا" على ذلك، ولكن استراتيجيتها كانت تنتظر أيضاً الخطوة الثالثة، ألا وهي أن توجهها إلى الحديث عن الأثاث.

أن تؤخذ "تشيتشيليا" إلى أحد محلات الأثاث، كان إطلاق عنان طفل في حديقة ألعاب (Luna Park): فعندما كان يقوم أي شخص من أصدقائهما بإعادة هيكلة منزله، كانت تتم استشارتها هي أولاً، كما لو كانت "بيثيا" للتصميم الداخلي. وبعد عشرين دقيقة من التجول في أحد محال الأثاث صديق البيئة، لاحظت "ليفيا" بأقصى علامات الرضا أن نظرات "تشيتشيليا" كانت تلمع من الاهتمام. لكن عندما وصلا إلى منطقة الأرائك، أفسد أحد الباعة المتصنعين بيديه الجميلتين المبادرة الجيدة لـ "ليفيا".

أراد الشاب استعراض نفسه، ومجرد أن بدأ في تحريك الكنب، عادت "تشيتشيليا" بذهنها إلى الأوقات التي كان "كارلو" يفتح فيها الكنب السرير في حجرة المكتب، حيث كانا يتحaban، بكل عشق، في الشهور الأولى لعلاقتهم.

قال البائع:

- هل ترين يا سيدتي؟ في ثانية واحدة تفتحنيها وتغلقنيها.

راقبت "ليشيا" وجه "تشيتشيليا" وهو يتغير.

- أرجوك يا "ليشيا"، خذيني إلى المنزل.

- جميل جدًا، ربما نعود مرةً أخرى، اتفقنا؟

رأت "ليشيا" صديققتها تتوجّه بحزم نحو بوابة الخروج، تاركة البائع بإحدى الوسائد في يديه، جرت وراءها. وأثناء رحلة العودة، لم تكن لدى "ليشيا" الشجاعة لتفتح فمها أيضًا؛ لأنها لم تكن قد وضعت الخطة الرابعة. وعلى العموم كانت "تشيتشيليا" تكرر بصوت ضعيف ابتهاًلاً:

- لا يمكنني أن أتخلص من ذكرياتنا نحن الاثنين معًا، لا يمكنني.. لا أنجح في ذلك يا "ليشيا"، أنا أشعر به دائماً قريباً مني، إنه عذاب.

توقفت السيارة بجوار عمارة "تشيتشيليا"، لم تنجح صديققتها في إخراجها من حالتها. أمسكت "تشيتشيليا" البائسة كيس المشتريات بسرعة، وأعطت صديققتها قبلة سريعة، وانصرفت. رأتها "بينا" وهي تنطلق كعداء سرعة المائة متر. جرت "تشيتشيليا" على السلام وتوقفت لاهثة أمام الباب، دخلت المنزل وارتفعت معنوياتها عندما اكتشفت أنها وحدها بالمنزل. ثم، للحظة قبل أن تقبل بعدم قدرتها على التناغم مع الوجود، أغلقت على نفسها الباب بثلاث تكات وتركت نفسها لبكاء هستيري.

نوفمبر

الوهم الكبير



كانت "مورجانتة" مدرسة ذات تقاليد عريقة. فعند رؤيتها للوهلة الأولى، تُذكرنا ببيت إصلاح وتهذيب من القرن الماضي، بسبب تصميمها الضخم المستطيل، وحوائطها الرمادية المتهالكة والتصدعات التي لا يُمكن تلافيها. كان كل ذلك في الواقع نتيجة للتأجيل المستمر لعمليات الترميم، وكان ذلك التأجيل دائماً بسبب نقص الموارد المالية. ومع ذلك، داخل ذلك المبنى الإسبارطي، تم تأهيل فلاسفة وعلماء رياضيات ومحامين وصحفيين. أولئك الشباب أصحاب الآمال الجريئة والعزيمة الحديدية، أصبحوا فيما بعد البرجوازية المستنيرة للعاصمة. وبطبيعة الحال كانت مدرسة انتقائية ولم يُسمع عن حالات رسوب فيها من قبل.

لم يكن أحد يستطيع أن يتخيل أنه يوجد داخل ذلك المكان المتميز اضطراباً عقلياً قد استوطن دون عقبات، ليجند متعاطفين معه. كان طلاب فصل 3/2، بدايةً من الشخصيات الأكثر تمرّداً، يظهرّون هدوءاً مريباً، وأرجع الأساتذة سبب هذا الهدوء إلى أن طلبة ذلك الفصل يشعرون بأهمية الامتحان النهائي للمدرسة الثانوية في العام التالي.

وبفضل الأساليب الملهذبة والثقافة القادرة على ربط قواعد وتخصصات مختلفة، نجح "فيدريكو سيربييري" في كسب الطلاب والناظر والعَمَّال. فقد بدأ الجميع في اعتباره نيشاناً يُضاف على الفور إلى شعار النبل الخاص بالمدرسة. لم يرَ أحدٌ قط أحد عناوين حصة 3/2 المكتوبة على السبورة، "حب" و"وحدة" أو "نظام التعلق العاطفي"، والتي كان من شأنها بالتأكيد أن تقلق الطلاب والناظر والعَمَّال الذين كانوا يعيشونه.

كانت المادة الجديدة، المدعومة بدمائة صاحبها، تكسب شيئاً فشيئاً أمام أعين طلابه المختارين الاحترام نفسه للمواد الأخرى. أصبح "جيبُو" المساعد الخاص بكل ما يتعلَّق بالكمبيوتر، مُسهِّماً في نشر المادة بذلك. بعد المدرسة كان الفتى يعمل "كاشير" في مطعم والده، ولهذا كان يطلق على نفسه الطالب العامل، على الرغم من أنه من الناحية العملية لم يكن يظهر ميلاً لأي من النشاطين.

في ذلك اليوم، بينما كان يجلس على كاشير مطعم والده مستسلماً لمصيره، أعطاه "نينو"، الجرسون، ثلاثمائة وخمسين يورو.

- ممن هذه النقود؟

رد "نينو":

- من هؤلاء الأمريكيان الأربعة الجالسين على المائدة رقم 6، بالقرب من الأخصائي النفسي الخاص بك.

ألقى "جيبُو" نظرة على المائدة رقم 5، حيث كان "كاميلو" يلتهم طبقاً من مكرونة "الفيثوتشينه"، ثم نظر إلى رقم 6، حيث كانت هناك مجموعة من الأمريكيين السكارى والمزعجين يقومون بتنظيم أنفسهم للوصول إلى باب الخروج.

حدَّق الجرسون بابتسامة ساخرة في رأس "جيبُو".

- تليق بك القبعة كثيراً حقاً.

- اذهب للعب بعيداً يا "نينو".. هيا اذهب.

توقف "جيبو" عن النظر إلى الجرسون الأكبر سناً، عندما رأى والده يخرج من المطبخ ليقترّب من مائدة الأخصائي النفسي.

عندما كان "كاميلو" يذهب ليأكل في المطعم، كان "ماريو ريفولي" يطلب تقريراً عن نتائج الدعم العلاجي لابنه، جاهلاً بحقيقة أن "جيبو" والأخصائي النفسي عقدا اتفاقاً سرياً: وجبات غذاء مجانية مقابل تقارير مطمئنة.

- إذاً يا دكتور، كيف حال "لويجي"؟

انتهى الأخصائي النفسي الشاب من ابتلاع مقدار شوكة من مكرونة الـ"فيتوتشينه"، وبتلك الروح المهذبة دعا صاحب المطعم للجلوس معه.

فأجاب السيد "ريفولي":

- شكرًا، لكن لا يمكنني البقاء، فالمحاسب التجاري ينتظرني.

نظف "كاميلو" شفّتيه من الصلصة وضبط وضع نظارته على أنفه.

- إذاً سأكون موجزًا: "لويجي" يتقدم تقدماً ملحوظاً. ابن حضرتك نضج حقًا، وربما حضرتك أيضًا قد انتبهت لذلك، كما أعتقد.

كان "ماريو ريفولي" رجلًا بسيطًا وصريحًا.

- في الحقيقة لا. ففي الصيف الماضي أخذه إلى قسم الشرطة مرتين، وهذا بالطبع دون أن نذكر ما يفعله في المدرسة.

لم يستطع تصديقه. لكن "كاميلو" كان مطلوبًا منه أن يخدع "ريفولي"، تمامًا كمن يحاول بيع النبيذ المصنوع في المنزل على أنه نبيذ أحمر من ماركة "مونتالسينو" (Montalcino) المشهورة.

- انظر حضرتك، أداء "لويجي" في المدرسة ليست له أهمية كبيرة.

- هل حضرتك تعتقد ذلك؟

- بالتأكيد، فالعمل الذي نقوم به مع ابن حضرتك أكثر صعوبة، إن "لويجي" يتعلم الآن كيف يكوّن لنفسه هوية بتدعيم الـ"أنا" الخاص به، فهو يحاول أن.. أن يكون أكثر جرأةً.

- آه، إذًا فمن وجهة نظر حضرتك، هو عليه أن يكون أكثر جرأةً من ذلك؟

تمنى "ماريو ريفولي" تصديق أن ابنه قد عولج بالفعل، كان يودُّ أن يصدق أنه من شأن تلك التقارير المشجعة إبعاد ابنه عن المصائب.

قال "كاميلو" منهياً تقريره:

- بالنسبة لـ"لويجي" من المهم ألا يقمع نفسه، وأن يشعر بأن والده يثق به.

لم يكن "ماريو ريفولي" يصدّق أن تقدم ابنه ملحوظ هكذا، وهو على بُعد عشرين مترًا فقط منه. فلم يكن "جيبّو" بالتأكيد يقمع نفسه في اللحظة التي سحب فيها خمسين يورو من حساب الأمريكيين ليضعها في جوربه الأيسر، ثم يضع بعد ذلك بقية الحساب داخل الخزانة. وتلك العاهرة التي كانت تستقبله في شارع "ماركوني" كل أربعاء كانت خبيرة، ولكن بالطبع لم تكن تكلفتها رخيصةً. تابع "جيبّو" والده بالنظرات بينما يتعد عن "كاميلو" ليخرج من المطعم. لم يكن يشعر بأي ذنب، فعلى كل حال هو بكل بساطة يعيد التوازن إلى الدرجات الاجتماعية، كما كان يطلق عليها "چورچو"، ثم إن والده يجني الكثير جدًّا من المال، وفي أغلب الأحيان لم يكن يصدر الإيصال الضريبي، كما أجبره على الذهاب إلى المدرسة الثانوية الكلاسيكية. لذا فمن حقه أخذ التعويض المناسب.

وضع "نينو" الأطباق المتسخة على الرف ثم اقترب وقدّم إليه فنجان قهوة. فأخذ "جيبّو" الفنجان بابتسامة، لكن الجرسون بدأ يحدّق من جديد في رأسه مُصدراً ضحكةً. فكاد "جيبّو" ينساق وراء رد فعل عنيف عندما ابتعد "نينو"، الذي ربما أدرك الخطر، دون أن يكف عن الابتسام. ثم التف "جيبّو" نحو باب

الدخول ووقفت أول رشفة من القهوة تقريباً في حلقه. كان الأستاذ "سيربييري" واقفاً أمام باب الدخول. وكان كالعادة يرتدي زياً أنيقاً وعلى القدر نفسه من النظام الذي ينبغي أن يكون عليه أي مدعو إلى افتتاح أحد المعارض المهمة. كان يتأمل الأجواء العامة التي يُسجن بها يومياً أكثر طلابه شعباً. لم يكن يتخيل أن يكون المحل مريحاً هكذا. يوجد نبذ عالي الجودة من مختلف الأنواع يغطي الحوائط ممتالية، وفي السقف توجد أحد الزخارف لأوراق الشجر الجافة مع أحزمة البصل والثوم والفلفل، فكان ذلك هو تصميم حانات الريف، وكانت الموائد إلى حد كبير مشغولة.

خلف "چييو"، في وسط الحائط، يوجد قناع خشبي مطلي له فم أحمر ضخم، وحواجب غزيرة سوداء. كان شيئاً مفرعاً، غريب بشكل كامل على الأجواء العامة للمكان.

- أستاذ.. ماذا تفعل في هذا المكان؟

بدا عليه التأثير بسبب الوصول غير المتوقع لضيف الشرف ذلك.

- صباح الخير يا "لويجي".

شرد "سيربييري" على الفور في القُبعة السوداء التي يضعها الفتى مضغوطةً على رأسه، ووجهه إليه نظرة استفهامية.

أخبره "چييو" قائلاً بنبرة صوت تدل على الاستسلام:

- إنه والدي الذي يريدني أن أضعها، يخاف أن تفرع قصة شعري الزبائن.

- اختيار غريب، أنا أجدك أكثر تهديداً بتلك القبة السوداء.

- قلتُ ذلك أيضاً.

كان "كاميلو" يتفحص عن بعد الواقد الجديد. وجهه له الأستاذ، بكل لطفٍ، إشارةً بالتحية، تم ردّها بكل عنايةٍ وسرورٍ.

قال "جيو" للأستاذ:

- لو تحب حضرتك يمكنك اقتسام المائدة مع "كاميلو" .. وإلا فيجب الانتظار بعض الوقت.

- شكرًا، لكنني لست هنا من أجل الطعام، لقد أتيت إلى هنا لوالدك.

توتر "جيو" قليلًا، كان يظن أن اللقاء بين والده والأستاذة، وخاصة أولئك غير المتوقعين

مثل "سيربييري" كان يجب أن تتم فقط في مناسبات استثنائية.

- لقد خرج.. هل تود حضرتك الحديث إليه عن المدرسة؟

- ليس بالضبط، فقط عنك.

اقترب جرسون آخر ومعه بعض النقود الورقية بين يديه.

- إنها خاصة بالمائدة رقم 1.

- معذرةً يا أستاذ.

- لا عليك، افعل ما عليك فعله.

بكل أدب تنحى "سيربييري" جانبًا، بينما كان "جيو" يضع النقود في الخزينة دون أن

ينظر حتى إليها، قلقًا يود العودة إلى ضيفه.

- أستاذ، آسف جدًا ولكن والدي خرج لتوّه وسيعود متأخرًا، أظن ذلك.

لم يبدُ الأستاذ قلقًا لهذا الأمر، واقترب من تلميذه بشكل حميمي.

- اسمع يا "لويجي"، أزل عني فضولًا ما.. لماذا أنت ماهر هكذا باستخدام الكمبيوتر؟

رفع الفتى كتفيه كما لو كان السؤال لا يخصه:

- إنها مجرد صدفة، فمنذ عامين وضع أخي أحد أجهزة الكمبيوتر بين يدي، وبدأت في

تحليله، قرأت كتيبين، ومن هنا بعد بعض الوقت أعجبتني.

- وما رأي والدك في هذا؟
- وماذا سيقول؟ لا يعرف شيئاً عن ذلك.
- كان يبدو آسفًا لذلك، وشعر الأستاذ بنوعٍ من الحسرة من أجل هذا الشغف المُحبط.
- اسمعني، أنت موهبة مهددة في المعهد الكلاسيكي للمدرسة الثانوية، فإن التحقت
ببرنامج علوم الحاسبات سوف تشعر بأنك أكثر إفادة. ألم تفكر أبدًا في ذلك؟
- بالنسبة لي، تلك المدرسة لا تعجبني مطلقًا، كل ما في الأمر أن بها أصدقائي، وعلى الأقل
عندي حجة كي أراهم كل يوم.
- أفهم ذلك، لكن تذكر أن الأصدقاء الحقيقيين يفضلون دائمًا أن تكون سعيدًا، ثم إنك
تستطيع رؤيتهم على أي حال.
- بدأت الفكرة المجنونة لـ "فيدريكو سيرييري" فجأةً لـ "جيو" جديدة بالوضع في الاعتبار.
- رفع الأستاذ نظره نحو القناع.
- جميل. هذا قناع إحدى الأرواح الخاصة بجزيرة "بالي"، واسمه "سيدها كاريّا".
- هل تعرفه حضرتك؟ جميل، أليس كذلك؟ لقد أهدوني إياه، وبالتأكيد في مثل هذا
المطعم بين الثوم والبصل لا يبدو في مكانه، ولكن بمجرد أن أجد مكانًا صغيرًا سأخذه وسأضعه
في واجهة زجاجية مخصصة كلها له.
- كان يتأمل القناع بفخر طفولي. واستقبل الأستاذ فكرته بإشارة تدل على الموافقة، ثم
أخرج ظرفًا.
- هذا الخطاب من أجل والدك، اعتنِ به.
- استلم "جيو"، الذي هدأ الآن، الخطاب. وجّه الأستاذ إليه ابتسامة طيبة.
- إدًا، أتمنى لك عملًا طيبًا، وسنلتقي في الفصل.
- إلى اللقاء يا أستاذ.

انتظر "جيبو" حتى يخرج وظل لبضع لحظات يتأمل الظرف وعليه اسم والده مكتوباً بالخط المتعرج لـ "سيربييري".

ترك مكانه خلف الخزينة ووصل إلى الممر بين المطابخ. تأكد من عدم وجود أحد من الجرسونات ثم توقّف في زاوية متوارية قليلاً. وجب عليه تحرّي دقة غير معتادة ونجح في ألا يمزق الظرف ثم أخرج الخطاب من داخله وبدأ في قراءته.

"السيد المؤقّر" ريفولي،

يتوجب عليّ أن أخبر حضرتك، إن لم تكن على دراية بذلك، أن "لويجي" خبير ممتاز بعلوم الحاسبات ومهارته أسدت لي خدمات كثيرة مفيدة. أرجو من حضرتك، من أجل مصلحة ابنك، في حالة عدم تمكنه من اجتياز العام الدراسي، أن تضع في الاعتبار برنامجاً جيداً في علوم الحاسبات، الذي من الممكن أن تفتح شهادته لـ "لويجي" فرص عمل مهمة. وأسمح لنفسني بأن أرفق قائمة بالمعاهد الأكثر تأهيلاً.

مع خالص تحياتي

الأستاذ "فيدريكو سيربييري".

ملحوظة أخيرة.

إن حوائط مدرستنا ضيقة للغاية لفتى مثل "لويجي" الذي وُلد لكي يركض في المراعي".

ألقي "جيبو" نظرة على القائمة بأسماء المعاهد العشرة الخاصة بعلوم الحاسبات الملحق بها عناوينها.

- يا له من مجنون.

ثم ثنى الحافة السفلى للخطاب مزق عنه السطرين الأخيرين القادرين على كشف الحالة المقلقة لـ "فيدريكيو سربيري"، ثم أغلق الظرف بعناية من جديد، وذهب إلى مكتب والده وترك له الخطاب على مكتبه.

كانت دروس يوم الإثنين في التاريخ للمجموعة المنشقة مستمرة في بيت "چورچو"، لكنها ظلت لفترةٍ مستمرةٍ من دون "إرنستو". وعلى الرغم من أسفه لذلك، فإن "چورچو" كان قد سلك طريقه دون توقّف أسبوعًا تلو الآخر، مدرّكًا حجم المسؤوليات التي كانت على عاتقه. أما الآن وقد وصلوا إلى عتبات الثورة الفرنسية، فقد رفض "چورچو" الاستمرار تاركًا صديقه متأخرًا.

قرر في تلك الظهيرة أن يذهب إلى منزل صديقه، وبعد أن لاحظ التدهور الجسدي لـ "تشيتشيليا"، تسحب بكل صمت ليدخل غرفة "إرنستو" بالاضطراب نفسه الذي يصيب من يجول في قصر مسحور ومسكون من الأشباح والمشعوذين.

كانت الغرفة مظلمة. نظر "چورچو" حوله. لا يزال الوقت عصرًا، لذا فمن الممكن أن يستثمر "إرنستو" وقته في بعض الأنشطة المناسبة، ربما في مذاكرة التاريخ والفلسفة، أو تنظيم مجموعة للتعمّق في المظاهر الجديدة للعنصرية، أو كتابة قصائد حب، أو أضعف الإيمان ممارسة الجنس مع شخص ما. لكنه على خلاف ذلك كان نائمًا على بطنه، كعجوز في ظهيرة الصيف. جسده النحيف، المكسو بسرّوالة الداخلي، وقميص نصف كم، تغطيه سماعات "الآي باد"، وسماعات التليفون المحمول، وسماعات تستخدم للاستماع إلى الموسيقى، وكانت هناك بعض الملابس المبعثرة هنا وهناك.

كان جهاز الكمبيوتر مفتوحًا على مكتبه، ولكي تكتمل الفوضى مع عدم النظام كانت هناك أوراق مكومة، وكوبان متسخان، وأنايب ملونة لعدة مراتهم. فكّر "چورچو" في أي وسيلة غير مؤلمة لإيقاظه، عندما لاحظ بالقرب من الكمبيوتر جوابًا، جواب الحب الموجّه إلى "چوليا". قرأه بسرعة دون أدنى

قلق أو تحفظ وتأكد من أنه يعكس الأسلوب الأفضل لـ"إرنستو"، أسلوب جليل ولكنه مع ذلك بسيط، تميزه كتابة نثرية بها عناية فائقة، وبفقرات شعرية ذات ذوق وحساسية. بالنسبة لـ"چورچو" جواب حب مثل هذا لم يكن يعني له الكثير أو يمثل أهمية، فمثله مثل مصدر الوحي والإلهام، كانت "چوليا" ذات تأثير واضح، ولكن لو كانت قد قرأت هذا الجواب، لم تكن لتقدره.

شعر "إرنستو" ببعض الضوضاء ففتح عينًا ورأى صديق طفولته يفتش في الأشياء على مكتبه.

- "چورچو".. هل تفهم ما تعنيه كلمة الخصوصية؟

قابل "چورچو" الصوت الغليظ الذي أتى من خلفه بإخفاء الجواب تحت أحد الكتب، ثم اقترب من "إرنستو" وجلس بجواره.

- اسمع أيها النائم الجميل! هل يمكن معرفة سبب عدم مجيئك إلى دروس يوم الإثنين التي ننظمها لدروس التاريخ؟ ألم تكن موافقًا عليها؟

أعطاه "إرنستو" ظهره، ولم يكن يبدو أن لديه النية بأن يفتح عينيه.

- هل ترون "چوليا"؟

- بالطبع نراها، فهي تسير في طريقها، بك أو من دونك.

لم تكن لدى "چورچو" أي مشكلات في التحدث بوضوح، وملاحظة حالة "إرنستو" وضع في الاعتبار أنه في حالة لم يحصلوا على أي درس مفيد من حصص "سيربييري" ونظرياته، فيمكن لدروسه هذه على الأقل أن تمنحهم بعض النقاط التي يمكن أن يبدأوا من عندها. فتح "إرنستو" عينين ناعستين وحزبتين.

- "چو".. لا أستطيع أن أراها دائمًا أمامي، منشغلة بكل شيء، بكل شيء.. حيوانات الفقمة، والنووي، والصديقات، والتاريخ، كل شيء.. عداي أنا.

نهض "إرنستو" من سريره واتجه بثقل نحو النافذة وفتح الستائر على نهار مغميم ومظلم. ظل هكذا لبضع ثوانٍ يتأمل الفراغ، مقهورًا، حزينًا، وبرعشة عاد لينام تحت اللحاف. تابعه "جورچو" بقلق.

قال "إرنستو":

- ربما تكون مسألة أولويات فقط، لا يهمني أي شيء آخر في هذه اللحظة.
- ليس من الأفضل لك على الإطلاق أن تضع "جوليا" في قمة أولوياتك. صدقني.
- ولكن ماذا يبقى لي يا "جورچو" غير ذلك؟ ففي الآونة الأخيرة أشعر بأنني على قيد الحياة ولو قليلًا فقط عندما أكون مع "جوليا".

ختم "جورچو" قائلاً:

- تبدو ميتًا أيضًا في تلك اللحظات، وهيئتك تثير الشفقة.
أجابته ابتسامة حائرة من صديقه.
ضربه "إرنستو" بوسادته، فدافع "جورچو" عن نفسه سعيدًا بلحظة اللعب تلك التي انتهت سريعًا، فصديقه يبدو وكأنه لا يملك القوى الكافية. قال "جورچو" بنبرة هادئة:
- اسمع.. عندما هجرتني "لافينيا" العام الماضي، شعرت بضيق، ولكن بعد فترة استعدت حياتي الطبيعية.

ضرب "إرنستو" جبهته بكف يده ضربة خفيفة.

- نعم، أذكر ذلك، بعد ربع ساعة!

- لا، حقًا، لقد كنت في حالة سيئة للغاية.

- ومتى كان هذا؟ فأنت لم تُغرم أبدًا بـ"لافينيا"!

لم يكن هناك حتى أي تلاقٍ بين "چورچو" والحب، وكان "إرنستو" يعلم ذلك جيدًا.

- ولكن هل من المعقول أن تتدهور حالة شخص إلى ذلك الحد لأنه مُغرم؟ وفي السادسة عشرة من عمره!

أنهى "چورچو" الحوار، وتحوّل "إرنستو" فجأةً إلى الجدية.

- خطبة مقنعة جدًا يا "جريجور"، سيكون "سيربييري" فخورًا بك!

- لا تحاول معي يا "إرني" فذلك المسكين مريض. أقول فقط إنه من الممكن أن تكون قد أحببت الشخص الخطأ.

- جيد، جد لي أخرى تتحرك وتتحدث وترى وتسير وتغضب وتمزح مثل "چوليا". قل لي كيف يمكنني أن أجد أخرى.

- كفى!

نهض "چورچو" من فوق السرير.

- أنت ملبوس، وأنا لست مجهزًا لطرد الأرواح الشريرة.

ثم تحرّك بخطواتٍ متعبَةٍ نحو الباب، والتف مجددًا نحو "إرنستو":

- ولكن لماذا لا تبحث أنت عن أي تحول في هذه القصة؟ تحدث معها! أليس ذلك أفضل؟

تنهّد "إرنستو" وقال:

- نعم، يجب عليّ فعل ذلك، ولكنني لا أستطيع فهمها.. "چوليا" غريبة الأطوار، تربكني.. وتقضي عليّ.

- هذه هي الحقيقة المؤكدة الوحيدة.

بدا "إرنستو" أصغر من عمره. كان مرتبًا وتسيطر عليه حالة من الشك، وهو ما جعل "جورجو" يشعر بالمزيد من الضيق.

- سينتهي بك الأمر أنت و"تشتشيليا" كمثالٍ على الحالات المرضية للحب في نظريات "سيربييري" الجنونية. حالتك مرضية بالفعل. ألا ترى ذلك؟

بحث "إرنستو" عن شيء يلقيه به، فالتقط من تحت سريره الأوزان الخاصة بصالة الألعاب، فجري "جورجو" خارجًا من الغرفة. وبينما كان "إرنستو" يكتشف عدم قدرته على حمل الأوزان التي تزن كيلوجرامين، نظر "جورجو" مجددًا إليه من الباب، وقال له:

- أمر وحيد حتمي: تنفّس مع "جوليا"!

أخفى "إرنستو" رأسه تحت اللحاف.

اكتشف "بييترو" السبت التالي إحساسًا ومتعةً الظهور في حفل موسيقي حقيقي. حتى وإن لم تكن حفلة اختبار لدى إحدى شركات الإنتاج الفني، فرقة "ريد" كانت تعزف لأول مرة أمام عددٍ ملحوظٍ من الأشخاص.

كان الأستاذ "سيربييري" قد استمع بانتباهٍ إلى المقطع التجريبي من مقطوعات الفرقة، ثم أرسل إلى "بييترو" تعليقًا فنيًا مطولًا ومُفصّلًا، وقد كان كريمًا في مدحه، لكنه كذلك انتقد بعض النقاط. في النهاية شجّع على محاولة العزف بأفضل ما في استطاعته، فالموسيقى يجب أن تُعامل دائمًا باحترام، حتى وإن كان ذلك في أماكن غير معروفة في الضواحي وأمام جمهور غير مُنتبهٍ.

كان "فيدريكو سيربييري" الأستاذ الوحيد الذي يستحق الدعوة، حيث ذهب إلى تلك الحفلة كما لو كانت إحدى حفلات الأوبرا. كان يرتدي معطفًا أسود من الساتان، مع البابيون والزرائر المعدنية الأنيقة التي توضع في الأكمام. جلس إلى

طاولة بعيدة عن المنصة مع "چورچو"، الذي ارتدى قناع شبحٍ وشيئاً ما يُشبه الملاءة. كان يتصفح باهتمام الكتب التي سلمها إليه الأستاذ من قبل.

قال الأستاذ:

- هذان هما أول جزأين من أعمال "فرنان بروديل". إنها نصوص أساسية. وحتى الآن أستطيع أن أقول إنه بإمكانك البدء من هنا، يا "چورچو".

- جيد، هل يمكنني أيضاً الحصول على ملازم حضرتك؟

- بالتأكيد، ولكن هناك العديد من الفصول باللغة الإنجليزية.

- لا مشكلة.

رُئِبَ "چورچو" الملازم في إحدى حافظات الملفات، وفي اللحظة التي التفت فيها الأستاذ نحو المدخل، دخلت "جوليا" و"مارتا".

كانت كل واحدة تمسك بيد الأخرى. ارتدت "جوليا" زي الساحرة الشريرة، بينما ارتدت "مارتا" زيًا قصيرًا للغاية، كأنها أرملة متشحةٌ بالسواد. سارت "مارتا" مترنحةً على الكعب العالي للغاية مثل العاهرة الشابة التي تعيش بالظلمات. اقتربت الفتاتان من "بييترو"، وهمستا بشيء في أذنه، ثم ابتعدتا بحثًا عن طاولة.

كان "بييترو" وعازف الجيتار الكهربائي منشغلين بترتيب عشوائي للمقطوعات المقرر عزفها عندما اقتربت فتاة طويلة لها شعر شديد السواد، وتضع مكياجًا ثقیلاً. كانت ترتدي قميصًا أسود يبرز صدرها الكبير. قالت:

- هل تغني لنا الأغنية الأخيرة لـ "كيارا"؟

رد "بييترو" دون أن يلتفت:

- لمن؟

ابتعدت الفتاة رافعة كتفيها. لم يُرد "بييترو" أن يتزامن وقت عرض حفلته الموسيقية مع عيد "الهالوين". فالجميع احتفلوا به بالفعل منذ عدة أيام، حيث انتشرت ديكورات على شكل عناكب وثمرات القرع والعباءات السوداء في المدينة. وها هم الآن يرتدون الأقنعة ويجلسون في ذلك المحل، ويبدون كفرقة متاعيس. لكن المعهد الفني المقابل لمدرسة "مورجانتِه"، تقدم باقتراح تقاسم إيجار المكان. استغرق بعض الوقت لتجميع المال، ففات تاريخ العيد.

اندماج المدرستين معًا في ذلك المكان، قدّم مزيجًا مختلفًا من الشباب. كان "بييترو" يظن أن تلك الفتاة بعينها المكحلتين وطلبها الذي ليس له معنى، كانت هناك للتأكيد على صحة وجهة نظره في رغبته باختيار البيئة المناسبة، وفي تلك اللحظة نسي تمامًا الأهمية التربوية للموسيقى التي كان يدعو لها "سيربييري". استدعى فرقته محاولاً أن ينسى الحالة الميؤوس منها لجمهوره، الذي كان من المتوقع ألا يفهم الفرصة الكبيرة للحضر التي يمنحها لهم. كانوا يحاولون اختيار المقطوعة التي سيبدأون بها عندما دخل "إرنستو"، الذي بدا ثملًا، متنكرًا في هيئة مصاص دماء. بدا تنكره مقنعًا تمامًا. اقترب من "بييترو" محاولاً عدم لفت الانتباه إليه.

- أحتاج إلى نفسين.

أخذ "بييترو" يتفحصه لبضع ثوانٍ.

- تبدو لي مضطربًا بما فيه الكفاية.

ثم تجاهله والتفت يحدث "جيمّي"، المشغول بتركيب الطبل. بدا "إرنستو" متعبًا. ونظرًا لكون الآخرين كلهم مدينين له دائمًا، فعندما يطلب "إرنستو" منهم السجائر، كان القليلون فقط هم من يرفضون طلبه. أشار له "بييترو" بأن يتبعه، على الرغم من احتجاجات الموسيقيين الآخرين. بعد أن اختبأ الاثنان خلف ستارة، تشاركا في سجارة ملفوفة.

في الناحية الأخرى من المكان، شاردًا عن حماس تلاميذه حوله، كان "سيربييري" يتابع بفضول تحركات "إرنستو".

بعد النفس الأخير، عاد "بييترو" إلى المنصة، لتبدأ الحفلة الموسيقية بين الضجيج والصفارات. بدا "إرنستو" كروح بلا سلام داخلي، متجولاً بين الأدخنة والكلمات المتكررة للأغنية. كان يبحث عن طاولة "چوليا" وعندما عثر عليها، توجه نحوها وهو يترنّج. أفسح لنفسه الطريق بين الزحام ليصطدم بـ"مارتا"، التي بدأت نوعاً من التعارف على طلاب المدرسة الأخرى. تركت صديقتها كي تتحدث مع ولدٍ من منطقة "أتشيليا".

- "إرني" أنت لا تستطيع الوقوف مستقيماً.. هل يمكنني مساعدتك؟
- لا، لا، شكرًا، أنا بخير.

كانت "چوليا" تشرب البيرة وتهز رأسها مع الموسيقى. بمجرد أن اقترب منها "إرنستو"، استقبلته بالابتسامة المعتادة غير المفهومة. كانت ركبتاه ترتجفان، وضربات قلبه متسارعة بسبب الأدرينالين. شعر بالغثيان الناتج عن الكحوليات ودوران الرأس الذي سببه له الحشيش.

الطريقة الوحيدة لإنهاء ما كان مقدماً على فعله، هي ألا يكون في حالته الطبيعية. وهكذا، وقف أمام "چوليا" وهو يكاد ينهار، وصرخ بعلو صوته لتسمعه وسط صخب الموسيقى، قائلاً أصعب جملة يمكن أن يقولها في حياته:

- يجب أن أتحدث إليك، هل نذهب إلى مكان ما؟

- هل من الضروري أن يكون الآن؟

- نعم، الآن.

أملت "چوليا" أن يكون هناك خبر جديد ذو خصوصية، فتبعته وهي تجر خلفها رداء الساحرة الشريرة الثقيل. على أي حال أثارها الفضول لمعرفة ما

يخفيه. عبر الاثنان الصالة بين الراقصين المتحمسين، ثم توقفوا في أحد الأماكن الخالية بين حمام السيدات وحمام الرجال.

كانت تلك هي اللحظة.

بدأ "إرنستو" يحدّق بها في حالة من اللاوعي كأنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي.

- "إرني"، ماذا هناك؟

بدأت "چوليا" تضرب الأرض بقدمها منفعلّة؛ كانت فرقة "ريد" قد انتهت من عزف مقطوعاتها وانتقلت إلى عزف بعض المقطوعات الموسيقية المعروفة، كانوا يعزفون: "نو وومان، نو كراي" No Woman, no cry، وهي لم تكن تستطيع المقاومة أمام Bob Marely "بوب مارلي"؛ كادت تُجنّ كي ترقص.

كان "إرنستو" يبدو كمن يستعد للقفز من مكان مرتفع دون مظلة.

- كنت أود أن أقول لك...

مدّ يده واضعاً إياها على شعرها، بمداعبةٍ طويلةٍ وعذبةٍ، ثم جذبها إليه وطبع قبلةً خفيفةً على فم "چوليا".

- "إرني".. ماذا تفعل؟

دفعته بعيداً عنها فارتطم ظهره بالحائط.

- لا تأتِ إليّ لتقول إنك مُلّ، لأن هذه الحماقات لا أُطيقها.

هكذا صرخت "چوليا" رافعة صوتها للغاية حتى يعلو فوق صخب المكان.

بدأ "إرنستو" يرى ضباباً، لكنه سمعها جيداً. حذرته "چوليا"، دون أن تضع حالته في الحسبان، بأن يتحكم في غرائزه، ثم انتقلت إلى نقد النماذج الاجتماعية المنتشرة التي تبحث عن الجنس بأي ثمن. لم تتوانَ عن ذكر مقطوعات من بحث أختها عن Luce Irigaray "لوسي إيريجاري" وفكر

الاختلاف. استمر توبيخها له خمس دقائق بالتمام والكمال. كان "إرنستو" يبدو كمركب شراعي يحاول الثبات أثناء العاصفة.

قررت "جوليا" أن هذا كان كافياً، وتركت صديقها المترنح الذي ظل واقفاً على قدميه. حدثت المشكلات التنفسية بعد ذلك بقليل، بدأ "إرنستو" يلهث. آخر ما رآه كانتا يدي "فيدريكو سيربييري" تصفعا على وجهه.

رأى "إرنستو" والده أمامه، حياً وشاباً، مثل تلك الصورة التي يبتسم فيها في حجرته. عاد لتلك السنوات القليلة التي قضاها معه. شعر وكأنه يشم رائحة عطره من جديد. كانت الصور تتوالى أمامه بطريقة عشوائية. تمنى لو تمكّن من إيقافه حتى ولو للحظة، لكنه اختفى. تركه الشاب، الذي كان يرتدي الأبيض والأسود، في سرير المستشفى والدموع تغرق وجهه، والمحاليل مُعلقةً حوله.

رأسه ثقيل، لكن معدته في حالة تحسّن طفيف. كان المخدر منتشرًا في جسده، مصيبًا أطرافه بالتنميل.

كما لو كان ينظر عبر غشاء، ملح "چورچو" و"چيئو" وهما يبتعدان. عندما نجح في رفع رأسه ملح شكّين، أحدهما يرتدي زياً داكناً، والآخر زياً أبيض.

قال ذو الزي الأبيض:

- يجب أن نعيد قياس السكر في الدم ونحاول إعادته إلى معدلاته الطبيعية، لن يستغرق الأمر الكثير من الوقت، بعدها يمكنه الخروج.

- ابن أختي فتى لا غبار عليه، لكن هل رأيت ما فعله؟ أول مرة يشرب فيها ينتهي به الأمر إلى غيبوبة بسبب الكحول.

كان صوت "سيربييري" هادئاً ومترنّاً. لم يدرك "إرنستو" في لحظتها أين هو ابن الأخت ذلك الذي يتحدثان عنه.

- عندما تعرف أختي بفعلته تلك ستقوم بحبسه في المنزل لمدة أسبوع. وسيكون معها كل الحق في ذلك.

العرق الذي أخذ يتصَبَّب من "سيربييري" نجح في مفاجأة "إرنستو" في تلك الظروف، فأستاذه كان يؤدي دورَ خالٍ من القرن السابق، وبشكلٍ مُقنِعٍ للغاية.
- بعد هذا الرعب، سترى حضرتك أن ابن أختك سوف يكون أكثر حرصًا في المستقبل. مع أطيّب أمنياتي بالشفاء يا أستاذ!

سَلَّم الطبيب على "سيربييري" باليد ثم أكمل جولته، اقترب الأستاذ من سرير المريض:
- كيف تشعر الآن؟
لم يستطع "إرنستو" أمام ابتسامة الأستاذ الحنون منع نفسه من البكاء. كانت الدموع تسيل على خديه لتنتهي في فمه.

- أنا أشعر بالخجل كثيرًا، أنا حقًا أحمق.
رفع يده بتلقائية ليجفف دموعه، لكن تم إيقافها بشكلٍ عذبٍ.
- أبكِ كما شئت، لكن علينا أن ننقذ القسطة.
قام "سيربييري" بتجفيف دموع "إرنستو" بمنديل من الكتان.
حاول "إرنستو" أن ينهض، قائلاً:
- يجب أن أخبر والدي.

- استكمالًا لقصتنا التمثيلية، ابتدع "چورچو" القصة التالية: الحفلة انتقلت من مكانها إلى "ساباوديا" في بيت "بييترو"، لكنك لم يكن لديك الوقت الكافي لإخبارها بهذا التغيير المفاجئ؛ لأن إحدى الفتيات - سنطلق عليها اسم "فيولا" - شعرت بالتعب فطلبت منك مرافقتها. عندئذٍ قررت أن تنصرف أنت. ما رأيك؟

همس "إرنستو" بشيء من المتعة:

- لا بأس بها.

كان يشعر بأنه أصبح أفضل حالاً. ولأنه سيخبره عن وجود فتاة، سيضطر إلى إعطاء "تشيتشيليا" وصفاً كاملاً لها. ودَّ لو يحكي عنها للأستاذ، لكنه رأى أنها ليست اللحظة المناسبة. اتصل "إرنستو" بـ"تشيتشيليا" في الصباح التالي، بعد أن خرج من المستشفى. وجد والدته هادئةً وسعيدةً لأنه استمتع مع أصدقائه.

وضع "فيدريكو سيربييري" مجموعةً متنوعةً من القمصان والبنطلونات أمام الفتى ليختار منها. جرَّب "إرنستو" كل هذه الملابس واكتشف أن ارتداء مقاسين أكبر لم يكن مشكلة لنفسيته المحطمة. وفي الوقت نفسه كان الأستاذ يعطيه فوطاً نظيفةً.

- أرجوك، اعتبر هذا المنزل مثل منزلك.

دخل "إرنستو" الحمام وأغلق على نفسه ليأخذ دُشاً يعيد إليه حيويته، ثم ارتدى الملابس النظيفة بأجواء تشبه الموسيقى الخلفية لـ"حلاق إشبيلية"، بينما كان الأستاذ في المطبخ يعدُّ أكلةً خفيفةً أساسها الخبز وعسل النحل والفاكهة. قرر الفتى - الذي كان لا يزال مرتبكاً بعض الشيء - استكشاف بيت أستاذه الذي كان عبارة عن مكتبة ضخمة حرقياً.

كان بالشفقة ممر طويل على شكل حرف الـ"U" مُعبأً لدرجة كبيرة بالكتب لدرجة تجعل رؤية الأرفف صعبة جداً.

كانت موضوعات الكتب مهمةً للغاية، ومرتبطة ترتيباً أبجدياً حسب اسم المؤلف. أحد الجدران، البالغ طوله ثلاثة أمتار، مقسمًا بين الأدب والفلسفة، وآخر ثلاثة أرفف مخصصة للشعر، بينما الأرفف العليا الموجودة فوق الأبواب

ملبئة بالعديد من مجلدات التاريخ، أمّا الأرفف الموجودة تحت النوافذ فيها كتب القانون والاقتصاد.

عبر "إرنستو" الممر كله وفي النهاية دخل غرفة "أوديليا"، حيث كان "فلاك" نائمًا على السرير، ثم نهض وخرج من الغرفة.
غرفة الطفلة أيضًا مكتظة بالكتب: حكايات خرافية قديمة وحديثة، وقصص للأطفال، ومجلدات من الكتب المصورة عن الجغرافيا والعلوم. وبالقرب من الدولاب توجد مجموعة من الصور. صور للأستاذ وابنته.

تشبه الطفلة والدها، لكن جمالها أكثر روعةً وبريقًا.

دخل "سيربييري" حاملًا في يديه زجاجة ماء وكوبًا.

- أستاذ، ابنتك طفلة...

قاطعته الأستاذ، وردّ عليه كما لو أن الضيف قد اكتشف إعاقة خطيرة عند "أوديليا".

- أعرف ذلك. إنها جميلة جدًا.

تنهّد "سيربييري" بينما يضع الزجاجة على الكومودينو.

- أودُ ألا تضع طفلي في حسانها هذه الفاجعة، لكن مستقبلًا أشك في ذلك. الجمال

سلاح غير مناسب، وأنا لا أريد أن تسير "أوديليا" وتتجول مسلحة.

وضع الأستاذ لـ"إرنستو" كوبًا من الماء وأوصاه بالشرب كي ينظف كبده ويرطب جسده.

كان "إرنستو" منجذبًا إلى كتب الأدب، وبالتالي عاد الاثنان إلى الممر، حيث أمسك الأستاذ

بسلم وصعد عليه حتى وصل إلى الرف الثاني من الأعلى وأخذ مجلدًا ضخماً وأعطاه إلى

الفتى.

- هذه هي الأعمال الكاملة، أردت إهداءها إليك منذ فترة.

قلب "إرنستو" بين يديه أشعار "لورانس".

- قرأت بعض الأشياء لـ"لورانس"، لكن لم أقرأه كله. ألف شكر.

قبل أن يدخل إلى مكتبه، اتفق "سيربييري" على موعد فسحة مهدئة للأعصاب، فالتمشية ستفيد في إيقاظ الخلايا التي أنهكتها الكحوليات.

افترق الاثنان وقرر "فلاك" بنوع من الإصرار اصطحاب الضيف.

لأكثر من ساعة جلس "إرنستو" يقرأ بنهم أبيات القصائد الأكثر جمالاً للشاعر الإنجليزي. توقف عند بعض القصائد مثل: "قصيدة حب"، و"منبوذ"، و"العروس"، و"الالتماس"؛ فكلما كان ينغرس في الصفحات الزاخرة بالعشق كان يشعر بأن قوة هوسه تخدم. ربما كان ذلك هو الطريق الصحيح كي يتعافى؛ أن يطهو نفسه على نار هادئة في ذلك الشعور حتى يجعله عادياً. كان للعملية فرصة بأن تنتهي على خير. في تلك الساعات، شغل "إرنستو" نفسه بالقراءة وشرب المياه. ثم بدأ ما حدث يعود إليه ببطء. أخذ يقنع نفسه أن عشقه لـ"جوليا" وليد خياله. كان يشعر بأعراض النقاهة، وبدأ يكتشف أن الحب في الأصل شكل من أشكال العتة الذي يمكن العلاج منه.

استكمل العلاج وحده، وهكذا انتقل عن اقتناع إلى قراءة "آلام فيتر"، ثم قرأ نصوصاً رومانسية أخرى، إلى أن جلب لنفسه شعوراً واضحاً بالغثيان.

في تمام الساعة السادسة وعشر دقائق، خرج "سيربييري" من مكتبه ومعه طوق الكلب ونادى على "فلاك". وبعدما تأكد من أن "إرنستو" أنهى زجاجة المياه، دعاه كما كان مخططاً للتمشية.

تبعاً لما أوحى له ما قرأه، فهم الفتى أن بإمكانه تغيير نظرتة إلى المشكلة، وهو ما بدا واضحاً على وجهه؛ حيث أصبحت نظراته أكثر يقظة ولمعاً، وهو ما انتبه الأستاذ إليه على الفور.

- عزيزي الشاب، اليوم تبدو شخصًا مختلفًا.

أجاب "إرنستو" بابتسامة مسرورًا:

- حسنًا! إذا فلنتعرف. أتشرف بمعرفة حضرتك. أنا "إرنستو جرادي".

قام "سيربييري" ضاحكًا بالسلام باليد على "إرنستو" الجديد:

- الشرف لي، أنا "فيدريكو سيربييري" ومرحبًا بك من جديد إلى العالم.

ومثله مثل الأستاذ "هيجينز" في "بجماليون" أمام بائعة الزهور الصغيرة التي لا تعرف القراءة والكتابة، كان الأستاذ يهنئ نفسه بإسهامه بطريقة ما في ذلك التحول السعيد.

خرجًا إلى الشارع. استنشق "إرنستو" هواء المساء وملأ به رئتيه. في هذه اللحظة بدت له الحياة قائمة لا نهاية لها من الاحتمالات. تذكر الأشياء الكثيرة التي تركها مُعلقة. لم يعد يفكر في "جوليا". سار الأستاذ والتلميذ في صمت لبضع دقائق.

فجأة سأل "إرنستو":

- أستاذ، هل تودُّ معرفة سبب تدهور حالتي هكذا؟

أجابه الأستاذ:

- ليس هناك داعٍ لذلك يا "إرنستو"، انس كل شيء، فلقد أعطى العلاج ثماره.

وبنبهة أكاديمية رد "إرنستو":

- اتفقنا، ولكن أودُّ أن أفهم الظاهرة. ما الخطأ الجسيم في الرغبة في الحب؟

- ثق يا فتى بأن المرء يتعلم أكثر عندما يكون غير محبوب مقارنة بالعكس.

- مع ذلك لا تستطيع حضرتك إنكار أن وجود شخص يضعك في مركز حياته شيء مُرضٍ.

كان الأستاذ متفهّمًا لشكوك الشاب الذي كان يتحرك كجدي وُلد لتوه.

- بالتأكيد، ولكن هذا ليس واقعياً. النفع الذي تشعر به عندما تكون تحت تأثير الحب هو خداع كبير. لن تكون أبداً أكثر جمالاً، أو أكثر ذكاءً، أو أعلى مما أنت عليه حقاً فقط لأن شخصاً ما يضعك في مركز أوهامه وهذيانه. بكلمات أخرى يصبح الناس ضحايا في عملية تمثيل كبيرة.

كان "إرنستو" يتأمل "فلاك" الذي كان يقضي حاجته مقوساً ظهره المليء بالشعر.

- لكن لماذا حضرتك متأكد من ذلك هكذا؟

ارتدى "سيربييري" زوجاً من القفّازات البلاستيكية، ثم أخرج جاروفاً وكيساً وجمع فضلات "فلاك" وكأنه بستان يهتم بحديقة من زهور الأوركيد.

- أتيحت لي الفرصة لدراسة الظاهرة والتفكير فيها. التجربة العاطفية للحب خاطئة، خاصةً في عمركم هذا. الإنسان يحتاج إليها لأنه يطمح في الأمان، لكن إن وضعنا في الاعتبار أن وجودنا في تطور مستمر، فأيضاً الاستقرار شيء ببساطة وهمي.

ألقي "سيربييري" فضلات "فلاك" وقفّازات الجراح التي كان يرتديها في صندوق القمامة. بينما "إرنستو" يفكر فيما قاله أستاذه.

استكمل الأستاذ حديثه:

- لكن أحياناً يحدث أن نقع في فخ الحب. ومن الأفضل أن ينظم المرء نفسه حتى لا

يرضخ. فمثلاً أنت الآن تستطيع استثمار هذا الوضع.

- كيف؟

- بأن تستعد كي تصبح "لورانس" الجديد مثلاً.

كان "إرنستو" مستمتعاً بالثقة الجديدة التي منحه إياها الأستاذ دون مناسبة.

- في النهاية فإن التفكير في الأمر هو الطريقة الوحيدة الصحية لاستغلال هذا الهذيان الذي يُدعى الحب؛ فالكثير من الفنانين في كل عصر تفهّموا ذلك جيداً. ومن هذا المنطلق، ووفقاً لهذا، يُمكن أن يصبح عاملاً منتجاً.

شعر "إرنستو" باستعادة شجاعته بهذه الكلمات التي كانت، بطريقة مدهشة، لا تحمل أي أمل.

أنهى الأستاذ الحوار، قائلاً:

- من الأفضل أن نعود الآن؛ أنت ما زلت ضعيفاً، كما أن موعد الاتصال التليفوني لطفلي قد اقترب.

انطلقا نحو المنزل في هدوء، وقد ربطتهما حميمية جديدة. كان "فلاك" يسير مهرولاً حولهما. وبينما ينظر إلى ذلك الرجل الأنيق المهذب وهو يسير بالقرب منه، فكّر "إرنستو" في أبيه، ذلك الرجل الذي أحب كثيراً دون تحفظات. ومع ذلك لو كُتبت له الحياة، لأرادته أن يكون مثل "فيدريكو سبرييري" في كل شيء.



ديسمبر

قوة مضادة للمجتمع



لم يتفق أساتذة فصل 3/2 في "مدرسة مورجانت" على سياسة تدريس مشتركة بينهم لهذا الفصل. على أي حال، كان هيكل أعضاء هيئة التدريس غير متناغم؛ فمثلاً ستجد شاباً يقوم بأول مهمة كُلف بها، وسيداً توشك على الوصول إلى سن المعاش، وأخرى غريبة الأطوار ثائرة لها أظافر طويلة جداً، ورجلاً عجوزاً قاسياً يدعي معرفة ما لا يعرف، بالإضافة إلى اثنين احتياطين تعباً من تعاقدهما المؤقت. لكن في ذلك اليوم في نصف ديسمبر، أثناء الاجتماع الأخير للفصل الدراسي الأول، تشاركوا جميعاً في إحساس واحد: ضيق غير متوقع تجاه زميلهم الجديد، أستاذ التاريخ والفلسفة.

كان فصل 3/2 يمثل دائماً مشكلة للجميع. فالعناصر القليلة الصالحة أظهرت تعاطفاً مخيفاً تجاه الفوضوية. انقسم الأولاد إلى مجموعات تتألف وتتحد بشكل عجيب أمام عدو مشترك؛ الأساتذة.

المعلمون الأقل جنوناً كانوا يتساءلون كيف لفصل مثل هذا، ليس لديه أدنى تقبّل لمبدأ النظام، أن يكتشف بالإجماع هوسه بدراسات التاريخ والفلسفة. ما نوع السحر الذي جعل الطلاب، الذين كانوا فقط في العام السابق يقومون بنقل حروب ومعاهدات من قرن لآخر، أساتذة في التاريخ؟ وكيف لـ"لويجي ريشولي" العصي

على أي تعليم أن يستحق بكل إعجاز الحصول على تسع درجات من عشر؟ هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كانت تؤرق بعض المعلمين، ولكن المرافعات الدفاعية لـ "سيربييري" كانت حماسية لدرجة أنه لم يجرؤ أحد على التحقيق في ذلك.

بعد حوارات "سيربييري" المطمئنة حول ذلك الإنجاز، استطاع الأولاد أيضًا أن يتحسنوا في درجات السلوك، وهو حدث مثير لقلق زملائه. ربما كان حقيقياً، كما اضطر هو نفسه للاعتراف بذلك، أن الأولاد كانوا يقضون وقتاً أقل على الكتب مقارنة بالوقت الذي يقضونه في الشارع، ولكن في المقابل كانوا يولون اهتماماً وانتباهاً كبيرين للنقاش الذي يدور في الفصل كما يشاركون مقدمين إسهامات مفيدة.

اعترضت "أديله بالميري" على هذا الحضور المبالغ فيه:

- "سيربييري" تذكر أنك أستاذ ولست أباً.

استغل الفرصة ليعرب عن فكرته في التدريس فقال:

- ولكن يا زميلتي العزيزة من المعلوم أنه مطلوب منا القدرة على أن نكون آباء وأمّهات علاوة على كوننا معلمين.

هذا الخلط في الأدوار كان يقلق الزملاء كثيراً. وهكذا عندما حاول "سيربييري"، كأبي غيور، التدخل في التقييم النهائي للمواد الأخرى ومهارة بلاغية في تحويل الدرجات الثلاث إلى

ست درجات، قامت جبهة متماسكة برفع الدروع لصد الهجوم.

لعبت الشكوك في عقل أستاذ مادة تاريخ الفن، فقال:

- "سيربييري"، هل تنتمي إلى إحدى الجمعيات الدينية؟

- لا، على الإطلاق، يا "موديسي"، فمفهومي عن المدرسة علماني حتى النخاع.

جلس المدرس المُسن في صمتٍ حائرٍ.

وبنبرة صوت تشبه تلك النبرة المستخدمة في التحقيقات بشكل يثير الضيق، قالت
"جالوسّي" أستاذة الكيمياء:

- هل صحيح كما أخبروني بأن "ماركو فالينتي" نادرًا ما ينام أثناء الشرح أثناء حصصك؟
- نعم، الأمر هكذا فعلاً. فـ"ماركو" في حصصه يقضي بعض الدقائق في حالة من اليقظة،
وفي بعض الأحيان ينجح أيضًا في المشاركة.
أرادت "جالوسّي" أن تعرف شيئًا فقالت:

- معذرةً يا "سيربييري"، لكن كيف تفسر هذه الظاهرة؟
- لستُ خبيرًا؛ فما اكتشفته عن مرض التغفيق هو أن النوبات تصيب المريض عندما
يستقبل دافعًا ضعيفًا من البيئة المحيطة، هل أنتم متأكدون من أنكم تبذلون أفضل ما
لديكم لإبقائه يقطًا؟

بعد هذه الكلمات حصل الأستاذ على تأكيدات غاضبة من زملائه على كل الضيق من
هؤلاء الطلاب ومن كل من يدافع عنهم. وبالنظر حوله، اقتنع أنه لو كان مرض التغفيق ذلك
معديًا لكان الكثيرون ممن كانوا داخل تلك الحجرة أكثر من راضين.

تم رفع درجات السلوك الست التي حصل عليها "چورچو جريجور" إلى سبع درجات
على الرغم من وصفه لـ"جالوسّي" بـ«المرأة المحدودة»، وجاء سبب الرفع أداء "چورچو" دور
البطل في أحد الدروس المهمة في حصص التاريخ.

عندما أخذ الطلاب شهادة نتيجة الفصل الدراسي الأول إلى المنزل، شهد
الجميع، حتى المعارضون له، بالتأثير السحري لـ"فيديريكو سيربييري".
وبطبيعة الحال كان الأستاذ يشعر بتزايد القبول الصادق لما يقوم به. وذلك

بخلاف مجموعة من المعارضين يتزعمها "بييرلويجي فلاميني"، التي قررت أن تحوّل ذلك الأستاذ غريب الأطوار إلى ضحية مستهدفة لعمليات مزاح هزلية.

في أحد أيام الإثنين قبل بدء الإجازة بأيام قليلة، كان الفصل لايزال خاليًا عندما طلب "بييرلويجي" سرًا من "إلاريا" أن تراقب له الباب. قام اثنان آخران من المشاركين في الأمر بمساعدته وهما يكتمان ضحكتهما. وبغراء قوي للغاية ألصق رسمة على مقعد الأستاذ. كانت رسمة كاريكاتيرية لـ "سيربييري" وهو يرسم على السبورة عضوًا ذكرياً ضخماً يخرج منه رذاذ السائل المنوي. ومجرد أن سمعوا جرس انتهاء الفسحة، عاد "بييرلويجي" والقليلون المتورطون معه بسرعة إلى مقاعدهم. وفي ظل أجواء الإثارة التي لا نهاية لها، لم ينتبه الطلاب الآخرون لفصل 3/2 على الفور إلى المفاجأة التي تنتظر الأستاذ. ولكن عندما ذهبت "مارتا" كي تغلق النافذة لاحظت الرسمة، وصاحت قائلة:

- "إرنستو"، يا إلهي! انظر.

اقترب "إرنستو" الذي استدعته للإغاثة وتحوّل فضوله بسرعة إلى غضب، وقال:

- يؤسفني ذلك يا "مارتا"، عندما يكون المرء غيبًا هكذا، يجب أن توضع له نهاية.

تحرك الكثير من الطلاب لإخفاء تلك الرسمة الكاريكاتيرية التي كانوا يخشون أن يتورطوا هم أنفسهم، رغمًا عنهم، في وقاحتها.

قال "إرنستو":

- هيا، تحرّكوا!

ومن أجل سلامة "بييرلويجي فلاميني" قرّر مراقبة "جيبّو"، إلا أن ذلك المحارب المقاتل كان منشغلًا في نقل واجب الرياضيات فلم يساهم في حل المشكلة.

ردت "مارتا" قائلة:

- يجب أن تختفي الرسمة قبل أن يأتي.

تسلَّح كل من "إرنستو" و"مارتا" مسرعين بمساطر وقواطع وأخذوا يواجهان الغراء الشيطاني. دخل "فيدريكو سيربييري" مع "چورچو" و"جوليا" في اللحظة نفسها التي انشغل فيها الاثنان بإزالة القطعة الأخيرة من الورقة التي كانت لاتزال ملتصقةً بالمقعد بقوة.

سأل "سيربييري" مندهشًا لوجودهما منحنين بالقرب من مكتبه:

- ماذا تفعلون؟

نظر كل منهما إلى الآخر مرتبكين وآسفين. اقترب الأستاذ ورأى الورقة المتدلّية من أحد جوانبها.

فقالت "مارتا" محرجة وبصوتٍ حائرٍ:

- لم نرغب في جعلك ترى هذا.

- أشكركم لمجاملتكم، ولكن الآن اذهبوا واجلسوا في أماكنكم.

حل الصمت المصحوب بالتوتر على الفصل، وانتزع "سيربييري" الرسمة من المقعد وأظهرها للفصل بأكمله.

علق "سيربييري" بهدوء، بينما كانت عيناه تبحثان عن الطالب المسؤول عن رسمة الكاريكاتير تلك، وقال:

- اقترح مهم. سنصل إليه يا "فلاميني"، ولكن في الوقت المناسب.

ثم كَوَّم الرسمة وألقى بها في السلة. ارتسمت ابتسامة على شفّتيه، فتنهَّد الأولاد بشيء من الراحة. كان على "بييرلويجي فلاميني"، وخيبة الأمل على وجهه، أن يعيد حساباته مع ردود الفعل غير المتوقعة لـ"فيدريكو سيربييري". توقَّف الأستاذ عند "لورينزو" و"سارة"، اللذين كانا يتبادلان نظرات الأعين في شroud عن كل ما حولهما؛ هذه الظاهرة أقلقت الأستاذ أكثر من أي رسمة كاريكاتير خارجة وقبيحة.

ولكي ينقذهما من تلك الحالة، اختار عنوانًا لتلك الحصة: "مفهوم الحرية وحالة الغرام".
وأشرك بالتحديد "لورينزو" و"سارة" في عرض عملي، وعمل على وضعهما على راحتتهما، ولكنه
في المقابل طلب منهما الصراحة المتناهية.

- عزيزي "لورينزو"، هل لك أن تخبرنا بالأفعال التي قد تنفذها بكامل إرادتك، لكنك
تخفيها خوفًا من إثارة غضب "سارة"؟

كي يرضي الأستاذ بالمواجهة، قام الفتى على الفور بالتقدم للعرض بمنتهى الكرم في سرده.
كان "لورينزو" يفكر في خطيبته لعدة ساعات في اليوم، مخاطرًا هكذا بأدائه في مادة
الرياضيات، تلك المادة التي كان دائمًا بارعًا ومتميزًا فيها. ثم اعترف بأن اصطحابه لها للقيام
بالتسوق كان أصعب من خلع ضرسه دون مخدر. وفيما يخص "سارة"، كي ترضي رغبات
"لورينزو"، فكانت تبتعد عن صديقاتها؛ وحكت أيضًا للجمهور النسائي كيف كانت تضحي
بأيام الأحد لتجلس مع فتاتها وتشاهد رجالًا بالملابس الداخلية يجرون وراء كرة، ثم تستمع
إلى تعليقات رجال يرتدون المعاطف ورابطات العنق حتى المساء على الرجال الذين يرتدون
الملابس الداخلية، وهو ما كان يصيبها بالملل القاتل.

كان جزء كبير من الفصل مندهشًا مما يقوله الاثنان، أمّا الذين يمرون بأمور مشابهة، فقد
استقبلوا تلك الاعترافات كنوعٍ من التحرير.

- شكرًا لكما؛ فقد كان شرحكما شاملاً جدًا.

ثم توجه "سيربييري" إلى الفصل كله:

- نستنتج ممّا قاله الاثنان أن الحب عملية مستمرة من النفاق. كما أنه يتسبب في إنتاج

تصرفات معادية للمجتمع بقوة.

بدأت تلك الحصة مفيدة للغاية، ومنذ تلك اللحظة، قرر كل من "سارة" و"لورينزو"
الاستفادة مما تعلّماه فيها، وقررا عدم السفر معًا إلى الجبال واستغلال الإجازة لفترة راحة
للتفكير.

ولكن بالتحديد في ذلك الصباح، في نهاية حصته في فصل 3/2، لاحظ الأستاذ يدي "جيبو"، صدمه ما رآه، وأضعف من حماسه. وضع الفتى السماعه في أذنيه، بينما أخذ يلقي بالكلمات في الهواء متبعًا أداء الموسيقى، وعلى مفصل الخنصر كان مرسومًا حرف (ميم) كبير باللون الأزرق، وعلى البنصر حرف (هاء)، وحرف (باء) على الوسطى، وحرف (لام) على مفصل السبابة. كونت تلك الحروف كلمة كشفت عن شيء لم يكن في حسابات النظرية الخاصة بـ"سيربييري" بعد.

وبصوت هادئ، ناداهم الأستاذ ليعودوا إلى أماكنهم، بعدما كانوا جميعًا قد وصلوا إلى الباب:

- يا شباب، لقد أغفلت شيئًا مهمًا في حصتي هذه.
توقف الأولاد عن استعداداتهم للخروج وعادوا منتبهين.
- الجنس. بفضل إلحاحات "فلاميني" الصريحة، ليس فقط لهذا السبب، إلا أنني أدركت أنني لم أتحدث عنه من قبل قط.
انتزع "بييترو" السماعه من أذن "جيبو":
- لقد حانت لحظتك؛ دعهم يروا مَنْ أنت!
لاحظ "سيربييري" أن الطلاب زادوا حماسًا بشكل خاص، بينما يعود كل منهم إلى مكانه متنازلين عن الفسحة بين الحصص.
- في هذه اللحظة سأقول لكم فقط هذا: الجنس ليس بالشائبة الخطيرة، بل على العكس فهو نشاط طبيعي جدًا.

ابتهج كل ذكور الفصل بوجهة النظر هذه التي كانوا يتفقون معها بسهولة.
- في عمركم هذا على وجه الخصوص يجب إشباع رغباتكم الجنسية، لكنني لا أرغب في إرباككم، لكن يمكن فصل تلك الرغبة عن حالة الحب.

بدا القلق في نظرات الفتيات.

- أعتقد أن تحريم ممارسة الاستمناء ما هو إلا ظلم، وأتحدث عن الجنسين، فأنا مقتنع بأنه ينفع الحالة المزاجية، وبأنه أقل ضرراً من الحب. في الحصة القادمة سوف نتناول هذه المسألة.

بينما الجميع يناقشون الأفكار الجريئة لـ "سيربييري"، اقترب "جيبو" من "بييترو" وقال له:
- "بييترو" هل يمكن أن تقول لي معني هذه الكلمة.. الاستمناء؟
رد "بييترو" ضاحكاً:

- الاستمناء يعني العادة السرية، ليس إلا العادة السرية يا "جيبو".
- آه، أخيراً أصبحت خبيراً.

ثم تحرك الأولاد وهم يتهايمسون نحو الباب متصافين في مجموعات صغيرة أمام الأستاذ. كان كل من "إرنستو" و"چوليا" يبحثان عن بعضهما بنظراتهما؛ انتظرت هي حتى يصل هو إليها في أعلى درجات السلم، ثم أخذته على الفور تحت أحد ذراعيها.
- هلاً تسامحني يا "إرني"؟

كانت نبرة صوت "چوليا" وديعة. قابلها "إرنستو" بابتسامة مطمئنة.
- عن أي شيء؟

- عن عدم انتباهي لك كنت بحالة سيئة، وتركي لك وحدك هناك، كم أنا أنانية! تأملتته. بدا عليها التغير. كان مكياج وجهها في حالة سيئة، حيث ساحت المسكرة، وكونت كتلاً داكنة حول عينيها. بدا شحوبها جنائزياً. كان هناك "بيرسينج" جديد في شفتها السفلى التي بدت على وشك أن تلتهب.

شد الفتى على يدها في حركة توحى بالتفهم، وقال:

- كانت أمسية يجب أن تُنسى، فقد كنت بحالة سيئة للغاية وارتكبت المصيبة تلو الأخرى.

- لكنني يجب أن أدفع ثمن ما فعلت؛ لذا قررت أن أحجز جلسة مع "كاميلو".
ضحك كلاهما.

- لا! لا تعاقبي نفسك لهذه الدرجة.

ضربته "جوليا" ضربة خفيفة على كتفه، وقالت:

- اتفقنا، إذاً سنعتبر هذه الأمسية البائسة وكأنها لم تحدث قط، ولكن من الآن فصاعداً سأبقىك بعيداً عن زجاجة الخمر.

طبعت قُبلةً على وجنته، عدّل "إرنستو" من وضع الكوفية الخاصة بها، ومع هذه الحركات الأسرية واللغة المشتركة بينهما، بدأت علاقتهما تعود إلى ذلك الشعور الخاص الذي كان دائماً يجمع بينهما.

- وعلى "مارتا" أيضاً أن تنسى تلك الأمسية؛ تخيل أنها سقطت بالحذاء ذي الكعب العالي واستلفت حذاء شخص ما من منطقة "أتشيليا".

كان "إرنستو" مستمتعاً وهو يشعر بذلك التجانس الذي قرَّبهما لأول مرة في العامين المؤهلين للثانوية.

خرجوا إلى الفناء وهما يمزحان، لكن ما إن خرجا حتى وجدا نفسيهما أمام مشهد غير متوقع. فبالقرب من شبكة ملعب الكرة الطائرة، كان هناك فتى أشقر يلاحق قبعته التي ظل "بيرلويجي" وأحد أتباعه المنحطين يتبادلان إلقاءها لبعضهما، بينما طالب الصف الأول، بدعم من صديقين مذعورين له، يحاولون لاهثين استعادة القُبعة. لكن بسبب خوفه وضالة جسده، لم يتمكن

من ذلك. كاد الفتى، ذو الأربعة عشر عامًا، يبكي وهو يجري منهكًا دون توقف بين "بييرلويجي" والفتى الآخر.

تابع "إرنستو" تحركات "بييرلويجي"، وعيناه الداكنتان تزدادان سوادًا. تحدثت "جوليا" بحدة، قائلة:

- ما الذي تفعله يا سيد "فلاميني"؟ هل تتشاجر مع الصغار الآن؟

فعلق "إرنستو" قائلاً:

- إنه أبله حقًا.

كانت نظرة واحدة كافية كي يدرك أن "جوليا" تستعد للهجوم، وبعدها بدأت صديقتها بالهجوم.

- أيها الأحمق القبيح، أعطه قُبْعَتَه في الحال.

اتجه "بييرلويجي" نحوهما، وقال:

- كانت تنقصنا، كالعادة، البلهاء المدافعة عن البيئة.

استجمعت "جوليا" قواها ورأسها منخفضة، ودون أن تفكر في عدم تكافؤ قواهما الجسدية، قفزت فوق زميلها في الفصل مستهدفة القُبْعَة، ولكنه بدفعة عنيفة ألقاها أرضًا.

عندئذٍ قال له "إرنستو":

- تواجه الأضعف منك، يا لك من رائع!

وانقضَّ بدوره على "بييرلويجي"، لكن ذلك الأخير تفاداه بسرعة، متحيزًا جانبًا، ثم قال:

- انظر، يا لك من أحمق، أنت لا تستطيع حتى الوقوف على قدميك.

ثم وجّه إلى معدته ضربة وفر هاربًا يتبعه صديقه تارگا "إرنستو" على الأرض يتألم.

وسط تلك الأجواء المتوترة، جلست "جوليا" على الأرض لتسعهفه، وسألته:

- هل أصابك الأذى؟

فرد هو، هامسًا:

- دعك من هذا، ما من مشكلة، سيمر كل شيء. ماذا عنك أنت؟

- تمزّق بنطلوني فقط.

ساعدته "جوليا" على النهوض على قدميه. ابتسم، وهو مُنحنٍ إلى الأمام ويده على معدته، إلى الصبية الذين أحاطوا به على الفور، لكن "جوليا" أبعدتهم بحركة بيدها مثل الدجاجة التي تدافع عن صغيرها الكتكوت.

طوال تلك الأمطار التي ساعدته فيها "جوليا" على السير، كان "إرنستو" يشعر بظاهرة نهاية الحب تلك. فعلى الرغم من ملازمة جسده لجسدها، فإنه لم يشعر بذلك الإحساس المضطرب، كما لم تكن الضربة التي تلقاها في معدته هي السبب. بل على العكس تمامًا، فكل ما شعر به كان بالتأكيد شعورًا متبادلًا بينهما بالطمأنينة. فبعد انتظاره الطويل لذراعي "جوليا"، كانت الأحاسيس الوحيدة التي بدت كهدية عيد الميلاد في ذلك الصباح، هي إحساس المودة والدهشة لشجاعته.

فُصِّلَ "بييرلويجي فلاميني" لمدة ثلاثة أيام عقابًا له على الاعتداء الذي قام به في فناء المدرسة. أخبرت "جوليا" "جيبو" بما حدث أثناء صعودهما السلم.

- هل لي أن أعرف لماذا لم تقوما بمناداتي؟

كان "جيبو" يفوقها في الطول كثيرًا. خلعت "جوليا" ربطة شعرها لضبط ذيل الحصان

الخاص بها، وقالت:

- لم يكن لدينا الوقت، ثم...
التفت الاثنان لانتظار "إرنستو" الذي كان يصعد أحد السلالم في الأسفل.
أكملت "جوليا" جملتها:
- كان بإمكاننا إنهاء الأمر جيدًا بأنفسنا.
وجّه "جيبو" نظرة ساخرة إلى زميلته، ثم قال:
- من الواضح أنك لست عنيفة، لكن هل نظرتِ إليه جيدًا؟
لم تنجح القمصان الكثيرة التي يرتديها "إرنستو" في إخفاء نحافته، بينما كان يحمل حقيبة ظهره الثقيلة على كتفه اليسرى، بصعوبة على ما يبدو. في النهاية تمكن من اللحاق بهما.
سألته "جوليا":
- كيف تشعر الآن؟
ثم أخبره "جيبو" قائلًا:
- ذلك الحشرة في إجازة صغيرة لمدة ثلاثة أيام.
رد عليه "إرنستو" بنصف ابتسامة، أثناء دخولهم الفصل مع الطلاب الآخرين الذين بدوا كسرٍ من النحل:
- سنفتقد فضله.
كانت تلك هي الحصة الأخيرة لـ "فيدريكو سيربييري" قبل إجازة عيد الميلاد المجيد. كان الجميع في حالة اشتياق إلى الإجازة. عندما دخل الطلاب فصل 3/2 وجدوا الأستاذ على السبورة منهمكًا في الانتهاء من رسمة إعدادية. التفوا حوله يدفعهم الفضول. كانت الرسمة هي الجهاز التناسلي الأنثوي،

وبجانبه الجهاز التناسلي الذكري. وبين الرسمتين في وسط السبورة كانت هناك كلمة "رغبة".

وبمجرد أن انتبه "سيربييري" إلى الهمسات المرححة لتلاميذه، أسرع في التوضيح، فقال:

- لا تخافوا، لا أود أن أشرح لكم كيف تولد الأطفال.

ردت "چوليا" محاولة إغاضته:

- خسارة يا أستاذ فيبدو أن هناك مَنْ لا يعرف كيف تولد الأطفال.

انصرف الطلاب ليصلوا إلى مقاعدهم معجبين بما قالته. أعلن الأستاذ عنوان درس ذلك

اليوم: "الرغبة والنشاط الجنسي".

وضع الطباشير على قاعدة السبورة ثم نظَّف يديه من تراب ممحاة الطباشير، ثم وقف

أمام مكتبه. بدا الأستاذ سعيدًا بالنظرات الخبيثة المرححة التي انتشرت بين الطلاب.

- كما أشرت لكم المرة الماضية، من المهم تعريف مجال النشاط الجنسي، الذي في كثير من

الأحيان في عمركم هذا، يتم الخلط بينه والحب. فمعرفة المزيد عن ذلك الموضوع ستساعدكم

على عدم الدخول إلى منطقة الخطر.

نهض "چييو" واقفًا على قدميه وحَدَّر زميلاته ضاحكًا:

- يا فتيات، هل فهمتن؟ عندما كنت أقول ذلك لم يكن يصدقني أحد. وأحب أن أضيف

أنه عند ممارسة الجنس ليس هناك داعٍ للثثرة.

صدرت ضحكة مدوية أثبتت للأستاذ أن بعض الطلاب الذكور موافقون على ذلك الفصل

بين الجنس والحب.

تدخَّلَت "چوليا" لتقول ساخرة:

- بالتأكيد كل ما يهتمكم هو الإيقاع بالفتيات، لكن بعد ذلك يصبح الجنس مجهودًا لا طائل منه.

أشارت الزميلات بالتأييد لكلامها.

ثم أضافت "سارة":

- من ناحية أخرى، عندكم عقدة الجنس.

كان الأستاذ قد أوقف الدرس وأخذ يتابع تلك المشاحنات مستمتعًا.

ثم قال "ميكيله" وهو يوجه لـ "جيو" نظرة تفاهم:

- أي عقدة يا "سارة"؟ فالأمر يرجع دائمًا إلى كيفية التعامل مع من تجدها أمامك.

كانت الأجواء يعمها الفوضى والمرح، لكن "مارتا" أخذت ذلك الدرس على محمل الجد،

حيث دعت زملاءها بنبرة كادت تتحول إلى التوسل بالعودة إلى النظام:

- من فضلكم، هلاً تركوا الأستاذ يستأنف الدرس؟

مدت "جوليا" يد العون بقوة لصديقتها، قائلة:

- "مارتا" معها حق، فلنصمت قليلًا.

أسكتت بذلك الذكور والإناث، شكرهما "سيربييري" بحركة لطيفة برأسه واستأنف حديثه.

- إذاً يا شباب فلنبداً بالرغبة الجنسية. إن الرغبة الجنسية دافع يستثار تجاه جسد الآخر

نستخدمه لمتعتنا. يبدو أنه تعريف قاسٍ بعض الشيء، لكن، إن تحدثنا عن الجنس، فالأمور

هكذا بالضبط. وبالتالي فإن الرغبة الجنسية الجارفة عادة لجسدنا، أو من الأفضل أن نقول

إنها احتياج فسيولوجي كالأكل والنوم.

قالت "مارتا":

- معذرةً يا أستاذ إن كنت أقاطع حضرتك، لكن إن لم يأكل شخص ما فسيموت.
وهنا تدخل "جيو" وقال:

- إن كنتِ ستموتين لأنك لم تمارسي الجنس، فلتحولتم جميعكم هنا إلى زومبي.
بهذه العبارة استطاع أن يجمع كل الفصل في ضحكة أخرى ومعهم "سيربييري" الذي
استأنف حديثه قائلاً:

- أنتم على حق، فالقيام بعلاقات جنسية ليس بالاحتياج الأول، ولكن من المثبت أنه يعود
بالنفع كثيرًا على صحة الفرد. فبالنسبة للنساء يؤدي إلى إفراز هرمونات الإستروجين التي
تساعد على تحسين حالة الجلد، والأوكساييتوسين المفروز هو مسكن قوي للآلام، وبالإضافة
لذلك فإن القيام بعلاقات بشكل منتظم يحفز نظام المناعة. وبالنسبة للرجال فإنه يكافح
الإجهاد والتوتر، ويدعم القلب، ويقوي العظام والعضلات.

في لمحة بصر أخذ "جيو" يد "بييترو" ووضعها على أسفل بطنه، وقال:

- تحسس هنا يا "بييترو"، تحسس عضلات بطني، تحسس، تحسس!

ابتسم "بييترو" وهو ينتزع يده قائلاً:

- يا لك من أحمق!

التف "سيربييري" مجدداً نحو السبورة وتحت جهاز الأعضاء التناسلية الأنثوية كتب:

"المناطق المثيرة للشهوة الجنسية لدى الإناث".

وتحتها حدد خمس نقاط في منطقة حساسة من جسد المرأة

وبعدها أضاف إليهم: الفم / الرقبة / الصدر".

ثم كتب تحت الجهاز التناسلي الذكري:

"المناطق المثيرة للشهوة الجنسية لدى الذكور".

وحدد ثلاث نقاط من المنطقة الحساسة في جسد الرجل،

وأضاف إليها: النظر / اليدين / الظهر".

ثم قال:

- هذه هي النقاط الأكثر حساسية، منفصلة فيما بينها، ولكنها كلها متصلة بالعقل الذي

يظل المصدر الوحيد للإثارة.

- أستاذ، لكن هل نجد معك أيضًا الخريطة للوصول إلى البقعة چي؟

كانت تدخلات "چيڤو"، التي تقبلها الأستاذ بترحاب، تنشر حالة مزاجية جيدة عامّة

وتذيب حيرة بعض الأصدقاء الأكثر خجلًا.

كانت "إلاريا" تتحدث مع إحدى زميلاتها بصوت عالٍ أزعج عرض الأستاذ وأثار ضيق

الزملاء. عندئذٍ حاولت "چوليا" التدخل، فقالت:

- هلا انتهيتما من التصرف بحماقة؟ فأنتما لا تجعلاننا نفهم أي شيء.

نظرت إليها "إلاريا" نظرة سيئة وشعرت أنها أغاظتها فهَمَّت واقفة وتحركت نحوها قائلة:

- اسمعي، لا يروق لنا أن نسمع الحديث عن تلك الأشياء. مفهوم؟ ربما أنتِ عليكِ

الاستعداد لفيلم بورنو؟

بدأت الأجواء في الفصل تحتد.

ردت عليها "چوليا" دون أن ترفع نظرها من على السبورة:

- اذهبي للقيام بجولة إن كان الأمر لا يعينيكِ.

أدركت "إلاريا" أن اعتراضها تم تجاهله فأشارت لصديقتها وانطلقت الفتاتان نحو الباب بحسم، لكن الأستاذ حاول إيقافهما.

- يا بنات، بطبيعة الحال، يمكنكما الخروج، لكن ربما عليكم محاولة التغلب على ذلك الكسوف وتلك الحيرة. فالنشاط الجنسي أساس الحياة. وفي نهاية الأمر كلكم موجودون هنا لأنه عند نقطة معينة يقوم الرجل والمرأة باتصال جنسي. فكروا في الأمر.

قال "جيو":

- على العموم يستحق الأمر معرفة أشياء أكثر، أليس كذلك؟

كان "جيو" مهتمًا بشكل خاص بالدرس وكان يبحث عن موافقة الفصل وخاصة العنصر النسائي. ظلت "إلاريا" واقفة في حيرة من أمرها على بعد أمتار قليلة من مقعدها، بينما اقتنعت صديقتها بالأمر وعادت إلى مكانها، وقالت:

- نعم، أنا سأبقى.

بعد ثوانٍ قليلة تبعتها "إلاريا". تابعهما "سيريري" بنظره ثم استأنف الدرس الجريء. وقال:

- فيما يتعلق بالبقعة جي يا "جيو" يا عزيزي، فإن الكثيرين يعتبرونها اختراعًا من علماء الجنس الأمريكيين؛ فالمسألة ما زالت مفتوحة.

سألت "مارتا":

- لكن ما المقصود بالبقعة جي هذه؟

أجاب "سيريري":

- حسناً يا "مارتا" يا عزيزتي، إن "البقعة چي" منطقة تقع داخل المهبل وتعد منطقة حساسة بشكل غير عادي. وهذا وفقاً لما قاله الأستاذ "جرافنيرج"، وهو الباحث الذي زعم بأنه من اكتشفها، ولذلك تعود تسميتها إليه.

بدأ كل الأولاد في تدوين الملاحظات عدا "إرنستو" وعدد قليل من الآخرين. ذلك العرض البارد تقريباً، والذي يشبه عرض عالم الحشرات، عن الاتصال الجسدي لشخصين جعل "إرنستو" غير مبالي بالأمر. ما أهمية معرفة "البقعة چي" واكتشاف المناطق الحساسة في جسد امرأة كما لو كان موضوعاً لأحد دروس العلوم أو جسداً ممتداً على طاولة أخصائي تشريح متخصص في علم الأمراض؟ فهو متأكد أنه عندما تحين اللحظة سيجد الطريق إلى المتعة فقط عبر البصيرة والإحساس.

استأنف "سيربييري" قائلاً:

- في الختام أود أن أجذب انتباهكم إلى سلسلة من المعلومات التي من الممكن أن تكون مفيدة لكم كشباب في هذه المرحلة.

ثم حدد على السبورة المناطق المثيرة للنشوة الجنسية عند الإناث، ثم حدد المناطق المثيرة للنشوة الجنسية عند الذكور.

صاحب كتابة هذا الكلام الجديد صياح متفرق وهائج.

أكمل الأستاذ الشرح:

- عندما يشعر جسد الأنثى بالهياج يصبح أثر ذلك واضحاً على أماكن ذات حساسية عالية بجسدها وهي علامة مهمة. فالطبيعي بالنسبة لها وجود طريقة فسيولوجية لتسهيل العلاقة الجنسية. النشوة الجنسية، وهي قمة الاستمتاع، يمكن الوصول إليها بتحفيز تلك المنطقة ذات الحساسية العالية.

كانت الفتيات تسجلن ملاحظاتهم وأعينهن في الأرض متلافيات مواجهة نظر الأستاذ. وعلى الرغم من البرود الذي كان "سيربييري" يواجه به الموضوع، فإن سحره كان يجعل كلماته مقلقة.

- وفيما يتعلق بالرجال، فسيلاحظ تصلب العضو الذكري، مع زيادة سرعة ضربات القلب وارتفاع ضغط الدم. وبالنسبة لبعض الذكور الذين يعانون من مرض القلب قد تكون العلاقة الجنسية مميتة لهم. ويجب أن أذكر للذكور أنه قبل الوصول إلى النشوة الجنسية بقليل يمكنكم معرفة اقتراب القذف. وبشيء من التدريب يمكنكم التحكم فيه، استغلوا ذلك جيدًا. عندما انتهى الدرس قام طلابه بالتصفيق. ثم أخرج "سيربييري" بعض النسخ الورقية من حافظة أوراقه وقام بتوزيعها، قائلاً:

- لمن يريد التعمق، فإن قائمة المراجع هذه بها بعض الدراسات عن الحياة الجنسية للذكور والإناث. المؤلفون هم علماء جنس ذوو شهرة عالمية. بينما كان "سيربييري" يرتب حافظة أوراقه كان الأولاد يحيونه وهم خارجون وهم لا يزالون يعلقون.

عندما جاء دور "مارتا" قالت:

- كان درسًا مفيدًا جدًا يا أستاذ.

رد الأستاذ:

- هذا يسعدني.

وهي توجه نظرها مع الأستاذ نحو "إلاريا" وصديقتها المنهمكتين في تفحص قائمة المراجع باهتمام خاص، قالت "مارتا":

- من وجهة نظري، نال الدرس إعجابهما هما أيضًا.

فأجاب الأستاذ مشاركًا:

- كنت آمل ذلك.

ثم اقترب منه "جيبو" وهمس إليه بشيء من الود والصدقة:

- يا أستاذ قل لهم حضرتك إن لم تفهم إحداهن فأنا أستطيع أن أعطي شروخًا ودروسًا...

فرد الأستاذ عليه:

- أشك أن تلجأ زميلاتك إليك طلبًا لاستشارتك بخصوص هذا الموضوع يا "جيبو" يا

عزيزي.

انتظر التلميذ أستاذه حتى ينتهي من جمع أوراقه وخرجا معًا من الفصل. أمّا "چورچو"

فقد قرأ قائمة المراجع حتى ثبتت في ذهنه، ثم اقترب من مقعد "إرنستو" الذي كان ما زال

يجمع كتبه، وقال له:

- كلها نصوص علمية وفي نهاية الأمر من الممكن أن تعود بالنفع، ألا تظن ذلك؟

انتبه "چورچو" إلى أن زميله لم يكن لديه أي ورقة، فقال:

- ألم تأخذ قائمة المراجع؟

فرد "إرنستو":

- ولم لا؟ ها هي.

وبلمحة خاطفة من السخرية، سلم "إرنستو" صديقه مركبة مصنوعة من الورق ووضع

حقيبتة على ظهره وخرج من قاعة الفصل.

ينابر

حذارِ من الفينيشيلامين



بالنسبة للكثير من طلبة "مدرسة مورجانتِه" يُعتبر الفصل الدراسي الثاني جزءًا من مسرحية مأساوية لا بد أن تنتهي بعد بضعة أشهر. كان عشرون يومًا من الإجازة قدرًا كافيًا للتعود على الخمول.

وكما يحدث بالضبط في رواية بوليسية لـ"أجاثا كريستي"، كان الناجون من الفصل الدراسي الأول يرون زملاءهم يختفون واحدًا تلو الآخر. تناقصت أعداد الطلاب؛ فبالنسبة للمختفين كان موعد انتقالهم إلى مدارس أخرى أكثر كرمًا في درجاتها قد حان.

في ذلك الصباح، رنَّ جرس الصباح منذ أكثر من عشرين دقيقة، لكن "بييرلويجي فلاميني" لم يكن ينوي التحرك. ظل جالسًا على مقعد أمام مكتب ناظر المدرسة يلعب في نظارته "الريان" ليقيم الوضع، حيث تأكد أثناء الإجازة أن التحرر من عبء واجبات مادة التاريخ والفلسفة يمثل حظًا وافرًا، لكن على صعيد آخر، لم يعد يستطيع التحكم في عداوته المكنونة لـ"فيديريكو سيربييري". فذلك الفاشل لم يعجبه منذ أول يوم، ليس فقط لأنه مريض، فبطريقة حديثه الصعبة تلك وبشعره الطويل، بدا كأحد الشباب السابقين

لحركة "68". هو متأكد من أنه كان واحدًا من أولئك الذين قضاوا أوقاتهم في إحداث الفوضى في الشوارع عن طريق تعليق اللافتات ومكبرات الصوت. وكما لو أن الأمر لم يكن كافيًا، أصبح لذلك المدرس الغريب حضور قوي وأصبح محبوبًا من جانب الأعداء؛ وإفساد الفرحة عليهم كان سيحقق لـ "فلاميني" سعادة غامرة. لم يكن يحتمل أن يكون ذلك الدخيل دائمًا بجوار "جورجو" في دفاعه الذي لا يكل منه عن المنبوذين. وبمجرد إبلاغ الناظر عن الوضع، سيتم مسح اسم ذلك المجنون من كل قوائم مدارس البلد.

ارتسمت ابتسامة رضا على فم "بييرلويجي فلاميني" وهو يتخيل استمتاعه بالأثر الذي سيسببه انتقامه، ارتسمت ابتسامته تلك في الوقت نفسه الذي كان "جييو" يعبر الممر فيه بخطوته الواسعة غير المنتظمة. رآه "جييو" جالسًا أمام مكتب الناظر وبحدسه الشكوي أدرك نية "فلاميني". لم يتمكن "بييرلويجي فلاميني" من الهروب بالسرعة الكافية من مخالب "جييو"، الذي أمسكه بقبضته الخطيرة، وهو يقول:

- تعال يا "فلاميني". تعال يا حبيبي معي؛ سوف أطلعك على شيء جميل.

حاول "بييرلويجي" الهرب، لكن قبضة زميله كانت محكمة للغاية حول رقبته وتمنعه من أي حركة، وبهذا نجح "جييو" في أن يجر ضحيته التي كانت تقاوم باستماتة نحو حمام الذكور.

كان طلاب فصل 3/2 ينتظرون وصول الأستاذ "سيربييري" الذي تأخر على فصله لأول مرة. شعر بعضهم بالحاجة إلى تحديد موقفهم من الموضوع، وفتحت الجداول دون الحاجة إلى استشارة. توالى الأحداث داخل قاعة الفصل وخارجها، ولم تمر تلك الأحداث دون أن تترك علامة واضحة. وبحلول عطلة عيد الميلاد كانوا قد

حصلوا على الوقت الكافي من أجل التفكير في الشهور المنقضية. كان "بييترو" أول من اعترف بأن مبادئ "سيربييري" لم تمر عليه مرور الكرام وحسب، وفتح "ماركو" إحدى عينيه على هذه الكلمات، وفي ذلك الوقت القليل اكتفى بإضافة: «أتفق مع هذا». أعلنت "جوليا" تأييدها للأستاذ ولأفكاره التقدمية التي لم يفهمها جيداً الجمع الرجعي المتقهقر من الهيكل الطلابي. ودون أن تغفل "مارتا" المشاجرات المتكررة عند المحامي، أرادت أن تذكر انفصال والديها لتؤكد أن الحب يقود دون محالة إلى التعاسة. وقد شاركها الرأي على الفور أبناء المنفصلين، أي نصف الفصل تقريباً.

في ذلك الجدل، كان "چورچو" في حيرة من أمره وهو يستمع إلى تصريحات زملائه. كان يؤرقه صراع داخلي. فهو يشعر بالفعل بنوع من العرفان تجاه أستاذه الذي وقّر له أدوات المعرفة القيمة، لكن أمانته العلمية كانت جزءاً من طبيعته الأكثر عمقاً وهو لم يكن ليخونها أبداً. تدخل بصوت عالٍ قائلاً:

- ما خطبكم؟ الغرام أمر طبيعي ثم إنه يمكن التحكم به.

- خطأ يا "چورچو" يا عزيزي!

كان "سيربييري" قد دخل وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة، وقد حرمه التأخير من ثقته المعتادة بالنفس. وفي عجلة من أمره، وضع متعلقاته الشخصية على مكتبه، وبينما كان يضبط دفتره وحامله أقلامه، وجد نفسه أمام "ماركو فالينتي". ظل مرتبكاً من المفاجأة، لكنه تمالك نفسه، وأسرع يفتح له ذراعيه على آخرهما لاستقباله. وقال:

- يا "ماركو" إنك تقف على قدميك.

لم يره الأستاذ واقفاً من قبل. كان الفتى طويلاً أكثر مما يمكن تخيله. التقط ذلك المبعوث إلى الحياة صورة "أوديليا" التي سقطت على الأرض أثناء

عجلة "سيربييري"، ووضعها بعناية في مكانها المعتاد، ثم وجّه إلى المُدرس نظرة حائرة وعاد إلى مكانه، حيث سقط بسرعة نائمًا.

- شكرًا على العون يا صديقي.

عندئذ انطلق الأولاد في تصفيق وبهذه الدفعة التشجيعية من هذا الحدث المدهش بدأ الأستاذ درسه:

- حسنًا، بما أنكم فتحتم المسألة فلنتحدث عنها. الغرام في جزء كبير من تكوينه أمر كيميائي، وعلى كل حال يمكن تحاشيه.

كان الطلاب يتابعونه بأعين مختلفة. لو دخل أي فرد فصل 3/2 في ذلك الصباح لأقسم بأنه أمام درس نظامي لأستاذ طبيعي يشرح درسًا من المنهج الدراسي التقليدي لمجموعة من الطلاب المهتمين.

استكمل الأستاذ حديثه:

- عرضت عليكم حتى اليوم العواقب المنحوسة للحب، ولكن الوصول إلى هذه الحالة يجبرنا على المرور بالغرام، وقد حان الوقت كي نعرف كيف نتجنب ذلك.

اتجه الأستاذ إلى السبورة وبنوع من الثقة خط ملامح جمجمة يتفرع منها سلسلة من السهام. وبدأ الشرح:

- عندما يغرم المرء تفرز أجهزة جسد الإنسان جزيء الفينيثيلامين الذي إذا وصل لدرجات تركيز عالية يسبب التأثيرات نفسها للأمفيتامين، لدرجة أن كليهما يعمل على مستقبلات المخ ذاتها.

التف "سيربييري" نحو الفصل وبسعادة بالغة اكتشف أن بعضهم كان قد أخرج كشكوله لتدوين الملاحظات.

- هذا الجزيء يؤدي إلى إفراز الدوبامين الذي يسبب الإحساس بالمتعة، وبالتالي، يحدث ميل خطير إلى الرغبة في رؤية الشخص المحبوب لتكرار التجربة المُسكِرة التي يفرزها الفينيثيلامين. ويتأسس بذلك شكل حقيقي للإدمان.

على الفور تقمص "سيربييري" شخصية الطبيب المضطر أن يعلن مرضاً مميتاً.
- لقد حدث الأسوأ بالفعل وأصاب العدوى جسدكم. الدوبامين يثير جزيء الأدرينالين، ناقل عصبي يؤدي إلى الإثارة والنشوة وحماس غير عقلائي وبالإضافة إلى ذلك يتسبب في فقدان الشهية.

توقف نظر "سيربييري" عند جسد "إرنستو" النحيل وفكّر في أن مرحلة نقاهته ستكون طويلة.

- لا يتوقف الأمر عند ذلك، الحالة العاطفية للشخص المُعْرم تحفّز هورمون الأوكسيتوسين الذي يؤدي إلى حالة الهجوم، وبالتالي الاستسلام التام: إنه الحب.
بدا وكأنه يود أن يعلن لتلاميذه عن انقراض الحياة في الكون.
- لقد دخلتم النفق المظلم، ولكن لحسن الحظ هناك بارقة أمل، ولهذه الحالة من البلادة تم تحديد مدة زمنية تتراوح بين الثمانية أشهر والعام، وبعد ذلك فإن المخ لا يستطيع مقاومة الضغط، ولكن مع كل هذا فإنه وقت كافٍ ليجد الشخص نفسه مرتبطاً بشكل نهائي.

أراد "چورچو" أن يفرض نفسه كي يحد من التعليقات الساخرة، فأعاد ما قاله سابقاً:
- كل هذا لا يمنع أن ذلك يحدث خارج إرادتنا.
رد عليه الأستاذ:

- يا "چورچو" يا عزيزي، يجب عليّ أن أخالفك الرأي مرة أخرى.

استكمل "سيربييري" بإصرار:

- إن كان من الممكن أن يتحرر الناس من إدمان الهيروين، فإنهم في إمكانهم منع أنفسهم من الوقوع في غرام أحدهم. وقد تم تحديد ثلاثة عناصر للمجازفة فيما يتعلق باحتمالية الظاهرة.

كتب الأستاذ بحروف كبيرة للغاية ثلاث كلمات على السبورة:

"الوضع/ الرائحة/ المظهر".

وقال:

- تدربوا على التحكم في هذه العوامل الثلاثة، وستكون النجاة محتملة لكم.

كان "چورچو" يتابع تحركات "سيربييري" بتقبل خاضع.

أكمل الأستاذ حديثه:

- تجنّبوا النظر إلى أعين شخص تجدون مظهره جذابًا لكم. الجمال يحفّز الانتباه، ولكن ما

يجب الخوف منه دائماً قبل أي شيء آخر هو النظرة التي تهدف إلى الوصول إلى القلب.

كان الفصل بأكمله يستمع إلى تعاليم "فيدريكو سيربييري"، وكانت "جوليا" قد خففت

من روحها الناقدة، و"إرنستو" يتابع العرض متأملاً، بينما وضعت "مارتا" جهاز تسجيل صغير

على المقعد على مرأى من "چورچو" الذي كان منبهراً.

- في حالة "الوضع" يجب أن نعدد تحركات الشخص والتي تقود إلى الاقتراب، وبالتالي

الانجذاب.

أكمل الأستاذ وهو يتابع كيف يوليه الطلاب الأكثر فتوراً الاهتمام:

- الحاسة الأكثر غواية هي حاسة الشم؛ فالبشر من الثدييات منذ بداية

التاريخ، والمخلوق منهم يصدر فيرومونات التي تعمل كنداء جنسي وتصيب

جهازنا الحوفي. وهذا سلاح يمكن ببساطة أن نجعله محايدًا، فيكفي مثلًا أن نربط رائحة كريهة بالشخص الذي نراه خطيرًا بشكل من الأشكال.

وهنا ابتسم "سيربييري" ابتسامة انتصار وقال:

- وبالتالي يا "جورجو" يا عزيزي، كما ترى، بمجرد تحديد المشكلة يمكننا إيجاد الحلول. هذه الخطة من الممكن أن تساعدكم.

اقترب من السبورة وكتب من جديد:

"المرض = غرام/ حب/ متعة

الآثار = تبعية/ إحباط/ معاناة

النتيجة = موت الروح/ شلل فكري".

وضع "سيربييري" الطباشير على حافة مكتبه واستأنف حديثه:

- سأعترف لكم يا أولاد بأنه فيما يتعلق بالرائحة جرّبت أنا شخصيًا أنه يمكن حماية النفس منها.

قالت "مارتا" التي كانت تهتم بشكل خاص بالتدريبات العملية:

- احكِ لنا حضرتك كيف.

- الأمر بسيط يا "مارتا" يا عزيزتي، إذا حدث والتقيت صدفة بنساء لهن قدر من الجاذبية، أقوم برش طارد الحمام على ملابسهن. تريدون أن تعرفوا النتيجة؟ بدأت على الفور بالشعور بأنهن أقل جاذبية جسديًا.

ومع جرس المدرسة، عندما كان الأولاد يستعدون للخروج، أخذ الأستاذ وقته كي يرى كيف بقي بعضهم لكي ينقل الخطة المرسومة عن الغرام.

علق "جورجو" بينه وبنفسه:

- سترّة المجانين للجميع.

وبينما كان خارجاً من قاعة الفصل رأى "مارتا" منحنية تكتب بتوكيز مُقْلِق. ثم أدرك أن اثنين من زملائه قد فُقدَا في هذه الحصة الغريبة.

أغلق "لويجي ريفولي" باب دورة مياه المدرسة، وقبضة يده اليسرى تمسك بقوة رقبة "بييرلويجي فلاميني"، بعد أن أوضح "جيبو" لزميله في الفصل متاعب العيش بأحد الأطراف المكسورة.

- سينتهي بك الأمر إلى مستشفى العظام. اعترف بأنك كنت تريد الإبلاغ عنه إلى ناظر المدرسة!

- وماذا إن كان ذلك صحيحاً؟

انحصر قلق "بييرلويجي" حتى قبل تلك اللحظة فقط على ياقة القميص المرفوعة.

- أنت كاذب، وخائن، وجبان.. ليس لديك حتى الشجاعة لتقول له الأمر في وجهه.

لم يفكر "فلاميني" قط باحتمالية وجود مثل تلك الروح السوداء التي يتمتع بها "لويجي ريفولي" بين مؤيدي "سيربييري". لذا، وظهره للحائط ويد "جيبو" تُغْلِق على رقبته، وجد نفسه مضطراً إلى إعادة تقييم الأمر.

حينئذ فكر "بييرلويجي" في أن الطريقة الوحيدة لكي ينجو بنفسه هي استغلال عنصر العداء المشترك تجاه القواعد.

- اسمعني؛ هل تعرف أن ذلك المجنون يؤمن بضرورة غلق ملاعب كرة القدم؟ سمعت أنه قال ذلك للأستاذة "بالميري"، هذا غير حديثه الغريب عن سياسة اللاعنف التي تحدث عنها عندما دافعت عن نفسي أمام تلك الحمقاء "جوليا". لو كان الأمر بيده، لوضعنا في أحد الأديرة.

تذكر "جيبو" تلك المعركة العنيفة التي شارك فيها صديقه. صحيح أن "جوليا" تمثل قوة من قوى الطبيعة، لكنها في آخر الأمر فتاة وجسدها ضئيل الحجم، أمّا "إرنستو" فهي معجزة أنه يستطيع الوقوف على قدميه أساساً. اعتبر "جيبو" تصرف "بييرلويجي" أمراً مشيئاً. حدّجه بنظرة غير مفهومة.

- معك حق، فهناك أناس ما زالت تزعجنا بكلامهم عن سياسة اللاعنف.

لم يجد "بييرلويجي" الوقت الكافي ليلتهج بهذا التوافق في وجهات النظر؛ فبمجرد أن حصل على حريته، وبدأ في ترتيب قميصه، حتى أصابته ضربة من مسافة قريبة في عظمة الخد الأيسر.

على بعد ممرين، بدأ العديد من الطلاب الاحتشاد بالقرب من قاعة المؤتمرات. وقف "جورجو" وفي يده قائمة الأسماء. بدا كمن فقد أحد كلاب البيتبول المقاتلة. كان "جيبو" يكره "بييرلويجي فلاميني"، واختفاؤهما الطويل لم يوح بأي شيء جيد. وبينما تدفق الزملاء إلى داخل قاعة المؤتمرات، وهم يدفعون بعضهم البعض ويمزحون، كان "جورجو" لا يزال يأمل في أن يلمح "جيبو" بينهم، وعندما كاد يفقد الأمل في حضوره، وجده أخيرًا في نهاية الممر.

- يا "جو"، ماذا شرح لكم "سيربييري" في الحصة؟
كان يسأل رافعًا صوته وهو على مسافة مناسبة. اقترب منه صديقه وهو يمر من بين زملائه.

- قل لي إنك لم تضرب "فلاميني".

رد "جيبو":

- لا أسمعك.

سأله "جورجو":

- ماذا فعلت له؟

علت الضوضاء فطغت على صوت الفتيين. رد "جيبو"، قائلاً:

- خطرت له فكرة سيئة، فكان علي إقناعه بتركها.

وقبل أن يكمل سيره، لمح "جورجو" عن بعد "بييرلويجي فلاميني" وهو يجري بعيدًا وإحدى يديه على وجهه. توجه مجددًا إلى "جيبو"، وهو على استعداد للومه، لكن رجل الهورون المتمرد كان قد اختفى.

استغرق الطلاب ساعتين في قاعة المؤتمرات بين المداخلات والمناقشات المشتعلة. في النهاية، كان "جورجو" متعبًا، لكنه كان راضيًا عن النتيجة التي انتهت إليها النقاش. حيث ترك المجلس وهو متأكد من أنه ساهم بها فيه الكفاية. احتلال "مدرسة مورجانت" في تلك الفترة سيعطي أثرًا عكسيًا، فحتى وإن لم يكن الجميع متفقدًا على ذلك الرأي، كانت الأغلبية ترجح الإدارة الذاتية من الطلاب. كان الفتى فخورًا لاستطاعته إزالة قلقه بخصوص موضوع "سيربيري"، ونجاحه في التركيز على مصير مجتمع بأكمله. كان زملاؤه قد بدأوا يتوهون من هواجسه الكثيرة، لكن في نهاية الأمر، ما قيمة مشكلات فصل واحد أمام مشكلات مدرسة بأكملها؟ وهكذا، بعد أن ترك ممثلي المجلس الآخرين، اتجه "جورجو" نحو محطة الأتوبيس رقم 22 وهو متصالح مع ضميره.

كان يفكر في طريقة لتنظيم أيام الإدارة الذاتية للطلاب؛ فهناك الكثير مما يجب فعله: الأساتذة الذين سيتم إشراكهم، وصندوق المصروفات، ثم إيجاد المكان اللازم لإقامة حفلة لمجموعة "ريد". كان "جورجو جريجور" يرتب عمليات الاحتجاج ولم ينتبه إلى الخطر الوشيك. وقفت الجميلة السمراء من فصل 10/2 في تلك اللحظة منتظرة في محطة الأتوبيس. وعندما دخل "جورجو" في حيز رؤيتها، تحركت الفتاة بحيوية وأخذت تحرك ذراعيها بطاقة عالية كي تلفت انتباهه. رآها "جورجو" ورد على الفور على تحيتها، لكن عندما مد خطوته كي يصل إليها، تذكر فجأة النظرة الساحرة التي تتمتع بها تلك الفتاة: كانت عيناها الداكنتان تبحثان عنه دون توقف في المجلس وفي المقهى، وفي الممرات، والآن في محطة الأتوبيس أمام المدرسة. أصابت "جورجو" حالة غريبة من القلق فتوقف على بعد ثلاثين مترًا من الهدف. ظل لبضع ثوانٍ يقيّم الموقف، ثم دون أن يفهم السبب، مُتَبِعًا غريزته، وجد نفسه يسير في الطريق المعاكس لها.

فبراير

داء جنوبي



كان أسبوعان من النشاط تحت الإدارة الذاتية قد شغلا بشدة اتحاد طلاب "مدرسة مورجانت"، بالإضافة إلى مجموعة من الأساتذة الذين، في إطار تضامني مع الطلاب، تطوعوا للمساعدة في نجاح المبادرة.

نشأ، بشكل غير مرتب له، برنامج حول المساواة بين الجنسين وآخر حول تقنيات رسم الوشم. كما تمت دعوة والد "مارتا" ليدلي بشهادته عن النشاط السياسي في فترة السبعينيات المليئة بالعنف، وأطلع الشباب على آثار الخياطة الجراحية التي تركتها تلك الفترة على فروة رأسه. وبتألق غير متوقع، اجتهد "بييترو" ليعقد ندوة حول أصول الحشيش وحتى ليرتب في أحد فصول الطابق الأرضي استعدادات فريق "ريد" والفرق الموسيقية الأخرى. كان بعض أولياء الأمور الحريصين على أبنائهم يتابعون تلك الحالة الاحتجاجية للطلاب، ويرسلون لـ "مدرسة مورجانت" المخبوزات وطواجن البطاطس مرتين يومياً.

انسحب الناظر عن طيب خاطر تاركاً أرض المعركة للمحتجين، أمّا الأستاذ "سيربييري" فقد بدا جزعاً من تقديم مهاراته في ظل طقوس البهجة تلك التي كانت تأخذ طابع الاستمرارية من عام لآخر، خاصة مع موجات البرد الأخيرة.

بطبيعة الحال تمت دعوة الأستاذ لإقامة برنامج محاضرات على طريقته، وأخبر "چورچو جريجور" بعنوانه: «الحب وألغاز أخرى». وعلى الفور، وبالاتفاق مع حلفاء "سيربييري"، قرر التلميذ أن الكلمة «حب» يجب ألا تتخطى بأي حال من الأحوال جدران فصل 3/2 وأقنع الأستاذ بتغيير العنوان إلى آخر أقل إضرارًا: «الحركات الجاكوبية في بيمونته».

لاقت محاضرة "فيدريكو سيربييري" شعبية كبيرة، حيث امتلأت قاعة المؤتمرات عن آخرها بالطلاب وبعض أولياء الأمور والزملاء، وأيضًا اثنين من عاملي المدرسة. انتهت المحاضرة بالتصفيق ذاته الذي يتلقاه مغني الأوبرا عند مطلع السلم الموسيقي. كان الجميع يشعرون بالحماس عندما اقترب أحد طلاب 1/3 من "چورچو"، الذي كان يشهد نجاح أستاذه بقلب قلبي، من إحدى زوايا القاعة. قال له ذلك الطالب:

- محظوظون أنتم بوجود "سيربييري" معكم؛ فقد قالت "كيارا" لي إن حصصه في الفصل تكون مثل المحاضرات الجامعية.

شد "چورچو" على شفثيه في تكشيرة مرة، فهو لم يستطع أن يفهم السر وراء اعتبار الآخرين "سيربييري" ذا قيمة يُستفاد منها، في حين أنه لا يستطيع استغلال هذه القيمة، وهو ما أصابه بالإحباط. فرد على الطالب قائلًا:

- نعم، تقرييًا.

عاود الطالب مرة أخرى حديثه:

- حقًا، فقد كانت تحكي لي أنه يشرح لكم "هيجل"...

- معذرةً، ولكن عليّ أن أساعد "بييترو" من أجل الحفلة الموسيقية، سوف نلتقي ثانيةً.

هكذا انطلق تاركًا المتحدث في منتصف جملته، وبينما كان يخطو خطوات سريعة نحو باب الخروج، رأى "سيربييري" على بعد يرفع يده لحييه. لم يرد "چورچو" له التحية وحوّل نظره إلى ناحية أخرى وترك قاعة المؤتمرات قبل الجميع.

انتهت الإدارة الذاتية لـ "مدرسة مورجانتة" في صباح شديد البرودة لذلك الطقس الغريب، تزامنًا مع اليوم الأكثر رومانسية في العام كله. وخارج المدرسة، بينما كان الطلاب يكرسون أنفسهم لنظافة قاعات الفصول، كانت الواجهات الزجاجية للمحلات تعرض قصاصات القلوب وأشرطة لفافات الهدايا، وجزء كبير من المطاعم يعد الطاولات لشخصين بوضع الشموع المعطّرة. بينما تعمل مصانع الشيكولاتة بهمة.

في بعض الأماكن، كان يتم النظر إلى غير المرتبطين بشيء من الشفقة. وصل 14 من ذلك الشهر في موعده وبالنسبة للكثيرين كان من الصعب تجاهله.

واجهت "تشيتشيليا" صدمة الاحتفال بعيد الحب بقبولها دعوة على الغذاء من "ليثيا"، وفي الوقت نفسه تلقى "إرنستو" اتصالاً من "چورچو". كانت والدته تضحك وتأكل بتذوق وهي تخطط لرحلة إلى إسطنبول بصحبة أصدقائها. كانت "تشيتشيليا باساني" تقبل على الحياة من جديد.

"إرنستو" كذلك دبّت فيه الحياة بحماس جديد، حيث بدأ يقرأ من جديد ويهتم بزملائه الذين كانوا في حاجة إلى أي مساعدة، كما قرر أن يستعيد اهتماماته، ففترة مرضه الطويلة وضعته في حجرٍ صحي.

في ظهيرة ذلك اليوم، عاد إلى المنزل وفي يده الحلوى ومعنوياته مرتفعة، لكن بمجرد أن وصل لدخل البيت أحس بشيء ما يقلقه. فوالدته قررت الذهاب إلى الكوافير أخيرًا بعد أسابيع من التردد، إذًا فمن هذا الذي يتحرك في الصالة. بعد أن تخلص من قلقه، ووضع تورتة التفاح على الدولاب بجانب الباب، التقط إحدى الشمسيات، ورفعها أمامه كأنها سلاح، ثم اقتحم الصالة. وجد رجلًا في

الخمسين من عمره تقريبًا يتمتع بفخذين مثل أفضا المحاربين. فزرع الرجل حينما رأى "إرنستو"، الذي قال له:

- "كارلو" ماذا تفعل هنا؟

رد عليه:

- يا إلهي! "إرنستو" ضع هذا الشيء جانبًا.

ترك الفتى ذلك السلاح الذي اصطنعه، ثم قضى الثواني التالية في دراسة الرفيق السابق لوالدته. كان شعر "كارلو" أقصر عن ذي قبل، وقد ترك لحيته تنمو بعناية واهتمام. قميصه مكوي و يرتدي فوقه معطفًا أزرق. بدا شبيهًا بـ "فيدريكو سيربييري". فُكر "إرنستو" أنه في هذا العالم يوجد أيضًا رجال قبيحو الوجه، لكنه متأكد من أن انفصال "كارلو" عن والدته عاد بالنفع بكل طريقة ممكنة على مظهره.

بدا "كارلو" في حالة جيدة وهو يتحرك في الصالة على راحته. كان هناك صف من القشر البرتقالي في أحد الأطباق الصغيرة يبين أكله لليوسفي، وهو ما أغضب "إرنستو"؛ فقال:

- كيف دخلت؟

رد "كارلو" محاولًا احتضان "إرنستو":

- فلنحي بعضنا أولًا، أليس كذلك؟

لم يتحرك "إرنستو" ليحضنه. فأكمل "كارلو" رده:

- "تشيتشيليا" تعرف بأني سأمّر. جئت لأعيد مفاتيح المنزل ولأخذ أشياءي، لكني لا أستطيع

أن أجدّها. وكيف حال والدتك؟

كان سؤال "كارلو" الأخير نوعًا من تأدية الواجب. فرد عليه "إرنستو":

- حاول أن تتخيل.

لم يرغب الرجل في الخضوع لمحاولة الاستدراج غير المجدية هذه:

- اسمع. لا أجد كتيب. هل تعرف بالمناسبة أين وضعتها؟

لم يعرف شريك حياة والدته السابق الجانب المظلم لشخصية الفتى، كان "إرنستو" يظن أنه قد حانت اللحظة كي يطلعه عليه، فرد قائلاً:

- ماما تخلصت منها كلها.

شحب وجه "كارلو" وقال:

- هل تخلصت أيضًا من مجموعة "تيكس"؟

رد "إرنستو":

- هذه المجموعة انتهى الأمر بها إلى سجن "ريبييا".

عندئذ بدأ "كارلو" يشك أن "تشيتشيليا" قابلت فراقه بجرعة جيدة من الأحاسيس؛ ثم إن ابنها بدا معاديًا له بشكل خاص. لم يحب "كارلو" الأطفال قط، وخاصة المراهقين، لكنه عندما وقع في غرام "تشيتشيليا"، قرر أن يضع تلك العاطفة جانبًا، وتقبّل وجود ابنها "إرنستو".

وجّه "إرنستو" عبارة جافة لـ "كارلو":

- عندما تنتهي، ضع المفاتيح على الطاولة. مع السلامة.

استوقفه "كارلو":

- انتظر لحظة، أود الحديث إليك.

لم تكن لدى "إرنستو" أي رغبة في الاستماع إليه، لكن شيئًا من الفضول جعله يبقى على الكنبه. وقال:

- اتفقنا. ولكن اعلم أنه لديّ الكثير من المذاكرة.

قال "كارلو":

- فقط كلمتان.

ابتسم "كارلو" ابتسامة أبوية - وهو أمر جديد إلى حد كبير على الرغم من أنهما قضايا عشر سنوات تحت سقف واحد - ثم استراح على مقعد الكنبه المقابل لـ "إرنستو". قال مضطرباً:

- لا تظن أن تري لوالدتك كان سهلاً عليّ.

لم يكن "إرنستو" يرغب في سماع تبريرات مملة لا طائل منها بخصوص ما حدث، فبدأت ركبته في الاهتزاز بإيقاع يزداد سرعة.

استكمل "كارلو" حديثه:

- حسناً. أنت سمعت هذا الكلام من قبل، ولكننا كنا بالفعل في أزمة في علاقتنا، هل

تعرف إننا لم نكن نمارس الحب؟

أوقف "إرنستو" تلك الحركة العصبية. وقال:

- هل تعني أنك كنت تخونها مع أخرى ولم تقل لها شيئاً؟

رد "كارلو":

- من الأفضل أن تستمر في عدم معرفة شيء، ففي كل الأحوال ما الذي يمكن أن يتغير؟

شعر "إرنستو" حينئذٍ بحالة من السخط تزداد بداخله. كان على وشك الانفجار. قال:

- أهنتك على صراحتك، لكن كان لأمي الحق في إعطائها تفسيراً لما حدث، بعد أن أضاعت

عشر سنوات من عمرها معك.

- وما الذي يستدعي التفسير؟ لم أعد أحبها، وهذا كل شيء؛ ثم إن "مونيكا" ليس لها دخل في مشكلاتي.

- بالتأكيد، لكنك حرمت حقائبك فقط عندما قابلت "مونيكا". أم أنني مخطئ؟
لم يجب "كارلو" سؤاله. أخذ "إرنستو" يحدق فيه متقزراً، كما لو كان جرداً خرج من بالوعة المجاري.

- اسمعني؛ فأنت ما زلت صغيراً جداً حتى تعرف كم هو صعب إدارة علاقة بين اثنين مرتبطين. اعلم أنه في علاقة...
قاطع "إرنستو":

- اسمع، هذه شؤونك أنت، مع السلامة.
كان الوقت الذي سمح به "إرنستو" قد انتهى. كانت الجردان دائماً تصيبه بالاشمئزاز، ثم إن رؤيتها تتكاثر في لحظات حميمية كانت شيئاً غير مقبول بالنسبة له. وبالتالي انتفض من مكانه فجأة معلناً انتهاء جلسة الاعتراف.

- لا بأس يا فتى، فعلى كل حال أعرف أنني لم أعجبك قط. لكن على الأقل هل ممكن أن تقول لي أين أخفت والدتك قناعي الذي ينتمي إلى جزيرة "بالي"؟
كان لهذا السؤال كصانع معجزات على روح "إرنستو"؛ لأنه اكتشف بمتعة حقيقية أنه يمكنه أن يختم تلك المحادثة المملة بمفاجآت. وقال:
- أهدته ماما لأحدهم.

- هل تمزح؟

- لا، أبداً.

ضاق جفنا "كارلو" وذلك الغضب الذي كان يحاول أن يحتويه غير من مظهره. بدأ ينفعل، ولم يعد قميصه مكويماً كما كان من قبل، وتصب عرقاً؛ قال:

- لمن أهده؟

- لـ "جيبو".

انتفخت شرايينه غضبًا، واحمرَّ وجهه قائلاً:

- أعطت قناعي الذي أحضرته من جزيرة "بالي" إلى.. إلى ذلك البلطجي؟ سيظن أن "بالي"

أحد لاعبي نادي روما.

فجأة ضرب شخص ما جرس باب المنزل فتوجَّه "إرنستو" بخطوات هادئة نحو الباب

وقال:

- أنت محظوظ، من المفترض أن يكون الطارق "جيبو"، حاول أن تطلب منه أن يرده

إليك.

لم يكن "كارلو" يتوقع رؤية "جيبو" وجهًا لوجه، لكن "لويجي ريشولي" دخل الصالة بالفعل وبإحدى يديه زجاجتا بيرة وباليده الأخرى كتاب اللاتيني. كان قد دخل مبتسمًا، لكن بمجرد أن وجد أمامه "كارلو"، اختفت ابتسامته، ونظر إلى "إرنستو"، قائلاً:

- ما هذا، هل عاد؟

شرح له بتلقائية وبراعة:

- لقد جاء "كارلو" فقط لكي يأخذ أشياءه. هل تعرف القناع الذي أهديتك إياه أمي؛ في

الواقع.. كان قناعه.

تعلَّق "جيبو" بذلك الشيء المشترك بينهما تعلقًا مرضيًا، فجاء رد فعله كما لو أن أحدهم

يحاول أن ينتزع عن رأسه خصل الشعر التي تشبه عرف الديك. لذا فقد وضع زجاجتي البيرة

على الطاولة، وأخذ يحرق في "كارلو" بتعبير لا يبعث كثيرًا على الطمأنينة. قال:

- قناعي؟

اقترب منه "جيبو" حتى أصبح على بعد سنتيمترات قليلة من وجهه، فتسللت إلى أنف "كارلو" رائحة فوَّاحة للنيكوتين والدجاج الكاتشاتورا والتستوستيرون. قال لـ"كارلو":
- أعطتني إياه والدة "إرنستو" وهو بحالٍ أفضل مما كان عليه. إن كنت تود أن تأتي لرؤيته من حينٍ لآخر...

عندئذٍ أعطاه "جيبو" كارت المطعم، وعلى الفور وضعه "كارلو" في جيبه، ثم قال:

- آه.. إذا كانت قد أهدتك إياه ماذا يمكنني أن أقول...؟

علق "جيبو" في الختام:

- لا شيء.

اقتنع "كارلو" إلى حدٍ ما بسرعة أن قناعاً من "بالي" حتى وإن كان قيماً لم يكن يستحق ثمن علاج عند طبيب الأسنان. ترك مفاتيح المنزل على الطاولة ثم جمع القليل من كتبه التي نجت من "تشيتشيليا" وانطلق نحو الباب. وقال:

- إذاً أنا ذاهب، سعدت برؤيتكما. سلام.

راقبه "إرنستو" وهو متجه إلى مدخل البيت. فجأةً، وبشكل غير متوقع، قال "جيبو"
بحنان أظهر قلبه الطيب:

- لقد صرت أعتز بذلك القناع.

رد "إرنستو":

- أعرف ذلك.

- ربما أيضاً "كوشيتُونِه" كان يعتز به.

- لا. هو؟ لا. ثق في كلامي.

كانت تلك الكلمات القليلة كافية كي تزيل شكوك "جيبو"، ثم طرد "إرنستو" "كارلو" من أفكاره وأخذ كتاب اللاتيني من يدي "جيبو" وبدأ الدرس.

في تلك الليلة ذاتها، قاطع الصمت الذي خيم على منزل "سيريبيري" اتصال تليفوني. كانت الساعة قد تخطت منتصف الليل، لكن "دورينا" لم تكن من النوع الذي يضع أمامه مشكلة الخلق الحسن. فأول ما فكرت الزوجة السابقة في فعله، هو إخباره بخبر وضع الأستاذ في محنة، لكن الخبر الثاني أعاده بسرعة إلى الحياة. حيث قضت "أوديليا" يومًا كاملاً رافضةً للطعام. كانت الطفلة تقضي العديد من الوقت أمام نشرات الأخبار التليفزيونية واكتشفت الإضراب عن الطعام كأحد أشكال الاعتراض. سبب الاعتراض، هو أن أمها ألحقتها بإحدى الحضانات الخاصة التي تديرها واحدة من معارفها. كانت "دورينا" تحل المشكلات التي تواجهها بإلقائها على غيرها، وهكذا أخبرت الأستاذ بأن "أوديليا" ستصل روما في قطار الساعة الثانية بصحبة آخر مربية تم تعيينها لها.

توتر الأستاذ كثيرًا بسبب الحدث غير العادي؛ فالوقت المتاح له قليل. كان عليه حماية الكلب وترتيب المنزل وإعداد غرفة "أوديليا" وأن يأخذ إذناً لمدة يوم من المدرسة. البهجة التي شعر بها للقاء ابنته، جعلته مستقيظاً لفترة طويلة من الليل ثم نهض في السادسة صباحاً، وبعد أن ارتدى ملابسه على عجلة من أمره، توجه إلى بائع الزهور، ليشتري زهور المارجيريتا الصفراء، وهو اللون المفضل لطفلته. في النهاية قضى النهار بأكمله في جعل المنزل مكاناً أكثر تأهيلاً لاستقبالها. وفي الساعة المحددة، وضع الطوق حول رقبة "فلاك" وخرج متجهًا إلى محطة القطار، حيث وصل - كما كان متوقعًا - قبل وصول القطار بخمس دقائق.

دخل القطار إلى المحطة في موعده المحدد. نزلت منه طفلة هزيلة شقراء في الخامسة من عمرها بصحبة فتاة يميل لون بشرتها إلى الاحمرار وجسدها ممتلئ يبدو عليه القوة. ومجرد أن رأت "أوديليا" والدها على رصيف القطار، جرت لتحضنه، وهي تقول:

- بابا، بابا.

كانت الطفلة تشد على ساقى والدها بقوة لدرجة تمنعه من الحركة.

- حبيبة بابا. لا أصدق أنك هنا.

كان الأستاذ يداعب رأسها متأثراً. ثم ابتعدت "أوديليا" عن والدها وقبضت بيديها على فم الكلب، ثم بدأت تقبله أمام نظرة المربية الحائرة.

- كم كبرت يا "فلاك"!

حمل الأستاذ طفلته بين ذراعيه، مذهولاً من السعادة، أخذ يحتضنها بشدة كما لو كان يتأكد من أنها حقيقية. استنشق رائحتها التي لم تتغير منذ أن كانت طفلة رضيعة يحاولون فطامها، عندما كانت "دورينا" تترك له زجاجة الرضاعة في يده وتختفي حيث لا يعلم أحد أين.

رهما بسبب هذا التغيير العاطفي، لم يلحظ "سيربييري" نظرة الشابة الأوكرانية. سلّمت "ماريكا" باليد على والد "أوديليا" وابتسم الأستاذ لها، بينما شعر وكأنه يسلم على أحد المصارعين.

قالت "ماريكا":

- شكرًا على العطر الباهظ.

رد "سيربييري":

- لا عليك، أرجو أن تكون رائحته تتفق مع ذوق حضرتك.

- سأضعه دائماً.

ذهبوا إلى أحد المطاعم الجيدة. هناك أكلت الطفلة كمية توازي طعام طفلين زائدي الوزن في السابعة من العمر. أمّا المربية، فعلى الرغم من جسدها الممتلئ، بدا عليها قلة شهية غريبة. كانت تختلس النظرات للأستاذ باستمرار محاولة دراسة حركاته. بعد الغداء انطلقوا نحو المنزل، وأثناء رحلتهم بالسيارة، انتشرت الرائحة النفاذة لـ"شانييل" رقم 5، التي ظلت الفتاة القوية ترشها على نفسها باستمرار.

لكن ما حدث أثناء الليل كان أفظع مما يمكن تخيله.

بعد أن قضت الطفلة فترة الظهيرة في اللعب، قامت بتحية والدتها عبر التلفون، ثم وضعها الأستاذ على السرير وقص عليها بعض الأساطير الإغريقية. غلب النعاس "أوديليا" تقريباً على الفور في حضن "فلاك". أطفأ "سيربييري" النور وذهب إلى غرفته بصحبته رواية لـ"كونراد". لم يشعر بسعادة غامرة كهذه منذ فترة. كان يخطط لتقديم ابنته في أقرب فرصة إلى طلاب 3/2 وسقط في نعاسٍ عذب.

كانت الساعة الثالثة صباحاً تقريباً عندما حل محل نشوة السعادة تلك كابوساً تجسّد في ملامح فتاة سمينية أوكرائية. كانت "ماريكا" ترتدي قميص نوم شفافاً، وبثقة كاملة، استمدتها من هديته البريئة التي تمثلت في شكل عطر، اتجهت إلى سرير "سيربييري". ألقت جليسة الأطفال جسدها بكل ثقله على الأستاذ، وصرخت:

- احتضني!

استقيظ الأستاذ هلعاً وهو على وشك الاختناق. لم يستطع أن يكتم صرخة خوف هربت من شفثيه، ففزعت الفتاة بدورها وصرخت هي أيضاً، لكن فقط من الدهشة. كل هذه الضجة أيقظت "أوديليا" التي أخذت تبكي، واشترك

"فلاك" أيضًا في ذلك الكورال بعواء لا يتوقف؛ وفجأة أخذ ذلك المنزل الهادئ يدوي بأصوات يائسة.

على الرغم من أنه كان منزعًا من الليلة السابقة، فإن "فيدريكو سيربييري" قام بواجباته الأبوية في الصباح التالي على أكمل وجه. فأول ليلة لابنته في المنزل لم تكن هادئة، وكان آسفًا لذلك كثيرًا. لم تخرج "ماريكا" من غرفتها. فهم الأستاذ أن اختفاء الفتاة إضافة إلى الصرخات الليلية، خلق عند الطفلة نوعًا من الخوف.

قال "سيربييري" وهو يلبس طفلته المعطف الصغير.

- لقد رأيت "ماريكا" كابوسًا الليلة السابقة. هل تودين معرفة الشيء الغريب حقًا؟ حدث الشيء نفسه معي، والآن من الأفضل أن نتركها لتستريح.

بدأت "أوديليا" راضية بهذه الرواية الخيالية وتمنت ليالٍ أقل توترًا في المستقبل.

بعد مسافة قصيرة بالسيارة، عبر الأب وابنته بوابة تؤدي إلى حديقة تبدو عليها مظاهر العناية الفائقة، وبها تقسيمات نباتية وزهور الرندرة، والمقاعد المنتشرة في ممرات مفروشة بالحصى. للوهلة الأولى بدا المكان كعيادة رفيعة المستوى، أو كإحدى دور رعاية الأمراض العصبية، لكن، في الواقع وعلى عكس أي مظهر خارجي، كانت حضانة أطفال.

بعض العاملات اللاتي يرتدين زيّ المربيات كن يلهثن من الجري وراء ما يقرب من العشرين طفلًا، وعلى بعد بضعة أمتار، كانت إحداهن توبّخ طفلًا صغيرًا لا يتعدى عمره الأعوام الثلاثة؛ كان قد تسبب في اتساخ مريسته. من السهل جدًا التكهّن بأنه لم يكن مسموحًا للأطفال أن يوسخوا أنفسهم وملابسهم، وبالتالي لم يكن مسموحًا لهم أن يكونوا على احتكاك مباشر بالطبيعة حولهم.

بدأت شقة "أوديليا" السفلى ترتعش، فكانت الطفلة على وشك أن تنفجر في البكاء.

توجّهت إلى والدها، وببرة متوسلة قالت:

- هذا المكان لا يعجبني.

- أعرف يا حبيتي؛ لكن لا تقلقي. لن أترك هنا طويلاً؛ أعدك بذلك.

وهكذا، مسحت الطفلة دموعها، ثم قَبَلَت والدها مضطراً إلى قبول وجودها في ذلك المكان الأليم.

ترك "سيربييري" وراءه "أوديليا" وهي هادئة، لكن غير مستسلمة.

قاد سيارته متجهاً إلى "مدرسة مورجانتِه" مفكراً في ذلك الحادث المزعج لليلة السابقة. هناك مشكلة أخلاقية تتمثل في العيش تحت سقف واحد مع "ماريكا"، وهو ما يعني عدم النوم مطلقاً. لكن ترك الفتاة لمواجهة قدرها وحدها، بعد أن جعلها تنتقل من "ميلانو"، ظل حلاً غير مقبول.

عندما دخل الأستاذ فصل 3/2 بهالات سوداء واضحة تحت عينيه وعلامات العذاب على وجهه، أصابت الحيرة الطلاب بسبب آثار المعاناة الواضحة عليه، لكنه مع هذا بدا مطمئناً. وضع الأستاذ أشياءه على مكتبه وفتح الدرج الموجود في منتصفه. بداخله وجد العديد من الأوقية الذكرية المبعثرة وورقة صغيرة مكتوب عليها: «من أجل "سيربييري" عندما يكون عندة برد في رأسه». وبدهشة خفيفة عبست جبهته ثم أطلع الفصل كاملاً على ما وجدته بدرج مكتبه، ثم توجه إلى "بييرلويجي" الذي كان يقهقه خلسة وهو يوجه النظرات الغرامية إلى "إلاريا" وقال له:

- هناك ملاحظة واحدة يا "فلاميني"؛ فكلمة "عنده" تُكتب بالهاء وليس التاء المربوطة⁽⁷⁾.

وأنت هنا كتبت عبارة بسيطة كلها خارج السياق. فاحذر المرة القادمة؛ فالاستخدام الصحيح لقواعد اللغة مهم.

(7)- الفعل avere في التصريف في زمن المضارع مع الضمير هو يحتاج أن يكتب بحرف h، فيكون ha، أما الطالب فقد أخطأ وكتبه a فقط دون حرف الـ h.

ألقي جميع من بالفصل بنظرات اللوم على "بييرلويجي"، الذي بدا أنه لم يفهم معنى تلك الكلمات التي قالها أستاذه وحوّلته من ضحية إلى مهاجمٍ لاذع.

استأنف "سيربييري" يؤدّ:

- على أي حال، شكرًا على الهدية غير المتوقعة، وشكر خاص نيابة عن زملائك، عند انتهاء الحصة، مَنْ أراد منكم الحصول على أحدث وسائل الوقاية من الأمراض التي تنتقل عن طريق الاتصال الجنسي، فليأت. شكرًا لمساعدتك في مادتنا.

أمل "بييرلويجي" فلاميني" في رد فعل مناسب لإهانته. فكان يريد أن يرى على وجه "سيربييري" شعورًا سلبيًا، مثل: الغضب، أو العار، أو الضيق، أو على الأقل الحيرة، لكن خابت توقعاته وآماله.

همس "جيتو" لـ "بييترو" قائلاً:

- كم من الوقت يحتاجه ذلك الأبله ليفهم أن "سيربييري" ليس كالآخرين؟
رد "بييترو" عليه:

- لن يستطيع أن يصل بفهمه إلى ذلك المستوى؛ إنه أحمق جدًّا.

اعتبر "فيدريكو سيربييري" أن هذه الواقعة قد انتهت أمرها، على عكس "بييرلويجي"، الذي ظل غاضبًا، فنهض من مكانه مغادرًا الفصل. لم يهتم الأستاذ لذلك، فهو لديه الكثير من الأحداث ذات الأهمية الكبيرة التي سيخبر طلابه عنها؛ بدأ حديثه قائلاً:

- يا شباب، بالأمس حدث لي أمر غير عادي.

أخذ حامل الصور ورفع صورة "أوديليا" حتى يستطيع الجميع رؤيتها، ثم مبتهجًا - مثل أحد مدمني المشروبات الكحولية الذي يعلن عن آخر زجاجة له - وضع الصورة مجددًا في درج مكتبه، وقال:

- لقد عادت ابنتي.

همس "جيبو" في أذن "جورجو"، قائلاً:

- "جو"، هل قتل زوجته؟

ضحك "جورجو" ورد قائلاً:

- آه، مع ذلك الطبيب الذي يذهب إليه.. من الممكن أن يحدث أي شيء.

أصبح الأستاذ مركزاً لاحتفالية حقيقية، وبدفعة من التشجيع الحافل بالحرارة، قص على تلاميذه المغامرة البائسة مع جليسة الأطفال. وبإعطائهم تقريراً عما حدث معه بقلق كبير، فجّر داخل المستمعين ضحكات طويلة لا يمكن كتمها، لكن لم يعلق أحدهم بأي تعليق غير لائق. ظل "جيبو" متأثراً بالتفوق الجنسي لـ"ماريكا"، ووعد "سيربييري" بأن يجد لها وظيفة في أحد مطابخ المطاعم.

قال "سيربييري":

- إنها المرة الثانية التي تأتي فيها لتنجدي يا "لويجي" يا عزيزي. كيف يمكنني رد جميلك

بعد ذلك؟

- حضرتك تقوم بذلك بالفعل. فأنا لم أعرف شيئاً عن الحب قبل أن أقابل حضرتك.

بعد هذه المهمة التطوعية. شعر "إرنستو" بالأسف تجاه صديقه "جورجو"، بسبب العزلة الذي سيطرت على صديق طفولته؛ وعندئذ أخذ القلم وكتب على ورقة صغيرة، ثم مررها عبر "سارة" و"جوليا" و"ميكيله" و"لورينزو" حتى وصلت إلى مقعد "جورجو".

"لا تحزن، فأنت تعرف أن "جيبو" على استعداد للتحويل إلى نظام الطعام النباتي من أجل

النساء. تذكر أنك لست وحدك".

التفت "جورجو" وابتسم ممتنًا، ثم كتب سطور قليلة للرد على الورقة ذاتها التي عادت إلى الخلف عبر "ميكيله" و"لورينزو" و"جوليا" و"سارة" حتى وصلت إلى يدي "إرنستو" الذي قرأ الآتي:

"نعم، لكن لماذا إذاً أشعر بأنني الوحيد العاقل في مستشفى المجانين هذا؟".

في الوقت نفسه، جلس الأستاذ على مكتبه وأخذ يرتب مجموعة اختبارات واجب فصل 6/3. ابتسم ابتسامته المشجعة المعتادة، قائلاً:

- إذاً يا أولاد فلنتحدث عن موضوعنا اليوم.

نهضت "مارتا" وفي قبضة يدها حزمة من الأوراق المكتوبة على الآلة الكاتبة وضعتها على المكتب بالضبط أمام الأستاذ. وقالت له:

- لقد قمت ببحث ببلويجرافي حول درس اليوم وقمت بتصويره للجميع.

- شكرًا يا عزيزتي. سرى.

أخذ "سيربييري" الأوراق وأخذ يتصفحها بعناية وهو يقرأ في ذهنه العناوين. ثم قال:

- دراسات مهمة. عمل رائع. أحسنت؛ أنتِ أحد أعمدة هذا الفصل يا "مارتا". شكرًا بالنيابة عن الجميع.

لم يكن هناك شيء بإمكانه أن يشعر قلب "مارتا" بالدفء أكثر من أن تكرس نفسها من أجل الآخرين، وكان الأستاذ ينجح دائماً في أن يجعلها تشعر بأنه لا غنى عنها.

ألقي "فيديريكو سيربييري" نظرة عامة شاملة على الفصل بأكمله ورأى نظرات منتبهة مستعدة للاستسلام لدروسه بكل ثقة. وبكل رضا عن الوضع اعتقد أن تلك الحصص ستنقذ مصائر كثيرين؛ فكم من زملائه كان بوسعه قول الشيء نفسه؟

وبينما هو يحو آثار الدرس السابق على السبورة، صرَّح "سيربييري" قائلاً:

- الآن سنستطلع إحدى التبعات الوخيمة التي لها علاقة بحالة الغرام.

ثم التف إلى الطلاب محدقاً فيهم بجدية، واستكمل حديثه:

- "الشبح ذو العينين الخضراوين الذي يحتقر الطعام الذي يأكله"، هكذا وصفها شكسبير.

هذه الظاهرة حسب الإحصائيات تسبب مئات الحالات من الموتى كل عام في بلدنا وفي أماكن

أخرى، تصيب الشمال والجنوب، في الدول الإسكندنافية وفي إيران؛ فتأثيرها لا يعرف الحدود،

ينفجر فجأة ولا يتك مفرًا، وربما تكون الهدية الأكثر لعنة للحب.

أخذ الأستاذ الطباشير بيده وكتب:

خوف/شك/قلق/مراقبة/أرق/

عدوانية/عدم ثقة/تدني احترام الذات = غيرة.

استأنف الأستاذ حديثه قائلاً:

- هل يستطيع أحدكم أن يعطي معاني إيجابية لهذه السلسلة من الكلمات؟ حسنًا يا

أولاد إن الغيرة تشملهم كلهم في مجموع السلبية، ويحتم عليّ الواجب، أن أعطي المعلومة

كاملة، أن أضيف كلمة أكثر بشاعة وهي؛ دماء.

حلت الكأبة على الفصل بأكمله. لم يكن هناك طالب واحد لم يتذكر حلقات دموية من

الحوادث، كما أن نبرة الأستاذ الكثيرة زادت من جدية الدرس.

- الداء الجنوني يتولد من فكرة وجود علاقة بين اثنين يبحثان فيها عن الاندماج، وبالتالي

الانتماء. لن يشعر المغرم بنفسه مكتملة دون أن يعتبر الآخر يومًا ما، بشكل لا يمكن تجنبه،

أحد ممتلكاته مثل كتاب أو سيارة.

كانت "مارتا" تحاول دائماً المشاركة بنشاط في حصص مرشدها، وقالت:

- لكن ربما.. الغيرة مرتبطة بالجهل. ألا تعتقد ذلك يا أستاذ؟

نظر الأستاذ إليها بشيء من الحنية ثم ضحك، وقال:

- عزيزتي "مارتا"، للأسف هنا الأمر ليس له علاقة بالثقافة أو بالناحية النفسية، وليست هناك فروق بين الشعوب اللاتينية أو الآسيوية أو المتحدثين بالإنجليزية. إنه الحب هو الذي يولّد هذا الداء، مثل السرطان الذي يولّد أورامًا خبيثة، وهذا لأنه - تذكروا ذلك جيدًا - لا يمكن أن يوجد حب وتبعية غرامية دون غيره.

بدأ الأستاذ جولته المعتادة في قاعة الفصل ليتجول بنظره بين المقاعد؛ ثم قال:

- يا أولاد، أرجو أن تكون الفكرة قد أصبحت واضحة لكم؛ لن يستطيع أحد الحصول على الحب والسعادة معًا.

عندئذٍ بدأ بنوعٍ من الإصرار ينظر إلى "جورجو" ثم إلى "إرنستو".

استأنف حديثه:

- فلنعد إلى الغيرة، تخيلوا التأثير حاد السلبي الذي تتمتع به في الصداقة، وهذا النوع الوحيد من الشعور بالغيرة الذي يحمل حميمية صحية وواقعية مثمرة على وجه الخصوص.

ألقى الأستاذ نظرة طويلة تلميحياً لصديقي الطفولة. ثم استكمل حديثه:

- الغيرة هي القوة الوحيدة القادرة على تفريقكم عن صديقكم وأخيكم وزميلكم في الألعاب. فالشخص الذي أعطيتموه الثقة دائماً سيتحول إلى كائن غادر وغريم وعدو يجب محاربته، وكل هذا لأنكم ستنتظرون له بـ"أعين خضراء".

ثم عاد الأستاذ إلى مكتبه، وقال:

- أنصحكم بقراءة "عطيل" وهي المأساة التي كُتبت منذ قرون، ولكنها تظل عصرية. وستجدون فيها كل الإجابات الممكنة عن سؤال وحيد: "كيف ينجو المرء من هذه القوة المحطمة؟"، بكل بساطة: ابتعدوا عن الحب.

في ذلك الصباح، جلس الجميع يسجلون الملاحظات عدا ثلاثة طلاب وهم "جورجو" الذي كان منهمكًا في قراءة أحد واجبات طلاب السنة الثالثة،

و"ماركو فالينتي" لأنه كان في نوم عميق، و"جيبو" الذي كان منشغلاً بنقل تدريبات اللغة الإنجليزية من كشكول "بييترو".

قبل أن يترك الأستاذ الفصل اصطف الطلاب أمام المكتب ليأخذ كل واحد منهم نسخته حول المراجع عن العشق الأكثر أذية.

ثم ألقى الأستاذ تحيته:

- أترككم الآن؛ فالطلاب ينتظرونني في فصل 6/3.

أخذ "فيدريكو سيربييري" حقيبته وخرج من الفصل تتبعه نظرة "جورجو" البائسة وهو يتجه نحو فصل الطلاب الذين سيؤدون آخر امتحان مدرسي لهم وفي العام التالي سيتخرجون وقد تعلموا الكثير من أفكاره التي لا حدود لها.

كان الأستاذ في الممر بين الفصول عندما لحقت به "جوليا" وهي تجري وقالت له:

- انتظر من فضلك يا أستاذ "سيربييري"!

توقف الأستاذ في المنتصف بين الفصلين. فقالت له "جوليا":

- إن وجد "جيبو" عملاً آخر لجليسة الأطفال، فمع مَنْ ستبقى ابنة حضرتك؟

بدا "سيربييري" حائراً فقال:

- أنتِ على حق يا "جوليا"، في الحقيقة إنها مشكلة يجب عليّ حلها.

- يمكنني تولي هذا الأمر، فأنا بحاجة إلى المال للدخار.

كان "سيربييري" يقدر دائماً الطرق المباشرة والصريحة لمحاربة "جرينيس" وظل متردداً للحظة فقط، وقال:

- آه، أتفهم ما تقصدين، فأنتِ تحتاجين المال حتى تذهبي إلى كندا وغابات الدب الكبير.

- نعم، سوف يكون هناك تجمّع الصيف المقبل وأريد أن أصبح ناشطة حقيقية.

- هل تعرفين أن النشاط الحقيقيين يقومون غالباً بأفعال غير قانونية وخطيرة؟

- نعم، ولكن هذا لا يهمني.

- حسنًا. المهم أن تكوني على دراية بذلك. قولي لي يا عزيزتي. هل تحبين الأطفال؟

- لا. بشكل خاص لا.

- حسنًا. بالنسبة لي أنا موافق على عملك لدي. فأنت ستستطيعين تعليم "أوديليا" حب الطبيعة واحترام هذا الكوكب. تحدثي مع والديك في الأمر؛ فأنا أفضل أن يكونا على دراية به، وبطبيعة الحال يجب أن أقنع الناظر بأن يقبل اتفاقنا هذا.

هكذا أنهى "سيربييري" كلماته بابتسامة مطمئنة الفتاة، لكن "جوليا" كانت تلف خصل من شعرها بين أصابعها بعصبية. فطمأنها "سيربييري" قائلاً:

- لا تقلقي.. فأنا أمتع بشيء من المصادقية عند ذلك الرجل. سوف ترين أنه لن يتسبب في مشكلات، وفيما يخص المقابل المادي سوف نتفق.

لم تكن "جوليا" تظن أن طلبها ستم الموافقة عليه بسهولة كبيرة هكذا فبدت عليها السعادة فجأة. كان ما قامت به بعدها غريب للغاية على فتاة لها مثل طباعها. فوالداها و"سيربييري" وكل زملائها وكل الناشطين الذين كانوا يشاركونها عشق الدب الكبير لم يكونوا ليعرفونها إذا رأوها الآن، وحتى "مارتا" قلقت بشأن ذلك، فقد كانت "جوليا" تعانق "فيدريكو سيربييري" بقوة.



مارس

خطر مستمر



بدأ الشهر الأكثر تقلبًا منذ أسبوعين، حاملاً معه أمطارًا مفاجئة، مع لحظات قليلة من أشعة الشمس، والبرد القارس الذي يتحول فجأةً إلى درجات حرارة مرتفعة. كان مناخًا مجنونًا، لكن الجميع يعرفون عنه هذا. كثيرًا ما عانى "فيدريكو سيربييري" من متاعب في الجهاز العصبي بسبب عدم الاستقرار الطقسي ذلك، لكن في ذلك الصباح، بينما كان جالسًا في أحد أركان صالة الاستقبال، شعر على غير العادة بأنه في حالة جيدة.

حضر المقابلة عدد قليل من أولياء أمور طلاب السنة الثالثة. أخبر الأولاد آباءهم كم كان الأستاذ بارعًا، وكم كانت مفيدة دروسه، وهو ما يعتبره الآباء الغارقين في مشاغلهم أكثر من كافٍ. استغل "سيربييري" تلك الساعة التي أتيحت له كي يصحح بعض الواجبات. ومن حينٍ لآخر، كان يلقي نظرة على مجموعة الأمهات الصائحات اللاتي احتشدن حول الأستاذة "جالتوسي" التي جلست على بعد أمتار منه؛ ومع ذلك ألقت بأذنها على حوار تديره أستاذة مادة الرياضيات مع ولي أمر أحد الطلاب وعلى المنازعات الكلامية على الطلاب ذي الأسبقية في الصف أمام مكتب الأستاذة "بالميري". لم يتقدم أحد لمقابلة أستاذ الفلسفة حتى يتحقق من أداء تلاميذ 3/2. وكان ذلك أمرًا أكثر من متوقع،

حيث إن أقل درجة حصل عليها الطلاب في ذلك الفصل كانت سبع درجات، كما أن أولياء الأمور لديهم الكثير من المهام غير تضييع الوقت في مواد كان تحصيل أبنائهم فيها جيدًا. شعر "سيربييري" بالرضا عن ذلك. فلم يفهم أولئك الأشخاص أبدًا فائدة دروسه عن أضرار الحب؛ فبالتالي كان من الأفضل لمصلحة الأبناء أن يظل أولياء أمورهم على جهل بالأمر كله. كان يعطي درجة النجاح للمرة المئة لأحد الواجبات عندما شعر بأحدهم يقف أمامه. رفع الأستاذ نظره ليجد رجلًا قصيرًا ممتلئ الجسد، يزحف الصلع على جانبي الرأس، ويرتدي بلوفر على هيئة رقعة الشطرنج من الصوف الخام ومعطفًا من الجلد ذا جودة ممتازة، لكن القطعتين معًا لم يتلائما نهائيًا، فلم يكن منظرًا جميلًا. ونظرًا لحاسة الشم القوية عند الأستاذ، استطاع أن يشم رائحة قلبية تنبعث من الرجل. كما أنه بمجرد أن نظر لعيني هذا الشخص غير المعروف له حتى وجد فيهما شيئًا مألوفًا.

قال الرجل:

- صباح الخير يا أستاذ، أنا "ماريو ريثفولي" والد "لويجي".

نهض "سيربييري" واقفًا وسلم عليه باليد مهاديًا إياه ابتسامته الودودة المتفهمة، وقال:

- آه، والد "لويجي"، يا له من شرف لي بالتعرف على حضرتك، تفضل استرح، أرجوك.

أدهش هذا الاستقبال المليء بالحماس "ريثفولي" على الفور. ففي العديد من المناسبات كان يخجل من ابنه، فكان ذلك أحد الأسباب التي جعلته يتوقف عن الذهاب لمقابلة الأساتذة، حيث بدا أنهم جميعًا يستمتعون بإهانة "لويجي". لكن هذه المرة يبدو أن هناك شيئًا مختلفًا.

- قرأت خطاب حضرتك، ويؤسفني أنك تعرضت لمشقة المجيء إلى المطعم ولم تجدني حتى.

دائمًا ما يتحدث "ماريو ريفولي" بصوت خافت كما يشعر بالحرَج أمام أي شخص أكثر تعلُّمًا.

- لا يهم. سعدت برؤية مطعمكم الجميل. إذًا ما رأي حضرتك في الخطاب؟

- ماذا بوسعي أن أقول. لقد تفاجأت.. لم أكن أتوقع ذلك حقًا.

أخفض "سيربييري" صوته ومال للأمام نحو مُحاوره، قائلاً:

- هيه! ألم تكن تعلم أن ابن حضرتك ولد استثنائي؟

لم يستطع "ماريو ريفولي" النظر إلى ابنه في هذه الصورة الجديدة، فقال:

- يا أستاذ، لكن.. هل حضرتك متأكد من أنك لم تخلطه بآخر؟ ربما بـ"جورجو"، فابني يطلقون عليه "جيبو"، وهو طويل حليق الرأس مع وجود بعض من الشعر قبيح المنظر كعرف الديك في المنتصف...

قاطعته الأستاذ بملاحظة تفهم:

- أتحدث عن "لويجي" بالتحديد، وأؤكد لحضرتك بأنه استثنائي، ثِق في.

بدأ "ماريو ريفولي" يشعر بتقصيره نحو ابنه الثاني. كان مهملاً له دائماً، غير قادر على فك شفرات تمرده، وربما لم يكن يعرفه على الإطلاق. والآن شخص غير معروف له على الإطلاق يحكي له شيئاً ما عن "لويجي" لم يكن ليتخيل وجوده أبداً.

- لم أكن أباً جيداً، توفيت والدة "لويجي" عندما كان في السابعة من عمره، وتوليت تربيته بمفردتي. حملني المطعم أعباءً كثيرة، كما أن السنوات الأولى كانت قاسية. ومن ثم لم أتابعهما كما كان واجباً عليّ. هذا هو الأمر وما فيه.

النبرة النادمة لـ"ماريو ريثولي" كانت تستحق بعض المواساة.

واساه "سيربييري":

- لا تكن قاسيًا على نفسك.

ثم استكمل:

- فموهبة "لويجي" لم يكن سهلًا اكتشافها، ابن حضرتك أكثر انغلاقًا مما يبدو.

- آه، لقد قال ذلك أيضًا الأخصائي النفسي للمدرسة والذي في الواقع يقف بجانبه...

نسبيًا...

ضحك "سيربييري" بداخله، فقد كان مقتنعًا بأن الجلسات مع "كاميلو" لم تكن مهمة كثيرًا للنضج النفسي لـ"جيتو" بقدر ما كانت مهمة له للنضج الإنساني، وإن كان الأب قد سها عن ذلك، لذا كان الأستاذ على أتم استعداد ليلخص له الموقف.

- اسمعني يا سيد "ريثولي"، إن "لويجي" يمتلك أسلوبًا في التفكير ذا طابع هندسي، وذكاءً يصبح عرضة لتغيرات سريعة، وبالإضافة إلى ذلك لديه مهارته الملحوظة في التحول بين التحليلات والتجميع الاستنتاجي. علاوةً على أنه يستطيع العمل في مجموعة، وعنده حس عالٍ من الدعابة الساخرة، وقد نجح في كسب أصدقاء يتصفون بالصرامة.

- آه، هذا مؤكد. فإن "لويجي" على استعداد أن يلقي نفسه في النار من أجل الأصدقاء.

- وهذا في حد ذاته كنز. وإن عدنا للحديث عن علوم الحاسبات والمعلومات فبطبيعة الحال يحتاج إلى الدراسة، وهو يبدو لي مهتمًا بهذا المجال، والأساسيات لديه ممتازة على الرغم من أنه تعلمها ذاتيًا.

بالاستماع إلى كلمات ذلك الرجل الودود، وبسماعه لحالة ابنه على الصعيد الاجتماعي، حلت حالة من السلام والطمأنينة على "ماريو ريثولي". وهكذا

عندما قام بعدها بعشر دقائق ناهضاً من كرسيه، كان يشعر بحالة من الفخر الأبوي الذي ملأ صدره لدرجة أنه بدا لـ"سيربييري" رجلاً مهيباً.

- أستاذ، شكراً جزيلاً لك، وشكراً أيضاً بالنيابة عن "لويجي".

أخذ "ماريو ريشولي" بين يديه يد "سيربييري" اليمنى ولم يكف عن مصافحتها، معبراً عن عرفان لا ينتهي. وقال:

- سأنتظر حضرتك في المطعم. ستكون ضيفنا متى تريد، لا أحتاج أن أوصي حضرتك بأن تأتي، ها؟

- شكراً وتهنئتي من أجل "لويجي".

لم يكن "سيربييري" ليقبل بالحصول على وجبة مجانية كمقابل لتدخله، وعلى الرغم من ذلك، ذكّره ذلك الأب الذي لا حول له ولا قوة، بخفة دم ابنه. تابعه بنظره حتى الباب، وقبل أن يختفي عن نظره استطاع أن يرى نظرة الانتصار التي وجهها "ماريو ريشولي" لـ"أديله بالميري" أثناء وصفها لمستوى الطلاب.

كانت الموظفة الشابة في حضانة "ابتسامة طفل" تقلب الورقة بين يديها وهي تفكر كيف تضيع وقتها. نعم، كان ذلك التوقيع على الورقة هو توقيع الأستاذ "سيربييري"، كما أن بطاقة الفتاة سليمة، وعلى الرغم من ذلك كان من الصعب على الموظفة أن تُسلم الفتاة الطفلة. وقالت:

- هل أنتِ واحدة من الأقرباء؟

- لا. أنا جليسة الأطفال.

- لكن هل الطفلة تعرفك؟

باستحضار "جوليا" لإحساسها بالمسؤولية، تمايلت نفسها حتى تلك اللحظة، ولكن بعد السؤال الأخير أصبحت لديها رغبة داخلية قوية جداً في إرباك الموظفة بخصلات شعرها الملونة.

- من أين يأتون بـكُنْ؟ من مسابقات الجمال؟

لم تكن تعرف المرأة كيف تتصرف؛ فقد كانت تلك هي المرة الأولى التي ترى فيها شخصاً - يمتلك "بيرسينج" وتسريحة شعر كيرلي مع تجميع غريبة لملابس قليلة النظافة - يتخطى عتبة حضانة "ابتسامة طفل".

ومع ذلك بدخول تلك الفتاة التي كانت تبدو كما لو خرجت من لوحة لـ"بيكاسو"، كان على الموظفة أن تجعلها تختفي من المدخل في أسرع وقت، حتى وإن كان الثمن هو اختطاف الطفلة.

- انتظري هنا، ومن فضلك لا تلمسي أي شيء.

اختفت الموظفة في الممر تتبعها نظرة "جوليا" القاتلة. ظلت تتأمل الجدران ناصعة البياض لأهدأ حضانة أطفال على وجه الأرض. الأجواء المحيطة التافهة أعادت لذهنها أحد الأفلام عن تربية حقيرة لبعض صغار كلاب البيجل التي كان مصيرها المعامل العلمية في شمال إيطاليا، وذلك التشابه مع "جرين هيل" لم يعجبها على الإطلاق. قررت أن تفعل شيئاً ما حتى تعود الموظفة، فاندفعت نحو ممر يطل على الفناء، حيث يمتد الحائط الأبيض إلى أمتار وأمتار من النصاعة التي لا فائدة منها. كما كان ذلك المكان الصامت بحاجة إلى صوت يدب الحركة فيه، أدركت "جوليا" أنها لم تأتِ إلى هناك بالمصادفة. جلست على ركبتيها على الأرض وفتحت حقيبتها.

وعندما وصلت "أوديليا" أخيراً بكامل حريتها إلى "جوليا"، تبادلتا التحية بمودة أدهشت الموظفة.

قالت الموظفة بصوت كئيب:

- قمنا بالاتصال بوالدها، ففي نهاية الأمر نحن لا نعرفك.

انفصلت "چوليا" عن الطفلة وتقدمت مقتربة من الموظفة التي تقهقرت لبضع خطوات إلى الخلف.

قالت "چوليا":

- والآن، هل رأيتني جيداً؟ عَجَلِي الإجراءات في المرة القادمة.

أخذت الفتاة "أوديليا" من يدها وجرتا إلى الخارج تتبعهما نظرة الموظفة المطمئنة. اتجهت الموظفة إلى الممر الأيسر لتخبر الإدارة بما حدث، لكنها توقفت بعد بضع خطوات. فعلى الجزء الأسفل من الجدار كانت هناك بقع سوداء بأحجام مختلفة. ارتدت نظارتها مقتربة من الحائط كي تعرف ما هي.

كانت آثار أقدام حيوانات - كلاب وقطط وطيور وذوات الحوافر - مرسومة بأحجام مختلفة، والآثار الصغيرة كانت تختلط في تشابك غير نظامي، لكنها بدت وكأنها تتجه إلى نقطة بعينها، نقطة هروب متخيلة، بعيدة، في الخارج، نحو السماء.

قالت "چوليا" وهي تسير مع الطفلة ممسكة بيدها نحو محطة الحافلة:

- لكي عندي مفاجأة يا "أودي".

لكن في ذلك اليوم كانت "أوديليا" هي من أدهشت "چوليا"، لأن التناغم المفاجئ بين اثنين من البشر يعد ظاهرة غير متوقعة دائماً.

وضعت أرنَبًا عملاق لونه أبيض وأسود في سلة. ثم بدأت بالبحث عن "أوديليا" بنظرها. اختفت "أوديليا" داخل أعماق المتجر الكبير الخاص ببيع الحيوانات. نادى "چوليا":

- "أودي" أين أنت؟ ألن تأتي لرؤية هديتك؟

كانت الطفلة تشاهد كل شيء حولها متجاهلة فئران الهامستر والبيغاوات. انجذبت مثل المغناطيس إلى قفص صغير موضوع في زاوية ما شبه مختبئة. فعند رؤيتها لذلك القفص الصغير، رأت "أوديليا" كل الوحدة التي عانتها في الفترة الوجيزة التي قضتها في مدينة ميلانو. فأمامها داخل القفص، رأت حيوانًا صغيرًا للغاية، شعره غزير، وله ذيل طويل وأذنان حجمهما غير عادي، أمّا عيناه فكانتا عملاقتين، والإصبع الثاني والثالث في ساقيه الخلفيتين، يربط بينهما غشاء. ربما كانت وظيفتهما مساعدته على الهبوط بعد انتهائه من الطيران. اتجهت "چوليا" إلى الطفلة الصغيرة وهي تلهث قليلًا. عند وصولها سمعت الفتاة الصغيرة تسأل بائع المتجر:

- "توليو"، هل تركت لك الكائنات الفضائية هذا الحيوان.

أجابها الفتى ضاحكًا:

- يمكنك قول هذا. إنه نوع للهواة.

وهكذا، معجبة باكتشافها، بدأت "أوديليا" تصدر تشجيعاتها الصوتية المعتادة تجاه

المخلوقات التي لا تتمتع بنعمة الكلام. قالت الطفلة:

- أنت وحيد جدًا. أنا أعرف ذلك.

همس "توليو" في أذن "جوليا" قائلاً:

- هل الفتاة الصغيرة دائماً هكذا أم أنها أصبحت هكذا فقط عندما بدأت بقضاء الوقت معك؟

ضربته "جوليا" بود. تأمل البائع الشاب عيني "أوديليا" الجميلتين، تلك العينين اللتان كانتا تتابعان حركات الحيوان الصغير، وعندئذٍ بلين قلب فتح القفص ووضع الحبس بين يدي الطفلة.

قال "توليو":

- إنه صغير السنجاب الطائر، وهو من الحيوانات الجرابية الأسترالية. ضمت "أوديليا" الحيوان الصغير الذي كان يرتعش إلى صدرها. تبادل "توليو" و"جوليا"، بعد أن أدركا ما يدور بهال الفتاة. قرر "توليو" أن يوضح حالة ذلك الحيوان الغريب:

- إنه موجود هنا منذ وقت طويل جداً، فالزبائن لا يعرفونه، علاوة إلى أن شكله قبيح نسبياً ورائحته كريهة.

اكتشفت "جوليا" في تلك الأيام بالتحديد أن نزعتها في الدفاع كانت في تزايد لا حدود له، لتشمل عالم الحيوان، بالإضافة إلى كل قليلي الحيلة من الجنس البشري، مثل طفلة في الخامسة من عمرها، حيث أصبح إدخال السعادة على "أوديليا" من أولوياتها، وهكذا تنهّدت في أسف حقيقي وهي تقول:

- خسارة أن هذه الحيوانات الغريبة يبلغ ثمنها الكثير من المال.

ابتسم "توليو" مطمئناً، وقال:

- لكن ليس هذا. فنحن نعطيه هدية لمن يشتري أرنباً ضخماً.

تحرك كل شيء بسرعة في ذلك اليوم الرائع. رياح خفيفة تدفع الشتاء بعيداً، وساعات النهار تطول في انتظار الأمسيات الجياشة، كانت هناك حالة من التوتر العام التي تؤثر حتى في الناس الهادئة.

كانت "تشيتشيليا باساني" مستعدة.

بعد النعاس الطويل للجسد والعقل، بدأت تزدهر أخيراً مع اقتراب الربيع. كان "كارلو" هو السبب في الغياب الطويل لها عن واجباتها في العمل، صحيح أنها لم تستطع محو أثره من حياتها، إلا أنها تمكنت لو تستطيع أن تكتبه في أسباب تغييبها عن العمل. ركزت تفكيرها في التحرر من هذه الأفكار السامة أثناء صبها القهوة في فنجانها. عادت إليها الطاقة القديمة كي تبدأ نشاطها من جديد.

خرج "إرنستو" من البيت قبل والدته، وبعده بساعة، خرجت "تشيتشيليا" وقد زينت وجهها بعناية بمساحيق التجميل. ارتدت فستاناً وردي اللون أبرز جمال جسدها.

أغلقت "تشيتشيليا" الباب خلفها واتجهت إلى العمل.

قبل أن تعبر بوابة المدرسة، أخذت نفساً عميقاً ثم اندفعت داخل الحشد. أفسحت لنفسها الطريق وسط ذلك الازدحام البشري، الذي استقبلها أناس من بينه بعبارات مثل: "يا له من شيء جميل، لقد عدت" و"تبدلين بأحسن حال". ابتسمت للجميع، من أول عامل حتى آخر زميل. ثم بخطوات سريعة دخلت إلى غرفة الأساتذة التي كانت خالية من أي شخص. كان الجو العام يوحى بالانضباط والجدية. كان السقف عاليًا، وكان الأثاث هو الموجود فقط لا أكثر من ذلك، مع وجود مائدة في منتصف القاعة. لاحظت "تشيتشيليا" على الفور الكراسي الخمسة الجديدة من ماركة "إيكيا". أخذت الدفتر من دولابها، وقبل أن تتحرك نحو مكتب الإدارة، توقفت أمام النافذة لترى عمليات تجديد الفناء؛ فقد كانت الأرضية مكونة من ألواح بلاط رمادية، ذلك اللون القاتم يبدو أيضًا

متغلغلًا في جدران الفناء. في الوسط تم تثبيت مقعد خشبي بائس، سيتحول مستقبلًا إلى كتابات وعمليات نحت وإبداع من الطلبة.

بالنسبة لـ "تشيتشيليا"، كان ذلك المنظر بمثابة الإعلان عن مدرسة مُهملة ولغز من ألغاز كثيرة مرتبطة بالإدارة المدنية؛ فلم تستطع أن تفهم أبدًا لماذا يصمم مديرو المدارس على إظهار المدارس كالسجون ذات الحراسة المشددة، من الطبيعي إذاً أن تنمو داخل الأولاد نزعة الفرار منها.

في ثانية واحدة كانت "بالميري" فوق رأسها تحتضنها وتضمها إلى صدرها الممتلئ. قالت لها:

- عزيزتي "تشيتشيليا"!

- أهلاً يا "أديله".

تحررت بعدها "تشيتشيليا" من ذلك الحزن اللزج.

- أخيراً عُدْتُ. كان طلابك يعدُّون الأيام، والمُدْرسة الاحتياطي التي حلَّت محلَّك لم تكن على قدر المستوى.. تبدين بحال رائع، على عكس ابنك الذي يحتاج إلى علاج لاستعادة القوة والحيوية. هل أنت متأكدة من أنه على ما يُرام؟

غير عابئة بالإجابة، عادت الزميلة لاستئناف خطواتها، لكن ليس قبل أن تقبلها من جديد. كانت "تشيتشيليا" في غاية السعادة لعودتها مجدداً إلى مدرستها، فحتى تلك المقابلة جعلتها تشعر برعشة رضا. لم يكن كثير من مدرسي الرياضيات محبوبين بين الطلاب. نجحت كذلك في الحصول على شهادات التقدير باذلة كل جهد لذلك؛ فقد وُلدت من أجل هذا العمل، لكي تتنفس الهواء المختلط بالتراب في قاعات الفصول ولكي تبقى بين الطلاب.

لم تكن "تشيتشيليا باساني" بالتأكيد لتتوقع أن المكان الأكثر أماناً لها لم يعد كذلك. فلم يربك كيائها كثيراً ذلك التشابه مع "بول نيومان"، المحرك القديم للأحلام الحميمية المحرمة، قدر ما أربكت كيائها النظرة اليائسة لهاتين العينين الزرقاوين.

فبمجرد أن ظهر على عتبة الباب، تأملها الزميل بعين قلقة، ثم اتجه نحو دولابه كمن يحاول إنقاذ نفسه من موت محقق أمام محاولة اغتيال. شعرت "تشيتشيليا" كما لو أن قلبها صعد إلى حلقها بسرعة كبيرة، لكنها أظهرت مرة أخرى أنه أمام الخطر تكون لدى النساء شجاعة أكبر، فواجهته بابتسامة ودودة.

- أهلاً، أنت من المفترض أن تكون الأستاذ الجديد لمادة التاريخ والفلسفة. أنا "تشيتشيليا باساني"، أدرس مادة الرياضيات في فصول الخامس والحادي عشر.

كان "سيربييري" مسروراً بينه وبين نفسه لذلك الحوار الودي بصيغة أنت دون حضرتك. رد قائلاً:

- تشرفت كثيراً. أنا "فيدريكو سيربييري".

أهداها ابتسامة مريرة. لم ينجح في تفادي رائحة عطرها بعد مصافحته إيّاها. وبينما أخبرته "تشيتشيليا" أنها لا تود إزعاجه بأسئلة حول أداء ابنها "إرنستو جرادي"، بدأ "فيدريكو سيربييري" يشعر بنفسه هشاً بشكل خطير لدرجة أنه وافق بعدها بساعتين على أن يشرب القهوة مع زميلته التي تعرّف عليها لتوّه. أمّا "تشيتشيليا" فقد قررت بعد أن لاحظت أن "فيدريكو سيربييري" شخص خدوم، أن تقفز عدة خطوات في لقاء التعرف ذلك واتجهت مباشرة للحديث عن حياتها الشخصية الحميمة. اعترفت لرجل غريب بالهجر المؤلم التي كانت ضحية له. في اللحظة ذاتها، سيطر على "سيربييري" إحدى مقولات "نيتشه": "إن أساس الحب الرغبة في التملك"، كان هذا بالتحديد ما ينمو داخله نحو الأستاذة "باساني".

حتى وإن كان يؤمن بموانع شديدة جدًا ضد الحب، فإن "فيديريكو سيربييري" فاجأته تلك الرغبة في الحصول على ذلك الفم وتلك اليدين وذلك الجسد وتلك النظرة وبطبيعة الحال ذهن تلك المرأة.

لم تكن "تشيتشيليا" أقل خوفًا، فأمام ذلك الانجذاب غير المتوقع الذي تشعر به قد تعود إلى حالة الشلل مرة أخرى في سرير مليء بالكليتيكس، وقد تتقدم هذه الحالة مجددًا بلا رحمة.

كي تنكر ذلك الخطر الواضح بعد أن عادت إلى المنزل، لم تقص على ابنها بأنها تعرفت على مدرسه البديل لمادة التاريخ والفلسفة.

بعد أيام قليلة، لم تخبر "إرنستو" أنها وجدت في دفتر التحضير الخاص بها ورقة صغيرة من "فيديريكو سيربييري"، مكتوبًا بها الآتي:

"عزيزتي "تشيتشيليا"، أود أن أدعوك إلى العشاء مساء السبت. هل يمكنني أن آمل في موافقة منك؟".

كان مكتوبًا في آخر النص عنوان لأحد المطاعم الراقية ومعه التاريخ والموعد.

فكرت "تشيتشيليا" قلقة في أنه إذا كان ذلك الرجل يمارس الحب بالحرارة نفسها التي يكتب بها الدعوات الغرامية، فإن الأمور ستكون سيئة لها، لكن، بطبيعة الحال، وضعت في اعتبارها أن ذلك سيستدعي بعض العناء لاكتشاف ذلك. ولاحقًا بعد أن دخلت غرفة المدرسين، وجدت دفتر "سيربييري" على المائدة الكبيرة متروكًا هناك عن قصد من أجلها. وضعت "تشيتشيليا" بين صفحاته ورقة بها ردها على الدعوة، وفيها مكتوب بإيجاز:

"بكل سرور".

وهكذا في مساء السبت، كان كلاهما يجلس أمام الآخر وبينهما شمعة مشتعلة تغمرهما بظلال الحب الخفيفة. ارتدت "تشيتشيليا" فستانًا أسود

أبرز ملامح صدرها، بينما ارتدى "فيدريكو سيربييري" معطفًا أزرق من الصوف الخفيف، من دون كرافته. قدّرت "تشيتشيليا" هذا الاختيار غير الرسمي لملابسه بشكل خاص. ظلًا في الفترة الأولى من العشاء يرويان حكايات عن حياتهما الخاصة وبعض المواقف المضحكة للمدرسة التي غالبًا ما تكون مسلية. وبينما يتأمل "سيربييري" زميلته وهي تضحك وتحرك رأسها وتلمس شعرها ورقبتها، أدرك بألم أن قلبه لن يستطيع المقاومة طويلًا. وفي النهاية بعد الطبق الثاني أي طبق اللحوم، ترك نفسه لحركة حاسمة. وضع يده على يد "تشيتشيليا"، متأنيًا بشكلٍ من المداعبة، شعر بوضوح برعشة متعة. ومنذ تلك اللحظة.. منذ ذلك الاتصال، شعر الأستاذ وكأن قضبانًا حديدية تظهر من حوله تجعله سجينًا لها.

بعد أن وصلا لتلك المرحلة، دفعتهما رغبة بعدم تناول الحلو وطلبها الحساب، وبمجرد أن خرجا من المطعم، التقيا في قبلة غرامية بدت لا نهائية.

يلعب القدر دائمًا بأوراقه وفي معظم الأحيان يغش في اللعب. وفي مساء ذلك السبت، الموافق 24 مارس، احتفل بعض طلاب 3/2 بعيد ميلاد "لويجي ريفولي" الثامن عشر في قاعة صغيرة محجوزة خصيصًا لذلك في مطعم عائلته. اختار الفتى أن ينهي حفلته الصاخبة بنزع سدادات زجاجات الخمر الفوارة، ولكن قبل تلك اللحظة كانت الخمر تنهال عليهم كالأنهار بالفعل. في الثانية صباحًا، أوصل "بييترو" صديقه "إرنستو" بالموتوسيكل أمام بوابة المنزل وهو ثمل بما فيه الكفاية.

بيد مرتعشة حاول الفتى أن يدخل المفاتيح في فتحة الباب، لكن تلك العملية أصبحت أكثر تعقيدًا بسبب حرصه على عدم إيقاظ والدته. لكن، بعد الكثير من المحاولات، والمزيد من الحذر، اكتشف أن ما يفعله بلا فائدة، لأنه ببساطة لا يوجد أحد بالمنزل. عادت "تشيتشيليا" إلى البيت بعد ذلك بعشرين دقيقة، وهي

تغنى بصوت خافت أغنية لـ"بيلي هوليدي"، كانت ترتدي فستانًا من الساتان الأسود وتلعب بوردة حمراء طويلة. كان "إرنستو" متجهًا إلى الحمام، عندما قابلها في الممر. واكتشف على الفور أن والدته لم تلحظ سكره.

قال "إرنستو":

- أوه، يا له من مظهر رائع، لا تقولي لي إنك خرجت مع صديقة!

انفجرت "تشيتشيليا" في الضحك، وقالت:

- لن أحكي لك شيئًا على الإطلاق يا "إرني"، قل لي بالتحديد متى عدت؟

نظر إليها "إرنستو" مستمتعًا؛ فوالدته مبتهجة بعض الشيء، وفي حالة معنوية عالية.

خلعت "تشيتشيليا" حذاءها ذا الكعب العالي بقذفه بقدميها تجاه الكنب.

ألحَّ الابن في حديثه، وقال:

- حسنًا، اتفقنا، كنت مع صديقة.. ربما يكون هذا الروتين المعتاد، لكنني كنت أفضل أن

تخرجي مع الجنس الآخر.

ضحك "إرنستو". ضربته "تشيتشيليا" على سبيل المزاح بمعطفها. تلك الحركة كانت كافية

لكي تنتشر في الهواء رائحة كريهة تسبب الغثيان.

سألها "إرنستو":

- ما هذه الرائحة الكريهة؟

- أتشمها أنت أيضًا؟ لقد انتبهت إليها في المصعد، يبدو أن معطفها ما أراد التسلي

بمعطفي، ولم يفهم أن الكارنيفال قد انتهى!

انتزعت "تشيتشيليا" المعطف بشيء من النفور.

- رائحة لا تطاق، تذكرني بأحد أنواع الأسمدة.

ثم وضعت في البلكون، حيث سيقضي الليلة بأكملها قبل أن يصل بشكل نهائي إلى المغسلة.

- ربما حدث ذلك عندما كان على شماعة الملابس في المطعم؛ فتلك هي اللحظة الوحيدة التي غاب فيها عن نظري.

انتزعت "تشيتشيليا" أيضًا الحلقيين من أذنها، ثم اختفت في غرفتها. ولبضع ثوانٍ ظل "إرنستو" واقفًا وسط الصالة. على الرغم من التشويش الذي تسبب فيه شربه للخمر، كان قادرًا على أن يلمح في هذه الحادثة الغريبة شيئًا مألوفًا جدًا له.

في تلك الليلة الغرامية القاتلة، كان هناك شخص ثالث، لم يسكر، لكنه كان يغرق تدريجيًا في حالة من الفوضى.

ركن "فيدريكو سربيري" سيارته، لكنه لم يدخل المنزل. مضطربًا من الأحداث الأخيرة، بدأ يسير دون وجهة محددة. بدا تائهاً، وكأنه يسير نائمًا.

حيلة طارد الحمام ضد "تشيتشيليا" لم تؤدِّ إلى أي تأثير؛ فهو لا يزال لا يستطيع مقاومتها. فهي تتمتع بجمال ولطف وذكاء يحمل خفة الدم، وهذه الأسلحة كلها مجتمعة هزمت بشكل تام كل وسائل دفاعه.

شعر بروحه مثقلة بالعذاب. أمل في أن بعض الحركة الجسدية من الممكن أن تساعد في إعادة ترتيب أفكاره. لم يكن يريد الاستسلام للذعر. ربما لا يزال في مرحلة الإعجاب الزائد عن الحد، لكنه يعرف أن تقبيله لها كان أول خطأ وقع فيه. كيف كان له أن يقاوم فم كهذا؟ ثم ارتكب خطأه الثاني بتقبيلها مرة ثانية بعشيق أكثر، لكن الانتحار الحقيقي لمبادئه التي يدافع عنها، كان حينما ذهب معها إلى المكتب الخالي لإحدى صديقاتها، وممارسة الحب معها. ذلك الانسجام الشهواني معها كان كافيًا ليعتبر الأستاذ نفسه مريضًا ميؤوسًا من حالته.

لُقبلة الحب الأولى القدرة على تحطيمك لما تبقى من حياتك. كم مرة ردد تلك الجملة لطلابه؟ الحب معدٍ مثل الطاعون. تركت "تشيتشيليا" نفسها بين ذراعيه بعشق، فكانت وسيلته الوحيدة لتحسين نفسه ضدها أن يفعل شيئاً يوقف تلك الحميمية التي تنمو بينهما. حاول "سيربييري" بيأس أن يختبئ في خندق مثل الرجل الأخير في حصن محاصر. هناك أمل في إنقاذه، لكنه يعلم أن هذا لن يتحقق إلا باتخاذ قرار عدم رؤيتها مجدداً أبداً، وهو قرارٌ صعب التحقيق.

سار "فيدريكو سيربييري" بخطوات سريعة مرتدياً سترة رياضية لونها أزرق وكحلي، وحول رقبتة كوفية من الكاشمير لونها رمادي كالدخان، ساهمت بطريقة كبيرة في زيادة جاذبية عينيه الزرقاوين.

كانت الساعة الخامسة صباحاً تقريباً عندما وصل إلى كورنيش نهر "التير". بحث عن مكان يجلس فيه لإراحة جسده المرهق قبل صعوده إلى تل "چانيكولو". لم يبال بظلام الليل حوله. تجاهل نساء الليل اللاتي عرضن عليه خدماتهن الجنسية، وأحبط دون أن يدري محاولة سرقة إحدى السيارات، كما تعثر دون أن ينتبه في أحد المشردين النائمين في الظلام. لعشر ثوانٍ فقط، جعلته صورة أرداف "تشيتشيليا" في مخيلته طليقاً. فجأة تحولت أفكاره إلى "چوليا" و"أوديليا". سمح والدا "چوليا" لها بالنوم مع الطفلة عندما يكون الأستاذ خارج المنزل، وفي تلك الحالة يصبح المقابل المادي الضعف. هكذا لم يعد حلم "چوليا" بزيارة غابة الدب الكبير مجرد حلم، وهو ما أسعد "سيربييري" كثيراً من أجل تلميذته. فجأة، عادت "تشيتشيليا" تحتل أفكاره. اقتحمت تفكيره فجأة، وبدت محاولاته لإخراجها من تفكيره عملية ميؤوس منها.

ظل الأستاذ يمشي حتى وجد نفسه وسط منطقة "مونتيڤيدي"، انطلق منها متجهاً إلى منطقة "تراستيڤره". كانت بعض المحلات قد فتحت أبوابها، وفكر الأستاذ أن الوقت المناسب قد حان لإجراء مكالمة تليفونية.

كان الدكتور "كونسورتي" في المستشفى بالفعل وبسماعه صوت الأستاذ المتوتر، أخذ على الفور وضع التأهب. كان المريض الخاص به يطلب جلسة طارئة. تفحص "كونسورتي" أجندته، لكن عندما فاجأه الأستاذ بأزمته الجديدة، تغير تصرفه على الفور. هناك خبر مهم؛ فـ"فيدريكو سيربييري" دخل مرحلة العشق مجدداً. جاء رد فعل الطبيب النفسي على ذلك الخبر كما لو كان أحد المرشحين لجائزة نوبل، لم يرفض فقط مقابلة المريض في ذلك اليوم، لكن أخبره بأنه بذلك يمكن وقف العلاج نهائياً.

أصبح "سيربييري" في وضع صعب بعد فقدانه آخر طوق نجاة له. حاول أن يعترض، أو على الأقل أن يدعم موقفه بأي حجة، لكنه وجد الطبيب ثابتاً على موقفه. ولكي يطمئن الطبيب مريضه، لجأ "كونسورتي" إلى مبادئ الطب التجانسي، وهو ما يعني أن العلاج يجب أن يحمل أعراضاً مشابهة لأعراض المرض، لكن يسهل التحكم فيها. وبالتالي فإن كان ما يضعف "سيربييري" هو الحب، فأفضل طريقة لعلاجيه هو تركه يخوض قصة حب مشتتة.

لم يثق "فيدريكو سيربييري" أبداً في علاج الطب التجانسي، ولم يشعر بالطمأنينة على الإطلاق، لكن في النهاية، وبعد عشرين دقيقة من جلسة تليفونية مليئة بالمعاناة، اقتنع بالخضوع لإرادة الطبيب. لم يكن الطبيب أقل تألماً من المريض بسبب ذلك الانفصال المفاجئ، فقد كان يشعر بعاطفة أخوية تجاه الأستاذ، لذا قبل أن يُنهى المكالمة التليفونية، وضع في اعتباره أن إنهاء العلاقة به كمريض يعطيه الفرصة كي يفوز به كصديق، لذا دعاه على العشاء في إحدى أمسيات الأيام التالية هو ورفيقته الجديدة. وأخيراً تشجع الدكتور "كونسورتي" ليخبر أحد أكثر مرضاه معزّة بأن زوجته تعد طبّقاً ممتازاً من الدجاج البارد، ثم ألقى عليه التحية مجدداً متمنياً أطيب الأمنيات له.

اتجه الأستاذ نحو إحدى محطات الأتوبيس، مقهوراً روحياً ومنهكاً جسدياً، لكن هذه التمشية السريعة أفادته بطريقة ما، فقبل أن يعود إلى المنزل كان قد اتخذ قراراً لا رجعة فيه. عاد "فيدريكو سيربييري" إلى المنزل أخيراً حوالي الساعة التاسعة صباحاً. كان مُتعباً أشعث الشعر وقميصه يخرج من بنطلونه. كاد يدهش السنجاب الطائر الصغير بقدمه اليمنى عندما خطا داخل شقته التي خيم عليها الظلام.

كان ذلك الحيوان الصغير يتجول في أرجاء المنزل بحرية، لكن حجمه الصغير جعل حياته دائماً في خطر. أمّا الأرنب فوقف متغطرساً وسط الصالة منهمكاً في قرقضة كتاب "مقال عن المنهج" لـ"ديكارت". جرى "فلاك" نحو صاحب المنزل وهو يهز ذيله، فبدا كما لو أنه يعتذر عن الأفعال المحزنة لأبناء جنسه، ثم ظهرت "أوديليا" التي عاتبت الأرنب عتاباً عنيفاً قبل أن تلقي التحية على والدها:

- بابا كان يحرص بشدة على ذلك الكتاب، لم يكن عليك أن تأكله، فأنت لديك الجزر والكرفس. لماذا تفعل هذا؟

ظهرت بعدها "چوليا" على الفور مرتدية الزي الرياضي، بدا الشعور بالذنب عليها واضحاً، فقالت:

- يؤسفني هذا، كانوا يتصرفون دائماً بشكل جيد، لا أعلم ماذا حل بهم هذا الصباح. بدا منزل "سيربييري" كأحد مواقع تصوير "ناشيونال جيوغرافيك"، لكنه لم يبد أي رد فعل بخصوص الأمر. قام بمواساة "چوليا" التي بدت في قمة الأسف والندم. وقام بتهديئة غضب الصغيرة "أوديليا"، وبهدوء أخذ بين ذراعيه بشيء من الصعوبة الأرنب المزعج. ثم قال:

- عزيزتي، لا تنزعجا، فمعايشة الحيوانات مليئة دائماً بهذه المفاجآت.

ابتسم لهما ابتسامة مرهقة، ثم اتجه نحو غرفة المكتب الخاصة به وهناك أغلق على نفسه بالمفتاح. كانت "جوليا" مرتبكة بسبب ذلك التصرف وركضت الطفلة لتحتمي في حضن جليستها، قائلة:

- "جوليا"، بابا غريب. ماذا به؟

أخذتها "جوليا" من يدها وقالت لها:

- ربما يكون متعباً فقط. سترين أنه عندما ينام قليلاً سيصير بحالٍ أفضل.

لم تكن مشكلة بالنسبة للفتاة أن تُطمئن "أوديليا"، لأن الطفلة كانت تثق في كل ما تقوله، لكن الأصعب هو أن تتقبل فكرة بأن يكون الشبح الذي دخل المنزل قبل عدة دقائق هو الأستاذ "سيربييري".

بعد ليلته الصاخبة، رقدَ "إرنستو" على سريره ناظرًا إلى السقف، تائهاً في مجموعة من الأفكار المعقدة. تخلص من آثار الثمالة بسرعة، لحسن الحظ لم يترك النبيذ ذو الجودة العالية أي آثار غير مرغوب فيها عليه. كان واعياً وبقظاً.

لم يكن يفكر في "جوليا" ولا في واجب اللغة اليونانية ولا حتى في الإلهام الشعري الذي توقّف دون إيجاد علاج لذلك. كان "إرنستو" منزعجاً من قوة المصادفات وكيف تتداخل مصائرنا جميعاً. فمن بين كل هؤلاء الرجال الذين يعيشون في تلك المدينة، وقعت والدته بسرعة لا مثيل لها في حب "فيديريكو سيربييري" على وجه الخصوص. صحيح أن "إرنستو" كان يتمنى أن تدخل والدته بكل كيائها في حالة غرامية جديدة، لكن إن كان اختيارها قد وقع على شخص يرش طارد الحمام حتى يبعد عنه النساء، فقد كان من واجبه كابنها أن يحميها.

سمع ضوضاء صادرة من المطبخ فنظر إلى المنبّه على الكومودينو، أشارت الساعة إلى

11:35 في يوم الأحد الهادئ المشمس.

ارتدى قميصًا ثم اتجه بخطوات سريعة إلى المطبخ، غشيته هالة من الضوء ووالدته تقف وسطها. بدت "تشيتشيليا" في حالة من الحيوية والنشاط كفتاة صغيرة، وهي تقوم بإعداد الطعام على البوتاجاز مرتدية الملابس الرياضية. كانت توجد على السفرة وجبة إفطار دسمة، وبحركات رشيقة صبّت قليل من القهوة الأمريكية في فنجان.

- صباح الخير يا حبيبي، هل تريد قهوة باللبن؟

ابتسمت له بمجرد أن رأيته.

- يوجد توست ومرّي تين وأيضًا بيض مقلي.

في الأيام الأخيرة ظل مزاج والدته يتغير كثيرًا، فأحيانًا يجدها "إرنستو" حزينة، وأحيانًا أخرى يجدها في قمة الحماس. كانت تغيراتها المزاجية حادة، فإما يكون مزاجها رائعًا تمامًا وإما متعكرًا تمامًا، وكأنها من الشخصيات ذات المزاج المتقلب.

تحدثت "تشيتشيليا" بصوتٍ خافت، بينما تغسل فنجانًا في حوض المطبخ:

- أنا ذاهبة لأجري قليلًا فالجو رائع.

قال "إرنستو":

- انتظري لحظة، يجب أن أقول لك شيئًا مهمًا.

عبس وجه "تشيتشيليا" للحظة وقالت:

- هل عليّ أن أقلق؟

جلس الابن والأم، كل منهما أمام الآخر.

- اسمعي يا أمي، بمناسبة ما حدث مساء أمس...

قاطعته "تشيتشيليا" على الفور:

- "إرني"، اسمعني، ليلة أمس كنت مع رجل. أظن أنك فهمت هذا، لكن ما زال الوقت مبكرًا كي أحدثك عنه.

ظن "إرنستو" للحظة أن حدقتي عيني والدته اتسعتا مثل عيون القطط، فبدت أجمل من المعتاد.

- ماما، أنا سعيد أنك وجدت شخصًا ما، لكن...
أوقفته "تشيتشيليا" مجددًا:

- حتى هذه اللحظة يمكنني فقط أن أقول لك إنه شخص رائع، أحب الاستماع إليه عندما يتحدث ويعجبني ما يقول، ونضحك معًا كثيرًا؛ وهذا ليس بالشيء القليل. ألا ترى ذلك؟
كان واضحًا لـ"إرنستو" أن كل ما يقوله لن يلقى آذانًا مصغية من والدته، لذا قرر أن يبدأ حديثه من النهاية ويصارعها بحقيقة الوضع.

- هل تذكرين تلك الرائحة الفظيعة على معطفك ليلة أمس؟
حدقتُ "تشيتشيليا" فيه بعينين فاترتين، ووجهها مُضيء. شعر الفتى بأن هناك ضوءًا ينبعث من وجه أمه ويصيبه بحرارته.
ردت "تشيتشيليا" مرحة:

- تلك الحمافة لم تعكّر صفو الأمسية بالنسبة لي بالتأكيد!
- لكنك لا تعرفين شيئًا عن ذلك الرجل و...

قاطعته والدته مرة أخرى قائلة:

- عندما تقابل شخصًا يشعرك بالطمأنينة، يصبح الأمر كالمعجزة، وأنا على استعداد تام لتقبُّل هذه المعجزة.

ابتسمت "تشيتشيليا" واثقة من كلماتها فقرر "إرنستو" تركها لحالها. الآن يوجد حاجز يفصل بينهما، حاجز وضع كل واحد منهما في نصف مختلف من الكرة الأرضية. ولأنه يعرف كيف يشعر المجروحون عاطفياً، أحس "إرنستو" بنفسه مشاركاً في كل هذه الأشياء الغريبة التي تحدث.

كما لو أنها استيقظت لتوها من حلم، عادت "تشيتشيليا" إلى واقع المطبخ وإلى الإفطار الموضوع على السفرة وابنها أمامها يجمع أغراضه. في تلك اللحظة خجلت من نفسها، وتذكرت كيف يعيد العشق الفرد إلى عز شبابه.

- "إرني".. اعذرني على هذا الهديان السخيف، كنت تقول لي شيئاً بخصوص معطفي.
غرس "إرنستو" الملعة في مربى التين وأعادها إلى فمه ولعقها من الناحيتين، ثم وضعها، وابتسم إلى والدته ونهض متجهاً إلى غرفته. وقال:
- آه.. نعم، معطفك.. غداً يمكنني أن أخذه إلى المغسلة، سأمر من أمامها في كل الأحوال.



أبريل

فيروس مُميت



كان "فيدريكو سيربييري" يشعر بالسوء يزداد يومًا بعد يوم. خشي من استسلامه لمشاعره. ذلك التحوُّل في مشاعره لا يشعره بالراحة. كان يريد أن يهرب من المجتمع البشري كله. لم تحسَّن الطبيعة التي تزدهر بعدة ألوان والمناظر الخلابة حوله من حالته. فكل شيء يتآمر ضده حتى ضوء الصباح الباكر بدا وكأنه يحاول إحباط كل محاولاته لهجر العشق. وعلى الرغم من مبادئه، لم يستطع الأستاذ أن ينجح بأي طريقة في البقاء بعيدًا عن "تشيتشيليا".

ففي الأيام التي كان من المفترض أن يتقابل فيها، كان الأستاذ بعد أن يكون قد اختار أفضل معاطفه المصنوعة من الكتَّان والقميص المكوي والحذاء المناسب، يتوقف فجأة عن كل تجهيزاته. فما إن يصل إلى السلم، حتى يتراجع إلى الخلف مسرعًا ويغلق على نفسه البيت، ثم يأخذ على الفور مهدئًا، بعدها يحاول - مثل "أوديسيوس" وهو محاصر من عرائس البحر - أن يقاوم بعدة طرق عواطفه التي تغريه. كان يستمع إلى ألبوم "بوهيم" بصوت مرتفع للغاية، أو يصحح بعض الواجبات، أو ينظف بجنون فروة "فلاك" المسكين. كلها محاولات يائسة يقوم بها كي يشغل ذهنه ويتخطى موعد لقائه مع "تشيتشيليا".

فجأة، يخطر في باله احتمالية أن يفقدها، وعندئذٍ يأتيه القلق مصحوبًا بالذعر. فكان يوقف كل ما هو منشغلٌ به ثم يخرج دون معطف، وقميصه مكرمش، وحذاؤه غير ملمع. بعدئذٍ يجد "تشيتشيليا" دائمًا هناك، بنظرتها اللامعة، في مكتب صديقتها الذي أصبح مخبأهما. كانا ينزعان ملابسهما في ثوانٍ قليلة ويمارسان الحب لفترة طويلة حتى يتعبا، ثم يستأنفان ذلك مجددًا، ويستمران على هذا المنوال طوال فترة الظهيرة.

يعود فضل تلك الطاقة الجنسية إلى الصيام الجنسي الطويل الذي قادهما دون أن يشعرا لدرجة أنهما قاما بأوضاع أكثر اشتعالًا، وفي أكثر من مرة تأكد "سيربييري" من أن البقعة "جي" موجودة بالفعل. كان ذلك يبدو قمة السعادة الغرامية لكليهما، ومع ذلك عندما كان يتوقفان عن ممارسة الحب، كان كلٌ منهما يحتضن الآخر. وفي لحظات الصمت تلك، كانت "تشيتشيليا" تفهم المعاناة الداخلية للرجل المستلقي بجوارها.

لم يرتح "فيدريكو سيربييري" في السرير مطلقًا، فهو يشعر بأنه كاذب، كما أن تلك النظرة الحزينة، وأحزانه التي بها شيء من الإحباط، والدموع التي تملأ عينيه فجأة، كل هذا كان دليلًا واضحًا لـ "تشيتشيليا" عن معاناته. لم يكن لكلٍ منهما زوج أو زوجة لخيانتهما، ولم يشكل أولادهما مشكلة لهما، حيث تقابلا في العمر المناسب، بعد أن التأم جراحهما، إذًا فما المشكلة. كما أنه من المحتمل أن كلًا منهما كان يبحث عن الآخر منذ زمن بعيد. لم تفهم "تشيتشيليا" عل الإطلاق لماذا لا يستمتع عشيقها مثلها بهذه الفرصة الرائعة.

قال "سيربييري" لها في أحد الأيام بينما يرتدي ملابس:

- عزيزتي "تشيتشيليا"، لن آتي إلى المدرسة لبعض الوقت، لقد طلبت إجازة.

كانت "تشيتشيليا" لا تزال عارية تحت الملاءة، لكنها بسماعها ذلك الخبر انتفضت واقفة مثل الدمية التي تخرج فجأة عند فتح صندوق الموسيقى الصغير.

- لم تقل لي شيئًا عن ذلك من قبل.. هل حدث شيء؟
يمكنها أن تقسم على أن لا شيء يمكنه أن يفرّق بين "فيدريكو سيربييري" والتدريس سوى الموت.

اقتربت من عشيقها محاولة أن تجعله ينظر إليها.
- إِذَا؟
كان الأستاذ يزرر قميصه وهو ينظر إلى الأرض.

- اسمعيني، أحتاج إلى الوحدة.. حتى أفكر في أمرنا نحن الاثنين، وفي هذه النار التي تلتهمني ولا تتركني في سلام.

اعتادت "تشيتشيليا" على اللغة المجازية التي يتحدث بها "سيربييري"، فقالت:
- لست متأكدًا من أنك تحبني. الأمر بسيط وواضح.
حمل الأستاذ يد عشيقته إلى شفتيه، يائسًا.

- يا محبوبتي، لا تفكري في هذا ولو للحظة. أطلب منك فقط أن تتركي لي الوقت كي أفهم مشاعري بشكل أفضل.

كان بوسع تلك الشكوك أن تجرحها، لكن "تشيتشيليا"، على العكس، أصابها الفضول ولم تقلق بشأن ذلك على الإطلاق.

- أنفهم ذلك؛ فمعرفتكَ كانت أمرًا مفاجئًا لي أيضًا. خذ كل الوقت الذي تحتاجه.
بعد أن ارتفعت معنوياته بسبب رد فعلها الهادئ هذا، انتهى "سيربييري" من ارتداء ملابسه وانطلق نحو الباب. "تشيتشيليا" تعرف أن نيته ليست سيئة، وأنه لا يفعل هذا طمعًا في جسدها، ففي كل مرة كانت تنظر إليه، يزيد تأكدها من سلامة نيته.

- انتظر يا "فيدريكو".

أخذت "تشيتشيليا" كوفيتها ولفتها حول رقبتها.

- احملها معك. أرجوك.

ثم قبّلتها برقة على شفّتيه. رد "سيربييري" القُبلة، بينما يسحب الكوفية الحرير من رقبتها بيده، ثم ابتعد عن فم "تشيتشيليا"، ووضع الكوفية في جيبه مستسلمًا استسلام شخص محكوم عليه بالإعدام شنقًا ويحمل معه الحبل الذي سيُشنق به. بعد تلك القُبلة الأخيرة، خرج "فيديريكو سيربييري" من مخبأ الحب وبقيت "تشيتشيليا" هناك وحيدة.

في صباح دافئ لأحد أيام الربيع، أخذ "جيبّو" ينظّف صورة "أوديليا" بعناية وحب بمنديل بلّله بلعابه. جلس "بييترو" في المقعد الأول، بحوزته مسطرة وقلم رصاص، كان يدق الكتاب وحقية الظهر كما لو كانا طبلتين. على الرغم من انشغاله بما يفعله، إلا أنه كان يقظًا ويتابع بتركيز ما يفعله زميله.

توقف "بييترو" عن دق كتابه وحقّيته، وقال:

- هل يمكنني معرفة ما تقوم به؟

أجابه "جيبّو" دون أن يتوقف عمّا يفعله:

- إن تركها هنا فسيعود عاجلاً أم آجلاً. أليس كذلك؟

ظل "بييترو" مندهشًا من الإخلاص والتفاني اللذين يحملهما صديقه، المعادي دائماً

للعواطف، لذلك البرواز الذي يملكه "فيديريكو سيربييري".

قال "بييترو":

- لعله تركها ذكرى، لو أن لديه الأصل.

تدخّل "بييرلويجي" في الحوار قائلاً:

- أخيرًا، تركنا وذهب.

في اللحظة نفسها وقع بصره على "چورچو" الذي بمجرد أن دخل، وضع حقييته تحت المكتب.

بات واضحًا للجميع أن الأستاذ لن يدخل الفصل اليوم أيضًا. جلست "مارتا" في آخر الفصل تقرأ لإحدى زميلاتها موضوع التعبير الذي كتبتة عن الخيانة. كان معدًا ومنظمًا بشكل جيد، لكن الطالبة أدركت بشيء من الأسى في ذلك اليوم أنه لا يوجد مَنْ يمتدحها على ذلك العمل.

على بعد أمتار قليلة، تحلقت مجموعة من الطلاب حول مقعد "جوليا"، كانت تحت الاستجواب الشديد.

- ليس لديّ ما أخبركم به؛ فهو لم يخرج من مكتبه لعدة أيام الآن، وغالبًا يتناول وجباته بالداخل. على أي حال، أنا لا أقابله قط. والآن كفوا عن الوقوف عندي.

في اللحظة نفسها التي نهضت فيها "جوليا" غاضبة من ذلك الحصار، دخلت امرأة شديدة النحافة في الثلاثين من العمر تقريبًا. ألقت التحية دون أن تنظر لأحد، ثم اتجهت مباشرة إلى مكتبها. استقبلها الطلاب ببرود و"چورچو" كالعادة سبق الآخرين ورحب بها على طريقته، قائلاً:

- أستاذة، حضرتك أخطأت الفصل.

تفحصته المرأة من فوق نظارتها.

- لا أظن ذلك على الإطلاق، فأنا الأستاذة الاحتياطية لفصل 3/2. أليس هذا هو فصل

3/2؟

اندهشوا من كلامها، فوجود تلك الدخيلة يؤكد طول فترة غياب "فيدريكو سيربييري"، لذا فهم لم يرحبوا بهذا الخبر الجديد.

- أستاذكم ليس بحالة جيدة، ولحين تعافيه سأكون أنا معكم.

وقع نظرها على البرواز وبه صورة "أوديليا"، أخذته بين يديها مندهشة وسألت:

- ومَن تكون هذه؟

ارتفعت صرخة من المقعد الأخير:

- لا تلمسيها!

اندفعت "مارتا" نحو مكتب الأستاذة ونزعت من يدها البرواز، ووضعت صورة الطفلة في الدرج. تراجعت الأستاذة مفزوعة، بينما عادت الفتاة إلى مكانها بعد هذه الحركة الخاطفة.

أخبرها "چورچو" بكل هدوء:

- هذا الشيء ملك لأستاذنا.

ظلت المرأة في حالة من الفزع، فتلك الطالبة انقضت على البرواز كما لو كانت أحد فرسان الهيكل وهو ينقض على الكأس المقدسة. على أي حال تلك الفتاة فعلت ذلك دون أدنى احترام لأحد أعضاء هيئة التدريس.

سألت الأستاذة البديلة بكل حسم، مصممة على ألا يتم ترويعها:

- عند أي درس توقفتن في المقرر؟

همس "بييترو" بشيء في أذن "چورچو".

قالت المدرسة:

- يا أولاد، لا أظن أنني طرحت عليكم سؤالاً معقدًا. أليس كذلك؟

استقيظ "ماركو" فجأة وتحدث بصعوبة بفم متلعثم:

- العلاقة بين اثنين مرتبطين والخيانة.. نحن هنا...

ثم أكمل نومه.

- يبدو أنني لم أفهم.

عبست الأستاذة، فقد كان أولئك الأولاد أكثر غرابة مما سمعت عنهم، ثم أخذت تنظر في ساعتها بقلق. تولى "چورچو" زمام الأمور ذلك الصباح وقال:

- الأستاذ "سيربييري" قسمنا إلى مجموعات دراسية. أنا أعددت بحثًا عن الاقتصاد في ولايات الجنوب أثناء الحرب الأهلية الأمريكية، وكان من المفترض أن أعرضه اليوم على زملائي. أشارت الأستاذة البديلة بالموافقة على استحياء وتركت المساحة للطالب ذي الزي المهندم والواثق من نفسه، والذي ذكَّرها بشكل مخيف بالمشرف العنيد الصعب الذي ناقشها في بحث التخرج. قالت:

- إن كان الأمر هكذا، فحسبًا... تفضَّل، قف أمام المكتب.

بمجرد أن بدأ "چورچو" الحديث، حتى أخذ "بييرلويجي" يقوم بكل طريقة إزعاج ممكنة من قهقهات وتعليقات بصوت مرتفع ومقاطعات متكررة غير مناسبة. في النهاية، نجح في تحقيق غايته وطردته الأستاذة الشابة خارج الفصل، ثم أرسلت أحد زملائه لاستدعائه، لكن لم يعد هناك أي أثر لـ "بييرلويجي" فلاميني" في الممر. بعدها بقليل، لمحتة "مارتا" من النافذة واقفًا في الشارع يتحدث مع أحد مروجي المخدرات الصغار في الحي. قمت أن يبقَى ذلك الزميل المزعج في مكانه طول النهار، ويا حبذا لو بقي أطول فترة ممكنة حتى يأتي البوليس ويقبض عليه.

بينما يستكمل "چورچو" درسه ويتابعه زملاؤه مستسلمين، كان الناظر في الطابق الأسفل يفكر بتأمل في توالي المصائب عليه. كان أفضل الأساتذة في المدرسة يتساقطون كما لو أن وباءًا قد أصابهم؛ فهو لم يكد ينتهي من الشعور بالبهجة بسبب عودة "تشيتشيليا باساني" حتى مرض "فيدريكو سيربييري" فجأة. كان بين هذين الاثنين كثير من الأشياء المشتركة: حب التدريس، والإعداد

الذي لا يمكن الجدل فيه، وللأسف، سهولة التعرض للأمراض. لا بد أن صحة الأستاذ "سيربييري" في حالة سيئة للغاية حتى يطلب إجازة وامتحانات الثانوية على الأبواب. كانت هناك حاجة كبيرة إلى توازنه الملائم للأمور، ثم إنه حقق معجزة حقيقية في فصل 3/2. أولئك المشاغبون كانوا يتعلمون في الواقع بطريقة دراسية جامعية، وكونه ناظرًا شعر بكبريائه في حالة ازدياد.

وقف يتأمل الفناء الجديد للمدرسة، فناء بسيط ومحدد ومناسب جدًا لمعهد ذي مستوى معين، مثل مستوى "مدرسة مورجانتة". على اليمين، وقف بعض أولياء الأمور انتظارًا للقاء الأساتذة. العديد من العائلات لديها أكثر من ابنٍ ملتحق بالمدرسة. بدأ الناظر يتخيل مشروعًا للأعوام المقبلة. بما أن الأستاذ "سيربييري" له فائدة قيمة للغاية، فيجب استغلال وجوده بأكبر شكل ممكن. فهو مثل الدواء الذي يشفي من أمراض مزمنة. كانت الفصول المشاغبة تستفيد من أسلوبه، وبالتالي تستطيع المدرسة الانتفاع بهذا وزيادة عدد الملتحقين. عليه فقط انتظار عودته وإيجاد طريقة للإبقاء عليه في المدرسة.

لم يتخيل "فيدريكو سيربييري" وهو يسكب بعض الحليب في فنجان ابنته أنه يجسد الآمال الكبيرة لمدير المدرسة. لم يتغيب سوى أيام قليلة، لكن ضميره كان يؤنبه لهروبه.

قالت "أوديليا" وهي تضع قطعة من البسكويت في فمها:

- أنا سعيدة لأنني لم أعد أذهب إلى تلك الحضانة.

رد عليها والدها وهو يضع الزبدة على قطعة من الخبز:

- وأنا سعيد لأنني أقضي وقتًا أكثر معكِ.

- جميعهم كانوا سخفاء.

- إضافة إلى ذلك كان ينقصهم الحس الجمالي.

شرب الأستاذ الشاي الخاص به.

قالت الطفلة:

- يقولون إن "جوليا" هي مَنْ رسمت هذه الرسومات.

- في تلك الحالة فإن "جوليا" ماهرة جدًا، هل لاحظتِ الدقة والجمال التي رسمت بها آثار

الأقدام الصغيرة تلك؟

- كانت جميلة للغاية. لقد تعرفت على كل الحيوانات. هل تعرف ذلك؟

- أنا سعيد بذلك.

قَبْلَ الأستاذ رأس ابنته. ركضت الطفلة إلى غرفتها لتحضر ألوانها، بينما أعاد "سيربيري" التفكير في رسمة الحائط التي عرَّبت المديرية عن غضبها بخصوصها بحدّة غبية. تلك البقع الداكنة تخفي رسالة قوية.

"جوليا" فتاة رائعة مثل كثيرين من زملائها. كان متألمًا لأنه خيب آمالهم، لكن الأزمات تتلاحق بكثرة وبسرعة.. تقريبًا كل ثلاثين دقيقة. فبينما كانت "أوديليا" منهمكة في اللعب، كان يهرول إلى دولابه ليأخذ الكوفية التي تركتها له "تشيتشيليا"، ويغرق وجهه فيها ليستنشق رائحتها بجشع شخص مريض. كانت أزمات الصيام عن الجنس تضربه في لحظات غير متوقعة.

لو أن طلاب 3/2 شاهدوه في تلك الحالة، لفهموا خطورة الموقف. لم يكن صغاره يستحقون أن يُتركوا وحدهم، لكن كيف يمكنه إفادة غيره وهو في تلك الحالة؟

مايو

الحب لم يعد مناسبًا



تعبت "تشيتشيليا" من الانتظار. فالفترة التي أخذها عشيقها للتفكير طالت أكثر مما هو متوقع، ومرور أسبوعين كاملين دون معانقته يفوق احتمالها. وهكذا بعد أن غلبتها لوعة الاشتياق، في يوم من أيام الربيع المضيء بشكل غير عادي، وصلت "تشيتشيليا" سيرًا على الأقدام إلى منزل "سيربييري" ووضعت في صندوق البريد رسالة قصيرة، لكن ضرورية: "فيدريكو، يجب أن أراك على الفور، لقد حدث أمر ما".

إن لم يُجب عليها خلال يومين، ستستنتج "تشيتشيليا" بذلك ما يثير قلقها. وجد الأستاذ رسالتها في اليوم التالي. سيطر عليه القلق، فاتصل بها على الفور. وبعد أن اطمأن من أنها بحالة صحية جيدة، وافق على مقابلتها ظهيرة ذلك اليوم نفسه. كان "سيربييري" يعرف جيدًا المخاطر التي تنتظره بقبوله طلب مثل هذا، لكنه متأكد من نجاحه في عدم خوض تلك المرحلة من جديد. فبعد أسبوعين من البعد، أمل في تحصين نفسه من حبها. وهكذا خطط في ذهنه المرتبك بأنه يقابل "تشيتشيليا" فقط ليخبرها بنهاية حالة إدمانها غير الصحية.

استمر على قناعاته هذه طوال المدة التي استغرقها مشيًا حتى منطقة "چانيكولو". لكن، عندما لمح "تشيتشيليا" مقبلة عليه في زيٍّ أبيض من القطن الخفيف، ودون أي مساحيق تجميل، وتشع منها العواطف مع المدينة في خلفيتها وكأنها إطارٌ لجمالها، أدرك بشيء من المرارة أن الموت فقط هو مَنْ سيحرره من ذلك الارتباط.

شعرت "تشيتشيليا" بالفرحة الغامرة، وبنظرتها المغرمة، قالت بلا مقدمات:

- اكتشفتُ شيئًا مهمًّا يا "فيدريكو". أنا لا أستطيع الحياة بعيدًا عنك.

كان اعترافًا بالحب، لكن أمام عقل "فيدريكو سيرييري" المعتقد بدا طلبًا يائسًا لمساعدته، فأحس تجاهها بحنان لا نهاية له، لكنه يعلم أنه لا يستطيع تقديم العون لها، لأن الفيروس نفسه قد أضعفه وانتصر عليه المرض. امتلأت عينا الأستاذ بالدموع، والسعادة والألم، ودون أن يتفوه بكلمة احتضنها بقوة لدرجة أنه كاد يخنقها.

كان مطعم "ريثولي" مغلقًا للإجازة يوم الأربعاء. يمكنك رؤية الموائد مفروشة بأدوات المائدة، والمطبخ الواسع مرتبًا وبه الأدوات مغسولة وفي مكانها، أمّا الثلاثجات فدائمة العمل وعيون البوتاجاز لامعة، فقط الجزء الأخير من مائدة الطهي الذي توضع عليه الأطباق الجاهزة كان يقدم في تمام الساعة الثالثة عصرًا لذلك اليوم شيئًا غير عادي.

كانت "ماريكا" - بجانبها الضخمين اللذين لم يسترهما سوى مريلة كاروهات - جالسة وساقها منفرجتين على حافة الطاولة، وأمامها "جيتو" ببنطاله الساقط حتى رجليه يندفع بطاقة داخلها.

بدأ الاثنان بلعبة الطاوية والزبون، وبسرعة انتهى بهما الأمر متشابكين فوق الموقد.

- ضمنى إليك.

كانت الأوكرانية المتينة تصيح باستمتاعها، وعلى الرغم من أن "جيبو" لم يسمعها جيداً بسبب خلل في طبلة أذنه، فإنه كان يحاول جاهداً إمتاعها. كان العاشقان في حالة تناغم وقد وصلا إلى قمة المتعة عندما أخرجهما الصوت المزعج لتليفون محمول من حاتهما. عند الرنة الثالثة أخرج "جيبو" وهو يلهث تليفونه المحمول من جيب بنطلونه الجينز بعد محاولات صعبة.

- "چو" .. جئت في وقتك.. نعم. هل تظنني نسيت؟ سأصل في الحال.

أنهى باستعجال المكالمة، ورفع بنطلونه ثم ساعد "ماريكا" في إعادة تهيئة نفسها وملابسها، ثم تبادلا القُبلة الأخيرة كما لو كانت عضةً ثم اتفقا على موعد لقاء جديد في الأربعاء التالي.

كانت لـ"چورچو" أسبابه كي يقطع اللقاءات الشهوانية لـ"جيبو"، فهو ينتظره منذ أكثر من نصف ساعة أمام معهد علوم الحاسبات "فورماتريه"، وبعد أن انتهى من قراءة دراسة قصيرة لـ"جرامشي" كاد يتصل بصديقه للمرة الألف، عندما شاهده قادماً من بعيد مرتدياً معطفاً بندقي اللون وبخطوات وقفزات غير منتظمة.

اتجه "چورچو" نحوه وهو يتأمل ملابس صديقه الغريبة. كانت خصل شعر "لويجي ريشولي" - الذي جعلها السشوار لامعة - تبدو كعرف الديك، أعطته ملابس لهجة من الرصانة، حيث ارتدى معطفاً ضيقاً يحدد شكل جسده، وتحت قميص برتقالي خفيف، ياقته طويلة بشكل مبالغ فيه، وكرافته زرقاء اللون. كل هذا لم ينجح في إنقاذ الموقف والمنظر العام.

سأله "جيبو" على الفور:

- كيف أبدو لك؟

فَكر "چورچو" أن هذه ليست اللحظة المناسبة لتوبيخ صديقه الذي لا يثق كثيراً في نفسه، فقال:

- أنت في أفضل حال.

- هكذا أفضل.

- "جوالتييري" ينتظرك. هل أنت مستعد؟

كان "جيبو" قلقاً بسبب هذه المسؤولية التي تحملها، لكن "چورچو" كان مقتنعاً من أن صديق والده، عميد معهد علوم الحاسبات، سيستخلص بعض المميزات الجميلة عند مقابلته موهبة ربّانية مثل "لويجي ريفولي". أمّا "جيبو"، فكان واثقاً من أنه عندما يقدم "چورچو" العون، فهذا يعني أنه جاد إلى أقصى حد.

صحه "چورچو" حتى السلام، وبعد أن أوماً لصديقه عرفاناً بالجميل، قرر "جيبو" الصعود وهو يحاول جاهداً السيطرة على قلقه.

قرر "چورچو" انتظار صديقه في أحد المقاهي ومعه اللاب توب الخاص به، حيث كان ينوي إنهاء بحث صغير عن الثورة الأمريكية. وبعد ذلك بساعة إلا الربع وصل "جيبو" ليقف خلف ظهره.

سأله "چورچو" بشيء من القلق:

- إذّا ما الأخبار؟

- سارت الأمور بشكل جيد جداً، "جوالتييري" هذا دمه خفيف والعام المقبل ربما يقبلني عنده، ويقول إني ماهر.

- كنت أعرف أنكما ستفاهمان، فهو من النوع العملي.

تعانق الصديقان في سعادة.

- كفى حديثًا الآن عن المدرسة، فأنا على وشك أن أموت من العطش، هيا نذهب لنشرب شيئًا يهوّن علينا الشمس.
- دخلا حديقة "فيلّا پامفيلي". كان الهواء حارًا، وكان الاثنان في حالة سلام مع العالم، لأن أحدهما قام بعمل خير، والآخر استفاد منه.
- سأل "چورچو" صديقه وهو يركل بقدمه حجر صغير:
- كيف تسير الأمور مع "ماريكا"؟
- بشكل جيد. إنها تثيرني دائمًا.
- أوليس هناك شيء آخر؟
- وجّه إليه "جيبّو" نظرة لا تشوبها الهموم، وقال:
- هل تعرف أنني فكرت في الأمر؟ في النهاية أنا متفق مع "سيربييري"، فالحب لا ينفعنا بأي شكل من الأشكال.
- سمع "چورچو" في الفترات الأخيرة عددًا من التصريحات الطائشة لدرجة أن التحوّل النهائي لـ "جيبّو" إلى عقيدة "سيربييري" لم يدهشه كثيرًا.
- ربما يكون الأمر هكذا، لكنك بسبب "ماريكا" تأخرت عن موعد مهم، فمن الواضح أنك تحرص عليها.
- يجب أن تفهم أنني أحب رؤية "ماريكا" دائمًا أمامي. إنها مجتهدة، هل تعرف ذلك؟ ثم إن رائحتها تعجّبي، فهي تشبه رائحة الكراث والبصل والثوم، لا أعرف.. هي تذكرني بالأوقات التي كنت أقضيها وأنا صغير وأناام دائمًا في مطبخ المطعم.
- لكن على الأقل لديها عيب ما. أليس كذلك؟
- لا أعلم.. ربما، لكنني لم أجده بعد.

ظل "جيبو" يفكر في ذلك الأمر لبضع ثوانٍ.

- على أي حال، أنا أؤمن بما يقوله "سيربييري"، بأنه من الأفضل ألا نشق. لا بد أن هناك سببًا دفعه ليقول لنا هذا، فهو متميز جدًا ولا يمكن أن يقول ذلك بالمصادفة.

هكذا أنهى "جيبو" كلامه مقتنعًا.

كان "چورچو" مستمتعًا بحديث صديقه الذي لا يستطيع تمييز الحب، وبالتالي لديه الحرية التامة في اتباع أي نظرية تسيء للحب.

سار الاثنان دون وجهة محددة وهما يتحدثان ويمزحان. عبرا مناطق منخفضة، متذوقين لحظة نادرة من الاتحاد مع الطبيعة، ولكن لو أن "چورچو" كان يعرف ما بانتظارهما في الطريق الضيق المنعزل الذي يسيران فيه، لقام بالدوران للخلف عائدًا من حيث أتى.

كانا مختبئين خلف شجرة، منعزلين عن الآخرين، لكن ليس بما يكفي. وقف رجل وامرأة يتبادلان القُبلات بحرارة ملتهبة. وقد رآهما "جيبو" أولًا.

قال "جيبو" وهو يلقي نظرة بغیضة على العاشقين:

- "چو"، انظر هناك. هل تعتقد أنهما في مثل عمرهما هذا ليس لديهما مكان يذهبان إليه لفعل أشياء كهذه؟

- آه، ولكن عندما تسيطر عليك العاطفة في لحظات معينة فإنك تنسى كل شيء.

- تخيّل لو اتصل به صديق على تليفونه المحمول في هذه اللحظة. هل تتخيل ذلك؟

لم يتمالك "چورچو" نفسه وانفجر في الضحك. في الوقت نفسه، كان يحاول رؤية وجه الرجل الملتصق بوجه المرأة. لم يكن ذلك الأمر خيالًا، ولكن حقيقةً، فذلك العشق كان يوحى بالحرمان، لكن عندما أدار الرجل غير المعروف وجهه، ظهر وجه رفيقته. فوجئ "چورچو" بمن رآها، وكانت الغلبة أخيرًا لعنصر المفاجأة.

قال "چورچو" بشيء من العجلة:

- هيا نذهب من هنا الآن.

لكن "چيئو" ظل منزعجاً ممّا رآه.

- لا.. لا يمكن أن نتركها هكذا معه، فلنفهم أولاً ماذا يفعل بها.

بدا "چيئو" قلقاً على المرأة، لكن فضوله جعله يثبت في مكانه بلا أي نية للتحرك من مكانه.

أصر "چورچو" قائلاً:

- أرى أن الوضع مفهوم تماماً.

ثم حاول أن يجره بعيداً، ولكن في المواجهة بين فضول وقح وتحفظ النبلاء تظهر الطباع المختلفة، فبينما كان يتجادل الفتیان، أعلى "چيئو" من نبرة صوته دون أن ينتبه.

انتبه الأستاذ إلى وجودهما قبل "تشيتشيليا". وبالنسبة له كان الأمر كما لو قابل الشيطان على كرسي الاعتراف.

قال "چيئو":

- صباح الخير، يا لها من صدفة. أليس كذلك؟

حاول "چيئو" أن يتصرف بتلقائية وبيتسم أمام النظرة الحائرة لمدرسه. لاحظت "تشيتشيليا" بدهشة التعبير المضطرب لعشيقتها. كانت هي أيضاً منزعجة، فقد فاجأها صديقان لابنها وهي غارقة في العشق، وأحدهما تعرفه منذ كان طفلاً، ومع ذلك فهما ليسا سوى "لويجي" و"چورچو"، لماذا إذاً

توجد تلك النظرة المليئة بالذنب في عيني رفيقها. لم تكن تفهم لماذا ترى في نظرة رفيقها انعكاسًا لـ"تشارلز مانسون"⁽⁸⁾ وعبد الشيطان.

قال "سيربييري" بصوت خافت وعينه مملئت بالرب:

- يا أولاد اعذروني كثيرًا.

اندهش "چورچو" من رد فعل أستاذه، فالاختفاء من أمامهما على الفور هو الطريقة الوحيدة لإنهاء الأزمة الحالية.

قال "چورچو":

- اعذرونا أنتما. سنذهب من هنا حالًا. أليس كذلك يا "جيبو"؟

بدأ "لويجي ريشولي" نادماً على تطفله، لكن على أي حال، بدأ "سيربييري" يتراجع كما لو كان أمام مجموعة من الأشرار، وكأنه يريد عقاب نفسه بالجلد. أخذ الأستاذ يهمس قائلاً:

- أنا لا أستحق العفو يا أولاد، واعذريني يا "تشيتشيليا" إن استطعت...

ندم "چورچو" على عدم حصوله على رقم الدكتور "كونسورتي"، أمّا "جيبو" فلم يستطع تقبل فكرة أن ذلك الرجل المفزوع هو نفسه من دله على طريق النجاة. حاولت "تشيتشيليا" أن تجد تفسيرًا وراء ذلك التصرف الغريب للرجل الذي أغرمت به.

تحدثت إليه قائلة:

- "فيدريكو" ماذا يحدث لك؟ ففي نهاية الأمر لم يحدث شيء خطير كما تتخيل.

(8) - مجرم أمريكي اشتهر في أواخر الستينات بعمليات القتل التي قامت بها عصابته (عائلة مانسن).

طغى الارتباك على أستاذهم؛ الذي أصابته حالة عينية من الذهان أضعفت قدرته على التصرف والتفكير المنطقي، فصورته كمنقذ لهؤلاء الشباب أصبحت وهمية.

قال "سيربيري" بصعوبة بالغة:

- "تشيتشيليا"... ربما لا يمكنك رؤية هذا، لكنني رجل حقير.

ألقى نظرة بائسة على الفتیان، ثم ركض بعيداً.

نادته "تشيتشيليا" عدة مرات قائلة:

- "فيدريكو"، أين تذهب؟!

لكن كل ذلك لم يكن ذا فائدة، فقد اختفى "فيدريكو سيربيري" بين الأشجار، بينما تشبثت هي بهذين الشاهدين على ما حدث مثل غارق متشبث بصاري السفينة في مواجهة العاصفة.

قالت "تشيتشيليا":

- ماذا يحدث يا أولاد؟

كان من النادر أن يظل "جورجو" صامتاً دون أن ينطق بكلمة، لكن ما حدث أمامهم الآن كان بالفعل إحدى تلك اللحظات النادرة.

قال "جورجو":

- "تشيتشيليا".. لا أعرف ماذا أقول، فقد فاجأنا نحن أيضاً، أليس كذلك يا "جيو"؟

- تماماً، هيا يا "جو"، أخبرها بالأمر.

كان المزاج المتقلب لأفضل صديقة لوالدة "جورجو" مع عدم قدرته على الكذب خاصة أمامها هو ما جعله يحكي لها كل شيء من البداية.

قال "چورچو":

- إن "فيديريكو سيربييري" ليس بخير حال.

شحب وجه "تشيتشيليا"، وأخذت تنتقل بعينها من فتى إلى الآخر، وبتوسل، قالت:

- هل يمكن أن يكون شيئًا خطيرًا؟

- لا، ابقِ هادئة؛ فالجسد كما ترين في حالة ممتازة، ولكن...

قاطعه "جيبو" قائلاً:

- إنها رأسه التي لا تعمل جيدًا.

بدأ الظلام يهبط على الحديقة شبه المهجورة. وقف الصديقان على جانبي "تشيتشيليا"

وأخذاها تحت ذراعيهما مثل ملكين حارسين وقاداها نحو مخرج الحديقة وهما يحاولان

مساعدة خطواتها المتزعزعة.

وضع "چورچو" يده في جيبه ليخرج منديله ويتأكد من نظافته قبل أن يعطيه لها، وقال:

- إنه أستاذ متميز، لكن أفكاره مهووسة ببعض الشيء.

أضاف "جيبو" قائلاً:

- لكن طبيبه النفسي يقول إنه الآن بحالٍ أفضل...

عندما سمعت "تشيتشيليا" هذا الكلام تعرقلت لأول مرة.

حكى الصديقان القصة بداية من الدرس الأول حول مخاطر الحب. وتحدثا

عن "أوديليا" ولقائهم مع الطبيب، وعن العلاقة بين "إرنستو" والأستاذ. كان

أحدهما يقص، والآخر يكمل ما بدأه صديقه في محاولة لتسليط الضوء على الحالة

الطبيعية للأستاذ. كما ذكرنا الخطاب الكريم الذي كتبه الأستاذ لوالد "جيبو"، وإنقاذ "إرنستو" ذلك اليوم الذي فقد فيه وعيه بعد إفراطه في شرب الخمر.

بدأت الأمور تتضح أكثر أمام "تشيتشيليا"، فالرجل الذي أغرمت به لديه قلب كبير، لكنه مجنون، وبينما كانت مستمرة في سيرها بخطوات مترنحة اقتنعت بأن ذلك النوع من الرجال المعروف بالأناني الحكيم، أكثر طمأنينة. وعلى الرغم من جهود الصديقين لإيضاح الأمور لها وتبسيطها قدر الإمكان، إلا أن "تشيتشيليا" رأت الأرض تتشقق تحت قدميها وصعد يبتلعها نحو سرير من الكلبينكس مجددًا.

كانت غرفة الصالون المضيئة غارقة في صمت غير طبيعي. الستائر المغلقة منعت دخول الشمس الدافئة، والتي على الرغم من ذلك، تسلفت عبر ثنايا الستائر لتزعج "إرنستو" الذي كان يحاول أن يؤلف قصيدة في فترة الظهيرة. قاده الإلهام إلى مكتبه، لكنه سرعان ما هرب منه ليركه لأفكار أكثر واقعية. فالمأساة الدرامية التي حدثت قبل عدة أيام عند نهاية حديقة "فيليا يامفيلي" لم يعرف بها سوى الأصدقاء المقربين فقط. فضلت "تشيتشيليا" عدم الحديث عن ذلك مع أحد، وفي تلك الظهيرة بمجرد أن عادت من المدرسة، جرت لتغلق باب غرفتها عليها. وعلى الرغم من فهمه لخيبة أمل والدته، كان "إرنستو" صافي الذهن، فتلك الصدمة النفسية المؤلمة ساعدتها كي تكون صورة شاملة لطبيعة "فيدريكو سيربييري" المعقدة.

كان متجهًا إلى المطبخ، عندما سمع أمه تنادي عليه من غرفتها. كان مستعدًا لما هو أسوأ، لكن بمجرد أن دخل غرفة نومها كانت بانتظاره مفاجأة سارة. صحيح أن "تشيتشيليا" كانت نائمة على ملاء السرير، لكنها مرتدية ملابسها بالكامل ويدها رواية، لم يلاحظ "إرنستو" وجودًا للكلينكس. حدثت والدته فيه وهي تفكر بعمق.

قال "إرنستو" مدافعًا:

- حاولت تحذيرك.

اعتدلت "تشيتشيليا" في جلستها، وهي تنتزع نظارتها وتغلق الكتاب. قالت:

- لا أريد الحديث عن "فيدريكو"، عندي سؤال سأطرحه عليك.

خشي "إرنستو" من معرفة ما أرادت السؤال عنه، لكن والدته بدت واثقة وحاضرة لتشعره بالهدوء.

قال "إرنستو":

- تكلمي على راحتك.

- مع مَنْ ذاكرتم التاريخ والفلسفة طوال هذه الشهور؟

أدرك "إرنستو" النبرة الفضولية الخاصة بالأستاذة وشعر بنفسه مشفقًا على المصير الوظيفي لـ "سيربييري". ثم قال:

- ذاكر "جورجو" النصوص الجامعية لـ "سيربييري"، وفي كل يوم إثنين كان يجمعنا في منزله. ربما حكّت لك "ليفيّا" عن ذلك. كما يمكنك أن تتخيلي، نحن مستعدون لامتحان الثانوية قبلها بعام.

لم تعلق "تشيتشيليا" لأنها كانت قد كونت القصة بمفردها، لكنها رأت أنها لحظة مناسبة كي تثبت لابنها أنها على الرغم من جروحها العاطفية، فإنها لا تزال تستطيع متابعة سيره في الدراسة المدرسية. وسألته:

- وماذا كنت تفعل الآن؟

- كنت أحاول أن أكتب شيئًا.

- إذًا اذهب، ولا تُضِع الوقت، وأنا سأستريح قليلًا، لديّ صف من الواجبات التي يجب عليّ تصحيحها.

ملّحت "تشيتشيليا" له بأنها تريد البقاء وحدها، وانطلق "إرنستو" نحو الباب وقلبه أكثر صفاءً، بينما فتحت والدته الرواية مجدداً.

عندما خطا "إرنستو" بأحد قدميه عتبة الباب، قالت "تشيتشيليا" فجأةً:

- يجب أن يساعدك أحد.

- لديه طبيب نفسي يتابعه.

- آه، فعلاً. هذا حقيقي... أتمنى أن يقوم بعمله جيداً.

كانت لدى "إرنستو" شكوك قوية فيما يخص ذلك، ولكنه تقبّل بكل سرور اهتمام "تشيتشيليا" بالأستاذ "سيربييري"، ثم تركها وحدها.

تركت "تشيتشيليا" الرواية، واستدارت على أحد جانبيها. أغلقت عينيها، وعادت بذهنها تفكّر في حبها الذي خذلها من جديد. فهي لم تجد أبداً عشيقاً مغرماً بها هكذا، كما تذكرت الفتیان وهما يحاولان إقناعها بأن الأستاذ ليس مجنوناً، وغير كل هذا، ها هي ترى من جديد شيئاً من الحماس في عيني ابنها. كان هذا بالتأكيد بفضل "فيدريكو سيربييري"، لكن هذا لم يغير الموقف، ليس لها نصيب مع الرجال، كانت متعبة من الأمل والمعاناة.

على كل حال، لم تؤمن أبداً بالمعجزات. نامت الساعة الثالثة عصراً، مقتنعة بأنها والحب لن يتقابلا مجدداً أبداً.



يونيو

عدالة السماء



حمل العام الدراسي في نهايته وعودًا وتنبؤات مأساوية، وأيًا كانت فقد كان كل من يتردد على "مدرسة مورجانت" يعد الأيام التي تفصله عن النهاية. كان "جيبو" واثقًا من أن الرسوب الثاني ينتظره، لكن بإمكانه الآن أن يضع آماله المستقبلية في البرنامج الدراسي لعلوم الحاسبات. شارك "بيرلويجي فلاميني" "جيبو" المصري نفسه، لذلك كان ينوي تغيير المدرسة، متنازلًا عن فرحته برؤية "فيدريكو سيربييري" محبوبًا في مستشفى المجانين. أمّا "جورجو" فكان يخطط لزيارة جامعة "كينت" في شهر أغسطس في مدينة "كانتربيري"، أمّا الجزء الأكبر من طلبة 3/2 فتوقعوا بقاءهم برفقة كتب اليونانية واللاتينية والرياضيات غير المرغوب فيها في الإجازة الصيفية. يوجد فقط ما يقرب من عشرة من الناجين المحتملين من النتائج المعلقة التي هي بالنسبة لهم أحد أساليب الإعدام، كان أولئك الناجون يستعدون لصيف حار بعيدًا عن المشكلات المدرسية.

فيما يخص طلاب الثانوية لفصل 3/3، تسبب اختفاء الأستاذ الذي كان يبعث الطمأنينة في نفوسهم أكثر من غيره من أعضاء التدريس في ليالٍ يسودها الأرق، لكن "سيربييري" كان قد حبس نفسه في قبو منيع، حيث قضى أول أيام

الصيف في مكتبه يكتب تلاً من الخطابات، أحدها موجهًا إلى "چورچو جريجور"، طلب فيه من التلميذ الماهر أن يساعد طلاب السنة الثالثة في الاستعداد لامتحانات الثانوية. ثم كتب خطابات توصية من أجل الطلاب الأكثر تميزًا. ومن حينٍ لآخر كان أحد حيوانات المنزل ينجح في التسلل إلى مخبئه، لكن عندما كانت أسنان الأرنب تقترب من نصوص فلسفية قيمة لـ"فيدريكو سيربييري"، لم يكن يهتم الأستاذ بإبعاده.

نظرًا لأن طاقته قلت حتى ليهتم بابتنته، شجّع الأستاذ "جوليا" على إدخال البهجة على حياة طفله بأي وسيلة متاحة، شرط أن تكون بطرق مشروعة. ووافق حتى أن تصطحب "جوليا" "أوديليا" إلى مدينة "ميلانو" لتقوم بزيارة والدتها، ثم استقبل بعدها بلا مبالاة لوم "دورينا" بسبب الأسلوب غير التقليدي للغاية لجليسة طفلهما، تلك الشابة القادمة من روما. في تلك الفترة فُتحت الأبواب لكل من هب ودب، وسُمح بوجود اجتماعات "جرينبيس" في صالون منزل "سيربييري"، ولم تشغل "أوديليا" بالها بهذا الدخول والخروج المستمر من كل أولئك البشر، ولم تشتك قط من غياب والدها.

في ظهيرة أحد أيام الأربعاء، كانت "جوليا" قد انتهت من عملها، عندما قابلت الأستاذ في الطريقة مرتديًا روبًا من الحرير الأحمر، ولحيته تغطي خديه منذ بضعة أيام. وجدته الفتاة أمامها فجأة وقاومت المفاجأة بصرخة كتمتها.

قال "سيربييري":

- اعذرني يا عزيزتي لهذا المظهر المرعب، أود أن أسلمك خطابًا من أجل زملائك في السنة الثانية، وبعدها سأخفي من أمامك.

أعطاهم الخطاب، وقبل أن تستطيع التلميذة أن تنطق بكلمة، تركها بابتسامة مؤلمة وعاد ليختبئ في مكتبه.

انتظرت "چوليا" بضع ثوانٍ قبل أن تقترب من الباب الذي اختفى خلفه، لتتجسس عليه من ثقب مفتاح الباب، لم تنجح سوى في رؤية فقط شيء أحمر. شعرت بالضيق، ووضعت الرسالة الغالية في حقيبة ظهرها وانطلقت ذاهبة إلى منزلها.

في الصباح التالي، كان عامل نظافة الطابق الثاني لـ "مدرسة مورجانتة" شاهداً على مشهد لا يتكرر. ظل جرس الفسحة يدق بتكرار ملح، لكن باب فصل 3/2 ظل مغلقاً. داخل الفصل، جلست "چوليا پراتيزي" على مكتب الأساتذة، وبقي زملاؤها جالسين في أماكنهم. وفي صمت تملؤه التوقعات والآمال، وبنفس شدة "ديجول" في خطابه التاريخي إلى الأمة، بدأت الفتاة تقرأ على الجميع خطاب الأستاذ متقلب المزاج.

"أعزائي الطلاب،

سامحوني لهذا الاختفاء الجبان، لكنني على الرغم من استمراري في الاقتناع بصلاحيّة نظرياتي، فإنني لم أعد جديراً بنشرها.

تغلغل المرض، والآن، بعيداً عن أصل العدوى، أجد نفسي في حالة سيئة. أعلم أنه سيكون للوقت دوره في شفائي، لكن على العموم، الإحساس بالفقد يجعلني خارج هذا العالم.

بعضكم سيظن أنه قد حان لي الوقت كي أدرس لكم مادة التاريخ والفلسفة، وأنفهمكم، ولكن كما كان متوقعاً، ها هو المرض ينتزع مني الطاقة السليمة التي تمكّني من شرح الدروس.

أترون إلى أي حال يذهب بنا الحب؟

حظ طيب يا أولاد، وشكراً لمودتكم واغفروا لي خيانتني، إن استطعتم.

فيدريكو سيربييري".

طوت "چوليا" الخطاب، بينما ارتفعت أصوات الاعتراض من الفصل بأكمله. وعلى الرغم من أن "بييرلويجي فلاميني" لم يكن يؤمن بالحوار كوسيلة للتواصل، ألقى نظره ليقابل نظر "چورچو" متحدياً إياه.

قال "بييرلويجي فلاميني":

- لقد خدعكم. هل فهمتم أنه مجنون؟ هذا ليس مستشفى للأمراض النفسية.

- ولماذا تبقى أنت هنا إذًا؟

كان "جييو" قد أعد قبضة يده، لكن "چورچو" أمسك بها عندما كان على وشك أن ينقض على زميله. حتى وإن أيد بعضهم فكرة الدمج الاجتماعي للمرضى النفسيين، ففي ذلك الصباح الصيفي الحار لم تكن هناك أصوات تدافع عن "فيدريكو سيربييري".

أنهى "بييرلويجي" حديثه مقهقهًا:

- نتمنى أن يحبسه أحد، بعد أن يعطيه بعض الصدمات الكهربائية، ثم يلقي المفتاح بعيدًا.

فُتِحَ باب الفصل، واندفع منه الطلاب خارجين، منهم من يشعر بخيبة الأمل، ومن يشعر بالإهانة، ومن يشعر بالقلق. تدفقوا نحو السلام المؤدية إلى المطعم.

كان البرنامج الصيفي للأولاد يتلخص في تذكرة قطار دولي: برلين وأمستردام. رحلة لمدة أسبوعين في يوليو وبعدها يقضي كل منهم صيفه كما يحلو له.

واجهت "تشيتشيليا" دخول الفصل الدراسي الجديد في السنة وهي في حالة من الألم المركب. لكن هذه المرة، لم تكن لتترك مساحة للدموع والانتحاب. لم تكن امرأة مهجورة، لكن بالأحرى امرأة مستسمة لقدرها وللواقع القاسي، لم تحصل على السعادة في الحب، وكان يجب عليها أن تعتاد على تلك الفكرة. سلّمت تعاستها ليدي "ليشيا"، صديقتها المقربة دون مقاومة، ومثل الدمية،

سَلَّمَتْ نفسها لأصدقاء مقبلين على الحياة يجرونها إلى أي مكان قد يعيد إليها الحياة. وهكذا، خلال نهاية أحد الأسابيع، وجدت نفسها في مدينة "بونزا" بين أناسٍ لا تعرفهم، وفي مرة أخرى حُمِلت على طائرة "لو كوست" منخفضة التكلفة متجهة إلى مدينة برشلونة. شاركت في مسابقات لعبة الورق "بوراكو" دون حماس وسرعان ما أدركت أن الحياة ما هي إلا خروجات مرهقة من لقاءات عشاء مملة ولقاءات لا معنى لها. استطاعت ملاحظة أنه في هذه اللقاءات المليئة بالغرباء، ربما احترامًا لها، لم يتم تقديم الرجال غير المرتبطين لها حتى. لم تتحدث "تشيتشيليا" قط عن "فيدريكو سيربييري"، وعندما حاول ابنها جرّها إلى هذه المنطقة الشائكة، أصبحت ماهرة في تحويل الحوار إلى موضوعات أخرى.

فقط "ليفيا" هي من تفهمت ذلك الحنين الأليم لهذا الحب تعيس الحظ الذي أصبح موضوعًا تتناوله الصديقات بالحديث عنه. تحدثت واحدة من معارفها، وهي تعمل في مجال علم الاجتماع وتعيش وحيدة، عن رغبتها في إضافة تجربة "تشيتشيليا" إلى دراستها "الجروح العاطفية"، والتي تدور حول افتراضية أن الرجال الذين لديهم قدرة على الحب إمّا متزوجون وإما مثليون، لكن يمكن إضافة فئة المرضى المهوسين إلى هؤلاء.

بالنسبة لـ"إرنستو"، فقد كان مقتنعًا بأنه إذا تعلق الأمر بالحب، فإن والدته غادرت الملعب قبل حتى أن تلعب المباراة. تجنّب الفتى استشارة "كاميلو"، التي نصح بها "جيبو"، وقرر أن يتصرف بمفرده.

قبل أيام قليلة من انتهاء المدرسة، بينما كان يبحث في أحد الأدراج عن بطاقته الشخصية، وجد خطاب الحب الذي كتبه لـ"جوليا" وقرر أن يعيد قراءته بحس ناقد أدبي ومعلّق. كانت صفحات مكتوبة بعناية جيدة، تحمل الكثير من الاستلهام، وشيء ما من الفخر. أيقن "إرنستو" بأنه لا توجد فتاة عدا "جوليا" برايتزي" تستطيع المقاومة أمام هذا التعلق العاطفي الكبير بها.

جلس "فيدريكو سيربييري" في مقهى محطة القطار، وهو ينظر إلى "خالد" الذي كان يأكل الطبق الثاني وبه ساندويتشان ممتلئان بالتونة والطماطم.

كان صندوق الشاب السنغالي متروكا تحت أحد الكراسي ومحتوياته غير مرتبة.

قال "خالد":

- يؤسفني أن البضاعة كلها موضوعة بفوضوية. هل تود أن ترتبها أنت؟

أبعد هذا الطلب "سيربييري" عمّا يفكر به. ظل الأستاذ يحدّق فيه، لكن دون أن يراه أو يرى أي شيء حوله.

- يا صديقي، إن كانت الفوضى تسود الكون فباستطاعتها فعل ذلك أيضًا في صندوقك الذي تستخدمه في عملك.

أراد "خالد" مقابلة الأستاذ وتحيته قبل أن يرحل إلى مدينة "باليرمو" حيث ينتظره هناك ابن عم له.

لكن، منذ أن جلسا معًا، بدا الأستاذ حاضراً فقط بجسده، يشرب القهوة وإيحاءً بالهزيمة واضحٌ في عينيه. كان الشاب يعتبر نفسه غير ملائم لمساعدة سيد إيطالي أكثر غنى منه، وأكثر حرية منه، وأكثر اتباعاً للقانون منه. وعلى الرغم من ذلك، كان يتألم من أجله، إضافة إلى أن ذلك هو آخر لقاء بينهما.

- سأرسل لك صوراً من حفل الزواج.

لم يبدِ "فيدريكو سيربييري" أيردود فعل توحى بالمفاجأة بسماعه لهذا الوعد، نظراً لأن "خالد" تحدّث عن الحفل الذي سيربطه إلى الأبد بخطيبته آخر مرة تقابلا فيها.

قال "فيدريكو سيربييري":

- شكرًا. سأكون سعيدًا بذلك. ستكون رحلة السفر طويلة، فانتبه حتى لا تضع هديتك.
أزاح "خالد" أستك ملابس الدخلىة كى يتأكد مرة أخرى من رزمة النقود، هدية زواجه
من الأستاذ.

- اطمئن، فأنا أعرف كيف أخبئها.

ثم حانت لحظة التحرك نحو القطار، عانق "خالد" "سيربييري" بتأثر شديد، حيث اعتبره
الإنسان الوحيد القادر على أن يُحسن إليه فى حياته المليئة بالتعب والإرهاق.

- لماذا أصبحت نحيفًا هكذا؟

كان يدرس حالة اللامبالاة الجديدة التى طرأت على الأستاذ واستخلص منها النتيجة
التالية:

- أنت بحاجة إلى امرأة.

كست هالة من الاضطراب وجه "سيربييري" الجميل، ثم وعده "خالد"، وهو لا يدري بأنه
قد أتى على جرح الأستاذ المؤلم فى قلبه، بأن يكتب له وانطلق فى طريقه. ظل الأستاذ يراقبه
بحزنٍ بالغ حتى اختفى الشاب فى طريقه نحو رصيف القطار.

بعد ذلك بساعة، عاد "سيربييري" إلى بيته المهجور. كانت "جوليا" قد
أغلقت على الأرنب والسنجاب الطائر فى قفصيهما، وخرجت بصحبة الكلب
والطفلة. ذهب الأستاذ إلى المطبخ كى يعد لنفسه فنجانًا من الشاي، وحوله
ينتشر جوٌّ مليءٌ بالكآبة، وبينما يشعل غلاية المياه، انتابته حالة من الحنين
القوي إلى أحضان "تشتيشيليا". عذَّبته غيابها. استرجع فى خياله شريط حبهما

القصور، المرة الأولى لجسديهما الذائنين في حالة من العشق، وهروبهما الجريء المجازف مما تعرضا له من الضيق المُحيط، ثم لحظات العشق السرية التي تبادلها في الأيام الأولى.

كان "سيربييري" يشعر بأنه محظوظ لعثوره صدفة على المرأة الأكثر روعة، ولم يكن يفهم لماذا لا يظل كل الرجال في هذه المدينة الشاردة خارج أبواب بيوتهم للبحث عن الحب. هو متأكد من أنه لم يجرب من قبل لوعة كهذه منذ أن انفصل عن "دورينا"، كما أنه متأكد من أن تلك المرأة استولت على قلبه فجأة. كان الحب دائماً لغزاً غامضاً بالنسبة له، فكل إنسان معرض لأن يقع ضحية لسحر الحب اللعين، وهو أولهم، بعد أن أدرك ذلك، لم يستطع أن ينجو بنفسه من ذلك، وخان كل مبادئه.

كان الأستاذ على وشك الذهاب إلى مكتبه عندما غيّر جرس الباب نيته. ظن أن الوقت لا يزال مبكراً على عودة "چوليا" و"أوديليا"، وعلى الرغم من مخاطرته بالتعرض لزيارات غير ملائمة من طالبي الصدقات، فتح دون أن ينظر في العين السحرية للباب. وجد أمامه رجل في الثلاثين من عمره تقريباً، يرتدي نظارات مستديرة، وقبعة من القطن تخفي جبهته، له لحية غير محلوقة وابتسامة خجولة.

- صباح الخير يا أستاذ.

لم يُخفِ "سيربييري" دهشته وأجاب:

- صباح الخير يا "كاميلو".

- أرجو ألا أكون قد أزعجتك، ربما كان عليّ تنبيه حضرتك قبل أن آتي.

- لا مشكلة! لكن لا تقف هنا على الباب. تفضل.

لم يكن الأستاذ بحالة مزاجية جيدة لاستقبال الضيوف، لكن مع كرم أخلاقه المعتاد سعى إلى أن يجعل الأخصائي النفسي على راحته. وقَدَّم له على الفور فنجانًا من الشاي، ثم دعاه ليجلس سائلًا إياه عن حال الطلاب. كان "كاميلو" في حالة من الحيرة، ولكن عندما بدأ في الرد، بدأ يستعيد شجاعته، اتفقا في النهاية على أن وجود الأخصائيين النفسيين في بعض المدارس أكثر إفادة من وجود القس. عندئذٍ شعر "كاميلو" بالهدوء وشعر "سيربييري" بأنه بإمكانه أخيرًا إرضاء فضوله.

- ما سبب زيارتك المفاجئة يا "كاميلو" يا عزيزي؟

عاد الأخصائي النفسي بشيء من الفظاظة إلى دوره الوظيفي الذي كاد يتخلى عنه بكل ود.

- اسمعني يا أستاذ.. هناك مَنْ هو قلق على صحة حضرتك في المدرسة وطلب مني أن آتي لزيارتك.

نجح الأخصائي النفسي في انتزاع ضحكة من "فيدريكو سيربييري".

- شكرًا، ولكنك لست قسًا!

خشى "كاميلو" من أن يقوم برد فعل عدواني، فلم يرد على الإهانة التي وُجِّهت إليه.

- أفندم! ولكنني أخصائي نفسي.

أكد "كاميلو" على ما قاله كما لو كان يؤكد لنفسه، لكن نظرتَه بدت وكأنَّها نظرة توسل،

وفجأة وبشكل غير متوقع، امتلأت عيناه بالدموع.

سأل الأستاذ في قلقٍ، مستغربًا رد الفعل العجيب ذلك:

- ماذا يحدث يا "كاميلو"؟ هل هناك خطبٌ ما؟

- ماذا؟! بما أنك سألتني. نعم. أنا لست بخير بأي شكل من الأشكال.
أعطاه صاحب المنزل في شفقة أحد مناديله النظيفة للغاية المصنوعة من الكتّان.
قال وهو يأخذ المنديل ويجفف عينيه:
- أظن أن الحديث عن ذلك سيجعلني بحال أفضل.
- بالتأكيد. أنا أسمعك.
بينما كان الأستاذ ينتظر بصر كي يجد "كاميلو" الكلمات الصحيحة ليصف آلامه، تذكّر ما
قاله "جيو"، فقد كان هذا الشاب مثيّرًا للشفقة.
- سأقول لحضرتك شيئًا سيدهشك، ولكنني لا أعرف كيف أبدأ.
- أبدأ من النهاية، فهذه طريقة ممتازة دائماً.
- هل عرفت حضرتك أي مثلي جنسيًا؟
ظل "سيربييري" جامدًا، وقال:
- نعم، بالتأكيد.
- حقًا؟ من ناحية أخرى أنا لا أجعل هذا الأمر غامضًا، فالطلاب أيضًا يعرفون ذلك.
سجل الأستاذ هذه المعلومة في ذاكرته، لكنه لم يستطع التخلص من شعوره بعدم الارتياح،
فقال:
- عزيزي "كاميلو"، لا أظن أنك ستقول لي إنك فعلتها مع أحد التلاميذ. أتمنى ألا تكون قد
فعلتها حقًا!
ابتسم "كاميلو" بلمحة خفيفة من الخبث في عينيه، وقال:
- لا يمكنني فعل ذلك أبدًا، ثم إن الرجال الأكبر سنًا يروقونني أكثر.

أثارت الإجابة الأخيرة قلق الأستاذ مثل الإجابة التي سبقتها. وفهم "كاميلو" ذلك بسهولة، فقال:

- لا تقلق حضرتك، لا أقصد الإهانة، لكنك لا تروق لي، ولست هنا كي أطلب منك ذلك. مشكلتي هي أنني أشعر بالوحدة.

وضع "سيربييري" الفنجان وقام بتحليل سريع للمشكلة، حيث دخل المسكين "كاميلو" في حالة من البكاء والشفقة على النفس.

بدأ شكواه من جديد ووجد الأستاذ نفسه مشاركاً لآلامه. قال "كاميلو":

- أنا لا أستطيع حتى التردد على الأماكن المخصصة للرجال فقط، فهي أماكن تخيفني.

- لكن يا "كاميلو" لا يجب أن تفقد الأمل، فأنت متعلم وصاحب مظهر حسن. ومن يدري كم من الشباب يمكنهم أن يسعدوا برفقتك.

كان الأخصائي النفسي يتمسك بالنبرة المقنعة للأستاذ فقال:

- هل حضرتك تظن ذلك حقاً؟

- بالتأكيد. ثم إن هذه الأماكن ستكون ملائمة للإشباعات الجنسية، لكن عندي شعور

بأنك تطمح في شيء أفضل. هل أنا مخطئ في ذلك؟

- لست مخطئاً، ولا يعنيني الجنس فقط من أجل الجنس، فأنا أجد ذلك أمراً مؤسفاً. أود

مقابلة شخص يمكنني أن أحبه.

وباعتزافه بضعفه هذا، كان "كاميلو" في موقف صعب.

- تظن حضرتك أن هذا أمر سخيف.

- لا أظن شيئاً من هذا القبيل على الإطلاق.

بحث "سيربييري" عن الكلمات الصحيحة لمواساته، لكن بانتهاء كل ما لديه من كلمات
مواساة، وجد وسيلة أخرى يواسيه بها من صفحة "اعرف مستقبلك" التي كان يقرأها تقريبًا
كل صباح لـ"أوديليا" بناءً على طلبها، فقال:

- يجب أن تكون لديك ثقة في المستقبل يا "كاميلو"، سوف ترى أن القدر يعرف أكثر منك
عن المستقبل.

ظهر الأمل في عيني الأخصائي النفسي، فاستمر الأستاذ في محاولته لزيادة الطموح لديه.
- نظرًا لأنك هنا، أود أن أطلب منك تدخلًا مهنيًا، بالطبع إن كان لديك الوقت لمساعدتي.
سأله الأخصائي النفسي وقد استعاد شجاعته وثقته في نفسه من جديد:

- بكل سرور. بم يتعلق الأمر؟

- ابن عمي "أسكانيو سيربييري" باحث شاب في العلوم الفيزيائية ويمر بحالة نفسية
سيئة، ويعيش منذ فترة حابسًا نفسه في مخبئه دون أي أمل.

كان "سيربييري" قلقًا بشأن تصرفات ابن عمه. وعلى عكس "كاميلو"، كان "أسكانيو" يحب
الذهاب إلى الأماكن المخصصة للرجال فقط، لكن الأستاذ اعتبره رجلًا تؤرقه الوحدة العاطفية،
بالضبط مثل الرجل الذي يعاني أمامه.

- إن "أسكانيو" رجل ذو موهبة ولكن لديه شخصية مختلفة، يكرس نفسه فقط للبحث
ولموسيقاه.

سأل "كاميلو" مهتمًا:

- هل ابن عم حضرتك.. عازف؟

- فقط كهواية، ولكنه عازف موهوب للغاية لموسيقى الجاز، وينجح عمومًا في كل نشاط يشارك فيه بشكل ممتاز.
- أضاء وجه "كاميلو" للمرة الثانية.
- أنا أعشق موسيقى الجاز وعندي المجموعة الكاملة لـ "كول بورتر" ولكثيرين آخرين.
- إنها صدفة رائعة.
- وصل "سيربييري" إلى مكتبه وفتح أحد أدراجيه وأعطى إلى "كاميلو" كارتًا شخصيًا.
- ها هي وسيلة للاتصال به. وأنا مقتنع بأن المواجهة مع أخصائي نفسي في مثل خبرتك من الممكن أن تساعد في إعادة نظره لحالة كراهية الجنس البشري التي يمر بها.
- أخذ "كاميلو" الكارت بسعادة عارمة. ثم عاد يقول في قلق:
- لكن، ماذا لو لم يوافق؟
- سيوافق، ستري. قل له أيضًا أنني أرسلك، وأخبره بعشقتك لموسيقى الجاز. سيدعوك إلى المكان الذي يقدم فيه عروضه يوميًا كل أسبوع.
- بحماسة بالغة لهذا اللقاء الجديد، أدخل "كاميلو" الكارت في جيبه ونهض من الكنب.
- أنهى الأستاذ الحوار وهو يسلم عليه باليد.
- أنا متأكد من أنكما ستصبحان صديقين عظيمين أنتما الاثنان.
- رد "كاميلو" بينما كان الأستاذ يصطحبه إلى الباب:
- أشكرك كثيرًا. لقد أراحني الحديث مع حضرتك.

- أرجو أن تبعدك هذه المهمة الجديدة عن الأفكار الأكثر حزنًا. وعلى كل حال، يمكنك أن تُبلغ عزيزي "لويجي" بألا يتألم من أجلي.

توقف الأخصائي النفسي عند الباب وفي حيرة من أمره التف نحو الأستاذ قائلاً:

- يتحدث "لويجي" كثيرًا عن حضرتك، ولكنه ليس الشخص الذي طلب مني أن آتي إلى هنا.

ارتبك الأستاذ، وقال:

- آه.. أتقول إنه ليس هو؟

- إن الأستاذة "باساني" قلقة على صحة حضرتك، إنها هي من ترجتني لكي أمر على حضرتك.

عند سماع "سيبريري" لهذا الاسم، شعر بحرارته ترتفع على الفور. فقد كانت "تشيتشيليا" قلقة من أجله، وكانت تتألم لدرجة أنها لجأت إلى طلب مساعدة هذا الفرد الضعيف. شعر الأستاذ بأن قلبه يكاد ينفجر بسبب تلك اللوعة.

سأله "كاميلو":

- هل تريد مني أن أقول لها شيئًا ما؟

حدّق الأستاذ فيه مرتبك الذهن. كان يقول في ذهنه: "نعم، يمكنك أن تقول لها بأني أفقدتها كل دقيقة وكل ليلة وفي أحلامي ما زلت أشعر بمذاق فمها، وقل لها إني أود أن أضمها إليّ وأن أعطيها عندما تشعر بالبرد وأن أحكي لها عن شعوري بالحب و...".

- يا أستاذ، هل حضرتك على ما يُرام؟ لقد شحب وجهك تمامًا.

أيقظه صوت "كاميلو" من هذيان ذلك الحب الصامت.

- نعم. نعم، أنا بخير. أنا بخير.

كان الأخصائي النفسي يلاحظه قلقًا في انتظار إجابة.

- يمكنك أن تقول لها الحقيقة.

- وما هي؟

- بأنك وجدتني أعاني.

- اتفقنا.

وبعد إشارة أخيرة من العرفان، واضعًا في جيبه الكارت الشخصي لـ"أسكانيو"، انصرف "كاميلو" وهو يقول:

- سأتصل بابن عم حضرتك اليوم.

انطلق ذاهبًا، وبمجرد أن انغلق الباب، ترك "سيربييري" نفسه يسقط على أحد الكراسي متأثرًا بأحاسيس متضاربة. كانت القوة النفسية للعشق تطوقه لتتركه لا حول له ولا قوة. لم تنسه "تشيتشيليا" كما لم ينسها، لكنه وجد نفسه في حالة من الارتباك، فهناك امرأة تسعى إلى إنقاذ شخص ليس لديه فرصة للنجاة بين كائنات الكيوبيد مثله. ثم فُكّر في نفسه وفي حالته اليائسة. إنّه محاصر في نفق الحب ذلك ولا يرى لنفسه مخرجًا منه. في النهاية، وجد نفسه مستعدًا لخيانة مبادئه مرة أخرى، هو الذي وجّه تحذيرات عديدة للأجيال الشابة، هو، بالتحديد هو، ذلك الذي منح فرصة لارتباط اثنين منذ قليل.

كانت الأيام التالية لزيارة "كاميلو" وإعطائه رقم قريب "فيديريكو سيربييري" مؤلمة بشكل خاص للأستاذ. انتهى العام الدراسي بالفعل، وأبلغت "جوليا" الأستاذ أن العديد من التلاميذ سقطوا في النتائج التي هي أشبه لهم بكتيبة الإعدام. كانوا يستنجدون به ويستغيثون به، فقد هجرهم لمصيرهم، وبين السقوط في النتائج والتعليقات عليها، تركت هذه المذبحة عددًا ضئيلاً من الناجين.

استسلمت الأستاذة الاحتياطية لمادة التاريخ والفلسفة في فصل 3/2 وتركت أسلحتها أرضاً لتسمح للفصل بالإدارة الذاتية الكاملة، فكان "چورچو" يعقد الدرس جالساً على مكتب الأستاذة، بينما الأستاذة عديمة الخبرة تكتفي بالإشارة بالموافقة أو بتدوين الملاحظات خلفه. أمّا "سيربييري" فكانت أيامه تمر في حالة من الوحدة، كان يرقى الحيوانات ويقرأ بينما "أوديليا" و"جوليا" تقضيان أيامهما الصيفية على البحر أو في إحدى الواحات الطبيعية.

وفي يوم الأحد في آخر شهر يونيو، حدث شيء حاسم لمصير "فيدريكو سيربييري". كان ذهن الأستاذ منشغلاً للغاية في الفترات الأخيرة بتسجيل علامات انكساره في حياته اليومية، ولم يتعجب أن تعبر "أوديليا"، بعد أن أعطته قبلة تهنئته بعيد ميلاده، عن رغبتها في تكريس يوم الأحد لتنظيف الحديقة بالقرب من المنزل عوضاً عن تكريسه لوالدها.

ونظراً لأن لديه إيثار كبير، لم يأسف الأستاذ لقضاء عيد ميلاده في وحدة. أمّا بالنسبة لـ"أوديليا"، لم تكن لديها صحبة أكثر بؤساً من صحبته، لذا فبال تأكيد كان إخلاء الأرض من المخلفات الورقية والأكياس الملقاة يعدّل من مزاجها دون شك. تركها تذهب بعد أن أعطاها ابتسامة وقبلّة وأعد نفسه للقيام بتمشية تأملية طويلة. كان يسير بخطوات بطيئة عبر الأزقة، ويسيطر عليه إحساس بشع بالامبالاة.

منذ ساعات، دخل في عامه الواحد والخمسين. كانت فكرة ضياع بقية عمره دون وجود "تشيتشيليا" إلى جانبه تعذبه.

سار دون هدف طوال فترة كبيرة من النهار، وأثناء ساعة الغداء، قبل العودة إلى المنزل، توقف عند بائع الزهور في الزاوية ليأخذ بعض الورود الحمراء، وورود العشق. كل ثلاثة أيام كان يشتريها ويضعها على مكتبه، كان ذلك بدافع "ماسوشي" أي حباً في تعذيب النفس كي يتذكر كل المرات التي أهدى معذبته الورد وليشعر بها هكذا أكثر قرباً.

كان يصعد السلام على قدميه عندما وصل إلى الطابق الثاني، وصلته ضحكات بعض الأولاد قادمة بالتحديد من شقته، فمد خطواته وعندما فتح الباب ظل مبهوراً من المفاجأة. بدا أن منزله قد استعاد الحياة بين ضحكات هذه الأعمار المختلفة، كما لو كان الأولاد يملأون المكان بأكمله.

كان "چورچو" و"إرنستو" يضبطان قطع الشطرنج جالسين فوق الكنبه، و"بييترو" مستلقياً على ذراع الكنبه يُشغَل أسطوانات صاحب المنزل، أمّا "جيو" فأعطى ظهره للباب ووقف متأملاً بفضول السنجاب الطائر داخل قفصه.

- بالتأكيد جميل. أليس كذلك؟

"مارتا"، التي كانت تضع على المائدة أطباقاً من ورق الكرتون فوق بعضها، هي أول من ابتسم له، بينما هو، دون أن ينطق، كان سعيداً بهذه المفاجأة التي تنم عن الحب.

نطق "سيربييري" كلماته الأولى هامساً:

- يا أولاد إن رؤيتكم هنا.. تمنحني فرحة عارمة.

خرجت "جوليا" و"أوديليا" من المطبخ. كانت الطفلة تحمل تورتة كبيرة بمساعدة جليسة الأطفال.

- سنة حلوة يا بابي.

وضعت التورتة فوق المائدة، وغنى الأولاد لوقتٍ وجيز أغنية "سنة حلوة يا جميل"، ثم أطفأت الطفلة الشموع بدلاً من والدها.

- شكراً.. حقاً شكراً من كل قلبي.

التف الجميع حول أستاذهم الذي أخذ يشد على أيديهم ويلطفهم. بدأ أحدهم في توزيع حلوى البروفيتول. وشربوا النبيذ الفوار، بينما حمل الأستاذ طفلته بين ذراعيه.

احتضنهم "سيربييري" واحدًا واحدًا. بدا الجميع وكأنهم في إجازة، وكي لا يفسد لهم تلك الأجواء لم يسألهم عن النتائج الدراسية.

أطلعت "جوليا"، التي أصبحت خبيرة بأسرار المنزل، "مارتا" على كتاب مصوّر عن القُبَعَات العريقة، وطلب "بييترو" استعارة أسطوانة من مجموعة الأستاذ، وهو ما رحّب به الأستاذ. كان "إرنستو" صامتًا وللحظة شعر "فيدريكو سيربييري" بشيء من الحيرة، بينما يقدّم له كأسًا من النبيذ الفوّار. اقترب "جورجو" من مدرسه وأخذ يتفحصه، كما لو كان عالمًا يدرس تفاعلات كيميائية يجب تفسيرها.

- لقد فقدت كثيرًا من وزنك. هل تعرف ذلك؟

سارعت "مارتا" بإضافة ردها بنظرة موجهة دائمًا نحو المكتبة.

- لكن الأستاذ يظل دائمًا الأجمل.

دافع الأستاذ عن نفسه تقريبًا بشيء من الخجل، وقال:

- يا أولاد، بمجرد أن أكون قادرًا، أعدكم أن أعود للتدريس، لكنني ما زلت في حاجة من

الوقت لاستعادة لياقتي.

كان حضورهم المفعم بالحب والعاطفة قد خفف من إحساسه بالذنب، حتى وإن شعر بوضوح في لحظة بشكل غير متوقع أن الجو العام بدأ يتغير. كان الأولاد يتبادلون نظرات تفهّم. حدّق "جورجو" في عينيه بنظرة تحمل هدفًا محددًا.

- نحن نفهم ذلك، ففي نهاية الأمر مواد حضرتك بقدر ما لها من فائدة اجتماعية، إلا أنها

مثل اللغة الميتة.

كان الحشد المتجمّع حوله سلميًا، لكن "سيربييري" رأى في هذه الكلمات تحذيرًا مشؤومًا.

أدرك من البداية أن طلابه لم يأتوا للاحتفال فقط، واتضح أنه لم يكن مخطئًا في ذلك.

قرر "إرنستو" أن يتحدث، وقال:

- إن والدتي بحالة سيئة.

كانت لهذه الكلمات القليلة أثر الحجارة الصغيرة التي تسقط من أعلى الجبل، لكنها تصبح أثقل وأثقل مما تلتقطه من حجارة أخرى أثناء سقوطها حتى تصل إلى سفح الجبل لتصيب الأستاذ دون شفقة.

- ماذا تقول يا "إرنستو"؟ هل حدث لها شيء؟

رد الفتى بدهاء:

- هي مريضة بك.

كتم "إرنستو" ضحكة خفيفة مقابلًا النظرة المتواطئة معه لـ"جوليا".

- إن "تشيتشيليا" معرضة للموت. هل تعرف ذلك؟

هكذا هاجمت الفتاة الأستاذ الذي تلاشت الفرحة التي سيطرت عليه منذ دقائق قليلة.

- لماذا كان عليها أن تقع في حبي أنا بالتحديد، لماذا كان عليها أن تكون أستاذة في مدرستكم هذه، لتتعرف عليّ أنا على وجه الخصوص وتترك كل هذه المدارس والمعاهد المنتشرة في المدينة. إنه الحظ السيئ.

تبادل "چورچو" و"إرنستو" النظر، ثم قال للأستاذ بثقة:

- من الواضح أن ذلك كان مُقدراً، ولا يمكن الهرب من القدر، كان قدما

اليونان يؤمنون بذلك أيضاً. هل تذكر حضرتك الشعر في العصر الهيلينستي⁽⁹⁾ بعد انتهاء عصر المدينة اليونانية القديمة؟ دوافع الإنسان الحقيقية بأن يترك

(9)- العصر الهيلينستي فترة في التاريخ القديم كانت فيها الثقافة اليونانية تزخر بالكثير من مظاهر الحضارة في ذلك الحين. وقد بدأت بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام 323 ق.م.

نفسه لمذهب المتعة، النبيذ، فهو هروب من الواقع، وكذلك الحب على وجه الخصوص. وبالنسبة للإنسان فإن الطريق الوحيد للهروب يكون المتعة دائماً، حتى وإن كان الأمر يتعلق بوقتنا الحاضر. فلتتذكر يا أستاذ، هنا والآن.

بعد ما قاله "جورجو"، أصبح ذهن "سيربييري" أكثر ارتباكاً. وكما لو كانت إشارة متفحفاً عليها مسبقاً، تفرق الأولاد. وضع "جيو" السنجاب الطائر في قفصه مجدداً ومسح يديه في قميصه، وأخذت "مارتا" أوراقاً بيضاء من إحدى حافظات الورق ووضعتها على الطاولة كما لو كانت سكرتيرة تحت التدريب. كان الأستاذ يرى تحضيرات غامضة حوله، وبعين ذكية لمح ذلك في ابنته أيضاً، فأدرك أن الطفلة على علم بذلك أكثر منه. نصحته "مارتا" بلطف:

- يا أستاذ، أمسك بقلمك الحبر الجميل لأنك ستحتاجه الآن. بمجرد أن أخرج من جيبه قلمه الحبر من ماركة "باركر"، وجد نفسه جالساً أمام حفنة من الأوراق ناصعة البياض وبدأ يدرك ماذا بانتظاره. - يا أولاد، لقد تأخر الوقت لمعالجة الأمر، لقد خيبت ظن "تشيتشيليا" بشكل لا يمكن مغفرته. ورفضها هو العقاب العادل. ضحك "بييترو" قائلاً:

- نحن لدينا في ذهننا شيء أكثر قسوة بكثير. بينما كان المدرس محاصراً بتلك الاستعجالات المتطفلة، شعر أن الحب حبل يهدد بشنقه. - مبادرتكم تستحق المدح وأعرف هدف رسائل الحب، لكن يؤسفني، لست على ألفة بالكتابة العاطفية. وكما ترون أنا أعمى يقف أمام الغروب. أسكتته "جوليا" قائلة:

- لحسن الحظ أننا نلاحظ ذلك بشكل جيد للغاية.
أوضح "جورجو" سبب حصارهم له، أمسك في يديه كتابي فلسفة.
- سأعيد مذاكرة هذين الكتابين العام المقبل، وبالتالي من الأفضل لحضرتك أن تعود إلى المدرسة.

اقترب "جيبو" منه وسلّم عليه باليد بحرارة، وقال:
- آه، يا أستاذ إنهم يأخذونني الآن لتنظيف الحدائق، لقد جعلوني من حُماة البيئة، هل تتخيل ذلك؟

أجابه "سيربييري":
- إنه مكانك يا "جيبو"، حرًا تجري في الأراضي المليئة بالأعشاب.
- أجري؟ أنا في هذا الحر لا أستطيع حتى الوقوف على قدمي.
كانت المجموعة عند الباب بالفعل عندما تذكر "سيربييري" شيئًا، وقال:
- قبل أن تنصرفوا، افتحوا الدرج الأخير في ذلك الكومودينو، وتقاسموا بينكم ما يحتويه.
أرجوكم.

ذهب "بييترو" ليفتح الدولاب القصير الذي يعود إلى القرن الثامن عشر، وظهر العديد من أزواج الجوارب من القطن الأبيض.
فسأل "جيبو" ضاحكًا:

- مُذهل، يا أستاذ، ماذا حدث؟ هل سرقت أحد الباعة الجائلين الأجانب؟
كان "سيربييري" يستمع إلى الأولاد وهم يعلقون مندهشين ويختارون الجوارب ويتبادلون الآراء حولها. كان "خالد" ليسعد بذلك. ملأ "بييترو" حقيبة ظهره، واختارت "مارتا" لزملائها الآخرين وزوجين لـ "ماركو"، واستطاع "جيبو" أخذ ثلاثة أزواج من أجل "كاميلو"، بينما فضّل "جورجو" عدم أخذ أي شيء من الجوارب.

تمنى الأولاد للأستاذ صيفًا طيبًا وخرجوا. خرجت "جوليا" مع "أوديليا" و"فلاك". وصوت حديثهم على السلام وصوت خطواتهم اختفى بسرعة ليحل الصمت.

لم يذهب "إرنستو" معهم. ظل جالسًا على الكنبه وهو يهز ركبته اليمنى دارسًا الأستاذ الذي لم يعبأ بوجود "إرنستو"، وأخذ يحدق مضطربًا في الأوراق الموجودة أمامه. ظلا هكذا صامتين لبعض الوقت.

قال "إرنستو" ليكسر الصمت:

- أظن أنه قد حان الوقت كي أخطبك بصيغة أنت.

نظر إليه "سيربييري" وابتسم. لم يندهش مما قاله، ولكن بنبرة الصوت الحاسمة تلك.

- إن وجدت ذلك مناسبًا فإن الأمر يسعدني كثيرًا.

نهض "إرنستو" واقترب من الطاولة، وبحركات واثقة أخرج خطابه وسلمه إلى الأستاذ.

- هذا خطاب حب كتبته من أجل "جوليا" العام الماضي.

- متأكد من أنه على مستوى جيد.

كرّس "سيربييري" نفسه للقراءة، ومن السطر الرابع إلى ما بعده، شعر الأستاذ وكأن هناك سموات وأمواجًا تتحرك ولحظات غروب، كان انتصار الطبيعة يظهر في كل جملة وكل الصفحات تنطق بشعور عاشق.

فهم "إرنستو" من نظريته شديدة الذهول ومن إيماءاته أن الأستاذ يقدر النص المكتوب وأنه أعجب به.

- إذًا من الخسارة عدم استخدام هذا الخطاب. ألا تتفق معي؟ الآن سأقوم بالإملاء وأنت

تكتب، وفي النهاية ستوقع عليه: "مع حيي، فيديريكو".

لم يود "سيربييري" تصديق جدية هذا الاقتراح، وبحركة اعتراض نظر إلى الخطاب كما لو كان كوبًا من مشروب الشوكران.

- "إرنستو"، لا يمكنك أن تطلب مني شيئاً كهذا، إنه خطاب لم أكتبه أنا، فهذا يسمى انتحالاً.

- لماذا لا ينتحل الحب أذهاننا؟

بدا الأستاذ خائفاً أمام شبح "فرانكشتاين" الملازم له، بدا الأمر خارج سيطرته، وأصبحت أفعال "إرنستو" لا يمكن التنبؤ بها.

وضع التلميذ يده على كتف الأستاذ.

- "سيربييري"، هل تحب والدي؟

- بالتأكيد. أنا أعشق "تشيتشيليا".

- إذًا فلتفعل شيئاً.

أطاعه الأستاذ، الذي كان مستسلماً بالفعل لذلك المخلوق الغريب، وأخذ برقعة قلمه الحبر "الباركر" وبدأ عملية النقل.

- حبي...

بدأ "إرنستو" الإملاء وأخذ الأستاذ يكتب في صمت، مركزاً على النص، ولكن عندما وصلا إلى المواجهة مع "فينوس" لـ "بوتيتشلي"، توقف الملمي.

قال "إرنستو":

- يجب أن نغيّر هذا الاستشهاد وأن نجد آخر بدلاً منه يتناسب أكثر مع والدي.

- لا أسمح لك بذلك، فأنا أجد الاستشهاد ممتازاً هكذا.

رد عليه "سيربييري" معانداً ذلك التغيير واستأنف كل منهما عمله لصفحتين أخرتين. وبعدها كان الكاتب هو من توقف هذه المرة.

فسأل "إرنستو" فزعاً:

- ماذا حدث؟

- عندما يحين الوقت يجب أن تضع في اعتبارك جامعة "مانشيستر"، فهناك يعقدون دورة دراسية ممتازة في الأدب، وأنت تتمتع بموهبة عالية يا "إرنستو".

- سأفكر في ذلك، لكن يجب أن أصلح حال والدتي أولاً.

ضحك "إرنستو" واستكملا الكتابة والإملاء حتى الكلمات الأخيرة، الكلمات الوحيدة التي أحسها حقاً الكاتب: "بحب لا ينتهي، فيديريكو".

حل نصف شهر يونيو، وخلت "مدرسة مورجانتة" من العاملين بها. تبقى فقط الأساتذة المنشغلون بامتحانات الثانوية، حيث أصبحوا رهائن لتلك المدينة شديدة الحرارة. قضت "تشيتشيليا" تلك الأيام بين اجتماعات فوضوية وقرارات مليئة بالمعاناة، وفي المساء عند وصولها إلى المنزل كانت تقع على السرير منهكة. نادراً ما كانت تقبل دعوات السينما أو العشاء، وفُضِّلَت البقاء وحدها هائمةً في ذكرى قبلات "فيديريكو سيربييري" ولقاءاتهما القليلة، التي كانت كافية لتغذي خيالاتها.

بعد أن أغلقت الباب أمام ذلك الحب المعقد، بدأت "تشيتشيليا" تنمي شكوكها بأنها استسلمت للهرب بشكل متهور للغاية. وبعد شهر من اختفاء "سيربييري"، لم تتوقف عن تذكُّر ملاطفاته الرقيقة التي طغت على أي ذكرى لتصرفاته الغريبة.

عندما اصطحبت "تشيتشيليا" "كاميلو" إلى مكان عرض الموسيقى الجاز، حيث يعزف صديقه الجديد، قال لها الأخصائي النفسي إنَّه وجد "فيديريكو" يعاني، لكن "تشيتشيليا" ظنت أن سبب معاناته هو ابتعاده عن التدريس. ففي نهاية الأمر، "فيديريكو" هو مَنْ هرب منها آخر مرة. لم تنسَ وجهه المنزعج وقت الغروب في حديقة "فيليا بامفيلي".

افتقدت "فيديريكو" كثيراً، والدفاع المستमित للأولاد بدأ يحرك ساكنًا، وبعودتها لوحدها من جديد، أدركت "تشيتشيليا" أنه من بين المميزات في مصاحبة شخص غريب الأطوار أنه لا يمكن أن تشعر بالملل بسهولة.

أعدت لنفسها كوبًا من الشاي العشبي، وبعد تنهيدة أخيرة، لجأت إلى الدواء المنوم الذي أراحها أكثر من غيره. قامت بتشغيل التلفزيون، وغيّرت القنوات مرتين، ثم أطفأته بعد أقل من عشر دقائق، وانتهت من شرب الشاي. بعدها أطفأت النور في الصالة وذهبت لتنام. وفي الثالثة صباحًا استيقظت منزوعةً من الأرق. مستسلمة، قررت أن تقرأ الفصل الأخير من "نسخة بارني"، عندما جعلها صوتٌ حفيفٍ قادمٍ من الطرقة تنتفض مفزوعةً. قبل ثلاثة أيام لحق "إرنستو" بـ"بييترو" في بلدية "سابوديا"، أي أنها وحدها في المنزل. نهضت، وعلى أطراف قدميها وصلت إلى المدخل، وهناك على الأرض، أمام الباب، وجدت خطابًا. فوق المظروف كان مكتوبًا اسمها. أخذته وبرعشة ركضت كي تحضر نظاراتها من غرفة النوم، ثم عادت بسرعة إلى الصالة وبدأت تقرأ جالسة على الكنب.

كانت رسالة طولها أربع صفحات. لم تتلقَ في حياتها رسالة أكثر غرامًا من هذه. الاسم المكتوب في النهاية سبّب لها تغيرًا سعيديًا في إيقاع نبضات قلبها. بالتأكيد، بعض العبارات كانت متفردة، مثل التلميح إلى الزواج الأحادي لحيوان الباندا أو حتى الاقتراح المخيف لمراقبة الشهب وهما في كيس النوم. وعلاوة على ذلك، كان التشبيه بينها ولوحة "فينوس" لـ"بوتيتشلي" يبدو لها مليئًا بالخيال. لكنها مجرد تفاصيل، الأجل في ذلك الخطاب هو جرائه.

كيف لرجل بالغ مثله أن يبدي ضعفًا كهذا ويعبر عن عشق خالص كذاك العشق؟
أجابت "تشيتشيليا" نفسها:

- بالطبع يستطيع، فهو مجنون!

أغلقت الخطاب مقتنعة بقضاء بقية حياتها مع "فيدريكو سيربييري"، حتى وإن كان ذلك في مستشفى للأمراض النفسية. كانت تركض نحو التلفزيون عندما دفعها إحساس غريب إلى النظر من النافذة، وعندها رأيته. كان بالأسفل في الشارع يقف مستندًا على حائط. أصبح نحيفًا. كان يرتدي قميصًا أزرق وبنتالًا من الكتان، بدا وكأنه يلمع، وبتلقائية وقف يدخن سيجارة، وهو أمر جديد عليه تمامًا. اختفى تعبير تأنيب الضمير المعتاد من وجهه خلف عصبية

الواضحة، فقد كان يرتعش في انتظار رد، ووجدت "تشيتشيليا" الموقف كله مثيراً جنسياً لها بشكل لا يُصدق.

لم تنتظر لتغيير قميص النوم، ودون تفكير فتحت باب شقتها ونزلت السلام. كاد الأستاذ يفقد الوعي من هول الموقف عندما رآها تخرج من بوابة البيت، وشعرها غير ممشط، سعيدة وبقميص نومٍ شفاف. لم يتذكرها بهذا الجمال، تخلص على الفور من السيارة، وانطلق نحوها. التقيا في الساعة الرابعة صباحاً.

لم تكن "تشيتشيليا" تشعر بالحاجة إلى الحديث، حاولت فقط أن تقبله، لكنه أوقفها بعذوبة.

بعد شهر من الغياب، كانت روحه الذواقة تحتاج للحظة من التفكير، وتوقف عند مصدر حبه بنظرة مسحورة. لم تكن حاسة النظر في هذا الظرف الحاسة المفضلة من جانب "تشيتشيليا"، فهي تفضل الآن حاسة اللمس، فعادت إلى الهجوم قاصدة الفم. هذه المرة قاومها الأستاذ باقتناع أقل. وفي المحاولة الثالثة للهجوم، قابل فمها بقبلة، واضعاً أسلحته أرضاً، مستسلماً للاستشهاد في سبيل الحب.



يوليو

توجهات جديدة



صعد "إرنستو" على متن أحد القطارات السريعة لـ "يورو ستار"، تحرّك الساعة 11:15 متجهًا إلى مدينة برلين في صباح شديد الحرارة لشهر يوليو. زاد وزنه ثلاثة كيلوجرامات، أعادت له بضعة أيام من البحر والشمس المظهر الصحي الذي كان يتمتع به قبل عام. مناوِرًا بحقيقية ظهر كبيرة، دخل المقصورة التي جلست فيها سيدة مسنة تحكي قصة خرافية بنبرة طفولية لطفل صغير يبلغ سنوات قليلة من العمر، بينما تقوم بتحريك دمية أمام عينيه المأخوذتين. ألقى "إرنستو" التحية وردت السيدة التحية مبستمة، بينما التفت الطفل نحوه بفضول.

في الرحلات الطويلة في القطارات، كان "إرنستو" ينجح في أغلب المرات في الانتهاء من قراءة روايات كاملة. كان يحب التنقل بهذه الوسيلة لهذا السبب، فالساعات الخالية التي لا نهاية لها هي الحل النموذجي لقراءة دون إزعاج، ولكن في تلك المناسبة مع صوت الراوية العجوز، والحكاية الخرافية لـ "عقلة الإصبع"، والطفل الصغير المذهول من وجوده، بدا ذلك البرنامج الجميل في خطر.

سرعان ما اكتشف أنهما جدة وحفيدها. كانا يرتديان ملابس ثقيلة، لأن درجة حرارة العربة كانت بالتأكيد أقل برودة من درجة حرارة القطب. ارتدى

"إرنستو" المعطف الجينز واستغرق الدقائق الخمس التالية كي يُدخل بصعوبة حقيبة الظهر الضخمة فوق حامل الحقائب، وفي النهاية جلس أمام السيدة. ثم أخرج من حقيبته الصغيرة الـ"آي باد" وكتابًا وقطعة حلوى "الماريتوتسو" بالقشدة، وبينما كان يأكلها على ثلاث قضمات، وجد فجأةً بين صفحات رواية "قاموس عائلي" خطاب مصور. كانت الورقة الملصقة بالخطاب قد كتبت بخط مألوف له:

عزيزي "إرنستو"،

سرت نسخة خطابك من خزانة "تشيتشيليا" وكتبتها من جديد.

أزعم أن هذه الرسالة النموذجية لها دورها الاجتماعي، وبالوضع في الاعتبار أنه ليس من الممكن أن تشارك أبدًا في أي مسابقة أدبية، فإنه من الملائم أن تأخذها معك كي توزعها في أوروبا.

إن أصابك الحظ في أن تقع في الغرام، سيكون من المفيد أن تكون بين يديك. أتمنى لك كل خير، وتحية إلى الأصدقاء.

بكل حب،

"فيدريكو"

ملاحظة:

تذكر أنه من الممكن أيضًا ترجمتها إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية. وفيما يخص الروسية، ربما أعرف إلى مَنْ يمكنني أن ألجأ.

ضحك "إرنستو" بينه ونفسه، وبعد أن أغلق الخطاب، وضعه في الصفحة الأخيرة للكتاب. كان على وشك أن ينغمس في الرواية عندما وجد أمامه بين ساقيه الصغير "ماتثيا" الذي كان يسأله عن "عقلة الإصبع"، بطل الحكاية الخرافية.

- يا "ماتثيا" يا حبيبي، تعالَ إلى جدتك، فأمام "عقلة الإصبع" طريق طويل. كانت السيدة تنظر إليهما بسرور. لاعب "إرنستو" الطفل الصغير وأدرك أن الرواية كانت لتشركه بكل ترحاب في الحكاية الخرافية التي كانت تمثلها للطفل. لذا قرر أن يعبر عن رفضه بطريقة مهذبة، فوضع السماعات في أذنيه، وفتح مجددًا كتابه وحاول أن ينعزل عمّا حوله. لم يكد ينتهي من قراءة صفحتين عندما عاد "عقلة الإصبع" لإزعاجه من جديد، هابطًا بين صفحات الرواية بعدما ألقاه عليه الطفل. كتم "إرنستو" تهيدة يائسة وبالفعل أخذ الدمية ليعيدها إلى الطفل "ماتثيا" الذي مد يده ليأخذ لعبته.

طمأنته الجدة:

- اعذرنا، سأطعمه الآن ثم بعدها سينام بالتأكيد.

ورد هو بنصف ابتسامة:

- لا عليكِ.

في الوقت نفسه، أشار الطفل الذي كان منجذبًا بشدة إليه، إلى مصدر أصوات ليست مفهومة بشكل كلي.

- نعم. نحن الجدات ندلهم قليلًا. آه لو تعرف كم المرات التي يجادلني فيها ابني

بخصوص تدليلي هذا.

كانت السيدة قد بدأت مونولوجًا حول التربية الحديثة عندما وصلت "إرنستو" رسالة قصيرة على التليفون المحمول من "جورجو".

"أين أنت؟"

كتب بسرعة الرد.

"لقد سافرت لتوّي، سأصل إن تأخر القطار".

كانت السيدة المسنة مستمرة في الحديث، وقد استسلم "إرنستو" إلى ذلك الإزعاج تاركًا الرواية مفتوحة على ساقيه، مختلّسًا النظرات في صفحاتها. كان يخفض نظره ثم يرفعه، ومن المحاورة إلى الكتاب والعكس، ومن حين لآخر كان يومئ برأسه. كانت رفيقة الرحلة قد بدأت في تعديد أمور عدم التفاهم الكثيرة مع زوجة ابنها، عندما اكتشف "إرنستو" أنه لم يكن ليحتمل أبدًا الرحلة دون أن يستطيع قراءة فصل واحد على الأقل.

- يا سيدتي، اعذريني، أنا.. يجب أن أعيّر مكاني؛ فالجو هنا شديد البرودة. أغلق "إرنستو" الكتاب ونهض حاسمًا الأمر من مكانه، وظلت السيدة المسنة حائرة في أمرها.

- لكن، إن كان الأمر لهذا السبب، من الممكن أن نطلب من مفتش القطار أن يقلل من قوة مكيف الهواء.

- لا، لا.. يا سيدتي، دعك من ذلك. إنها مشكلتي أنا فقط. سأذهب للبحث عن مكان آخر، ثم إن لم أجده، ربما أعود إلى هنا.

أنزل "إرنستو" حقيبته الثقيلة على الفور، ووضع فيها أشياءه التي كانت مبعثرة على طاولة مقعده.

- سلام يا "ماتيا"، سلام يا جميل.

أهدى "إرنستو" ابتسامة ودودة بشكل كبير إلى الطفل، منتشيًا من أجل هروبه الوشيك من اهتمامات الطفل.

كانت الجدة تتابع تحركات الفتى بشيء من الأسف.

- إذًا، سلام وإجازة سعيدة.

- إلى اللقاء، وأتمنى لكم رحلة طيبة.

ابتعد "إرنستو" في الممر نحو المقصورة الأبعد، وبمجرد أن وصل إليها أحس بدرجة حرارة أكثر اعتدالًا. كانت هناك سيدة مسنة أخرى منهمكة في قراءة مجلة "المرأة" وكان زوجها نائمًا بجوارها؛ لم ترفع الألمانية عينها نحو الراكب الجديد.

كان هناك مكانان غير مشغولين. وضع "إرنستو" حقيبته في المكان الذي كان ناحية الممر واختار لنفسه المكان المجاور للنافذة.

كانت هي نائمة أمامه بالضبط ورأسها مسنود على زجاج النافذة. تبدو تقريبًا في الثامنة عشر من عمرها، شعرها كالشلال يصل إلى أسفل ظهرها، وترتدي قميصًا مليئًا بالألوان. انبعث منها عطر بنكهة فاكهة الليمون. ومستغلًا حالتها من عدم الوعي، أخذ "إرنستو" يتأملها بتركيز. إنها تعجبه كثيرًا، لكنه سيطر عليه فجأة هاجس ألا تكون تتحدث الإيطالية.

بعد بضع دقائق فتحت الفتاة المجهولة عينها الخضراوين لتجد أمامها فتى وسيماً نقل نظره بسرعة من وجهها إلى حامل الحقائب فوقها، ليظهر اهتمامًا غير مفهوم بالحقائب التي كانت موضوعة هناك. أمر جديد جيد. كتمت الفتاة ثناؤها، ثم أعادت شعرها إلى الوراء وضبطت قميصها. أخذت هي الخطوة الأولى. فتحت حقيبتها الواسعة التي كانت بين ساقها، وفي وسط المناديل ومساحيق التجميل وجريدة ما، ظهرت علبة بسكويت مدتها إلى الرفيق الجديد لرحلتها.

- هل تريد؟

استقبل "إرنستو" عرضها الذي يدل على تحدثها الإيطالية بحماس مبالغ فيه.
- آه. نعم، نعم. شكرًا. بكل سرور.

وافق أن يبتلع بسكويت جوز الهند الذي لا يحبه، وفهم أن دوره قد حان.
- أنا ذاهب إلى "برلين" وأنت؟

أمسكت "فيرونیکا" بخطط المحادثة وحكت له عن "برلين" وعن دورة اللغة الألمانية التي كانت قد التحقت بها العام السابق.

ثم قدّم كل منهما نفسه للآخر وأوضحت "فيرونیکا" أن لها ابن عم عزيزًا عليها كثيرًا يحمل اسم "إرنستو". مهّد "إرنستو" الأرض للنزول من القطار وأخبرها على الفور أن خمسة من أصدقائه ينتظرونه لاستكمال الرحلة عن طريق خطوط القطارات "إنتر ريل". كانت وجهات الرحلة محصورة بين "برلين" و"أمستردام"، لكنه كان حريصًا على توضيح شيء محدد: كان لكل منهم حريته في ترك المجموعة في وسط الرحلة لاتباع توجهات جديدة. فهمت "فيرونیکا" في تلك اللحظة أنه لديها فرصة ملموسة كي تصبح جزءًا من تلك "التوجهات الجديدة".

عندها نصحت "إرنستو" بالأماكن التي يعزفون فيها أفضل موسيقى، وأطلعته على خريطة "برلين" وحددت بألفة واضحة بيت الشباب، حيث ينتظره رفاقه. شكّلت سيقان الفتى والفتاة مسندًا وُضعت فوقه خريطة "برلين".

وبينما كان العجوزان نائمين بجوارهما، أحدهما بفمه المفتوح والأخرى بجريدة فوق وجهها، ارتفع صوت شخير مزعج داخل المقصورة. شعر "إرنستو" بسعادة بسيطة لاحتكاكه بركبتي "فيرونیکا".

أشارت الفتاة على الخريطة إلى الطريق التي كانت تسكن فيه صديقة والدتها، التي ستستضيفها في منزلها. كذلك لم تنس إخباره أن خط مترو "بيرناو" يربط بين منطقتها والمنطقة التي يوجد بها بيت الشباب الذي سيبقى به "إرنستو". أعادا ثني الخريطة وابتسم كلاهما للآخر، متأكدين أن "برلين" أصبحت قريبة منهما.

حدث أمر ما في تلك اللحظة؛ تعلقت عينا "إرنستو" بعينيها، وبقيها هكذا للحظة لا نهاية لها.



كلمات شكر

إلى عائلة "بالزارو" وإلى "مونترُوسو"، ذلك المكان الخاص الذي
ولدت فيه هذه القصة.

إلى "لافينيا"، وإلى مداخلاتها التي تنمُّ عن اهتمام دائمًا، والتي
كانت دائمًا ذات تأثير.

صدر في سلسلة #كتب مختلفة:

1. أرامل الخميس كلاوديا بينيرو الأرجنتين
2. كلي لك كلاوديا بينيرو الأرجنتين
3. مشروع زوجة جرايم سيمسيون أستراليا
4. الثلاثة سارة لوتز إنجلترا
5. شركة الحب المحدودة أندريه سنار ماجنسون أيسلندا
6. حذار من جوعي ميلينا أجوس - لوتشانا كاستيلينا إيطاليا
7. الحب لم يعد مناسباً ميلا فينتوريني إيطاليا
8. سارق الجثث باتريسيا ميلو البرازيل
9. السيمفونية البيضاء أدريانا ليسبوا البرازيل
10. مقبرة البيانو جوزيه لويس بايشوتو البرتغال
11. صانع الملائكة شتيغان بريجش بلجيكا
12. مخاوفي السبعة سلافيدين أفيدتش البوسنة
13. جامع الكتب جوستابو فابريون باترياو بيرو
14. أبسنت أيفر تونش تركيا
15. خطايا الأبرياء برهان سوغاز تركيا
16. أحلام محطمة بيولانت سينوكاك تركيا
17. ارحل قبل أن أنهار تونا كيرميتشي تركيا
18. امرأة صديقي تونا كيرميتشي تركيا
19. الصلوات تبقى واحدة تونا كيرميتشي تركيا
20. مينتا سولماز كاموران تركيا
21. ديسينا ماين كيركانات تركيا
22. نساء اسطنبول مجموعة قصصية تركيا
23. توباز هاكان جنيد تركيا
24. لون الغواية هاندي ألتايي تركيا
25. الشيطان امرأة هاندي ألتايي تركيا
26. ديتوكس سوزانا بربيتسوسفا التشيك
27. حدث في كراكوف بيترا هولوفا التشيك
28. كل هذا ملكي أنا بيترا هولوفا التشيك
29. سراق طائر البطريق إميل هاكل التشيك
30. كافكا فرانز كافكا التشيك
31. المواطن فانيك فاتسلاف هافل التشيك
32. المبعدون أوجنين سباهيتش الجبل الأسود

33.	امرأة للبيع	أورشولا كوفاليك	سلوفاكيا
34.	خلف طاحونة الجبل	مجموعة قصصية	سلوفاكيا
35.	ربيع البربر	يونس لوشر	سويسرا
36.	بكين.. بكين	شيو تسي تشين	الصين
37.	النجمة الحمراء	يركسي هولمانيك	الصين
38.	رقصة الكاهنة	جين رينشوين	الصين
39.	المغفل	إريك نويوف	فرنسا
40.	المجاعة البيضاء	آكي أوليكانيك	فنلندا
41.	النسيان	إيكتور آباد	كولومبيا
42.	القصاص	بلايز ماينفسكي	مقدونيا
43.	الواحد والعشرون	توميسلاف عثمانلي	مقدونيا
44.	إلينج	إنجفار أمبيورنسون	النرويج
45.	صيف بارد جدًا	روي ياكوبسن	النرويج
46.	جوي سببوت	تومي فريينجا	هولندا
47.	العشاء	هيرمان كوخ	هولندا

كتب عامة مترجمة:

48.	هاربون من الموت	فولفجانج باور	ألمانيا
49.	قانون التسامح	هوبرتس هوفمان	ألمانيا
50.	الرجل والمرأة أيهما الجنس الأضعف؟	جيرالد هوتز	ألمانيا
51.	الهاشميون وحلم العرب	روبرت ماكنمارا	أمريكا
52.	الصراع الطبقي في أفريقيا	ليو زيليج	أمريكا
53.	الهندي الأحمر الأيسلندي	جون جنار	أيسلندا
54.	يوميات صحفية إيطالية	جوفانا لوكاتيلي	إيطاليا
55.	قوة المستضعفين	فاتسلاف هافل	التشيك
56.	أوروباينا	باتريك أورشادنيك	التشيك
57.	الثورة التشيكية	مجموعة مؤلفين	التشيك
58.	ذكريات الصين	تشين يو	الصين
59.	جابو	أوسكار بانتوخا	كولومبيا
60.	الجرى	ثور جوتاس	النرويج
61.	عقول مريضة	دوي درايسما	هولندا



نعود إلى الزواج. فليكنكم معرفة أن الزوجين يظنان أنهما ينتهيان إلى مصير مدفوع بوهم كبير وهو السعادة. الوهم بطبيعته خادع، فليس من المصادفة أن بين كل أربع حالات زواج، توجد حالة واحدة مصيرها الفشل. أولئك الذين يصمدون تدعمهم دوافع ضعيفة الحماس حقًا. سأكون ممتنًا لكم إن كتبتم في كشاكم الدوافع الحقيقية التي يتم من أجلها اتخاذ تلك الخطوة المتهورة. يتزوج المرء من أجل: اقتناعات اجتماعية / مفاهيم دينية / مصالح مادية. الزواج ليس إلا واحدًا من المصايد الخادعة للحب، وأخطرها. وما هو إلا حب يُمارس في النظام الاجتماعي ليهديكم مبادئ فارغة مثل (للأبد).

ميلافينتوريني



وُلدت في 24 فبراير عام 1961 في روما حيث تعيش الآن. شاركت في كتابة سيناريو أعمال تلفزيونية متعددة، مثل، "طبيب في العائلة"، و"مكان تحت الشمس". هي أيضًا كاتبة قصص قصيرة في المجلات، كما تكتب قصص بوليسية للأطفال. نُشر لها أعمال أدبية مثل: "اثنان من كل شيء وحقيقية" عام 2010 وهذه الرواية، "الحب لم يعد مناسبًا" عام 2014. ثم نُشرت لها الرواية الثالثة في 16 يونيو عام 2016 وعنوانها "رحلة عائلية في لندن". رُشحت إحدى أعمالها للجائزة الكبرى لقارات "إيلي". تشرف كذلك على ورش لتعليم الأطفال الكتابة الإبداعية.

